بسم الله الرحمن الرحيم

معركة سيف القدس
ودلالاتها الاستراتيجية

سلسلة منشورات جمعية الصداقة الفلسطينية الإيرانية

2021

"أن الشعب الفلسطيني خرج مرفوع الرأس قوياً من ابتلاء الأيام الأخيرة، فالعدو الوحشي المفترس أدرك حقيقة ضعفه في مواجهة المقاومة الفلسطينية الشاملة .

تجربة التعاون بين الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة وأراضي آلـ 48 والمخيمات الفلسطينية رسمت آفاق المستقبل للفلسطينيين"

الإمام الخامنئي (حفظه الله)

من رسالة إلى شعب فلسطين إثر انتصاره على الكيان الصهيوني في حرب الاثني عشر يوماً وصدرت في يوم وقف العدوان نفسه

2021/5/21

مقدمة

معركة سيف القدس هي واحدة من المعارك المفصلية في الصراع مع المشروع الصهيوني، وهي المعركة الرابعة من المعارك التي خاضتها المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، بعد تنفيذ خطة فك الارتباط وسحب المستوطنات من قطاع غزة عام 2005. كما أنها المعركة الأولى في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين الذي يشهد تطوراً ملموساً في تحدي المقاومة بسبب امتلاكها صواريخ بعيدة المدى، والدعم الكبير الذي تتلقاه من محور المقاومة.

اندلعت معركة سيف القدس دفاعاً عن مدينة القدس المحتلة وأحيائها، بعد أن استباحت قوات الاحتلال الصهيوني ساحات المسجد الأقصى في شهر رمضان المبارك، وحاصرت فلسطينيي حي الشيخ جراح بهدف إخراجهم من منازلهم، استكمالاً لمخطط استيطاني مدروس يستهدف تهويد القدس والاستيلاء على مقدساتها، إذ أكدت المقاومة أنها لن تتأخر في الدفاع عن القدس وحماية مقدساتها من اعتداءات المستوطنين اليهود وقوات الاحتلال. فقد جاءت المعركة تعبيراً عن إرادة الشعب الفلسطيني وترابطه في جميع أماكن وجوده، وتعبيراً عن وحدة الأرض الفلسطينية، حيث تجلى التلاحم الخلاق بين أبناء الشعب الفلسطيني في أراضي 1948 والفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين.

لقد جاءت معركة سيف القدس لكي توقظ ضمائر الذين تخلوا عن قضيتهم الوطنية وتنكروا للمقدسات، واتبعوا مصالحهم الضيقة على حساب الشعب والمصلحة الوطنية، إرضاء "للسيد الأمريكي". فقد قدمت المعركة رداً حاسما على مشاريع التسوية والتطبيع مع الكيان الصهيوني الذي لا يعرف إلا لغة القوة، ولا تليق به إلا المقاومة التي أصبحت خياراً استراتيجياً للشعب الفلسطيني في التصدي للاحتلال، وإنها الأسلوب الوحيد لتحرير فلسطين وعودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه ووطنه. وبذلك فقد قدم الشعب الفلسطيني نموذجاً حقيقياً

للتعامل مع عدو يستخدم كل الأساليب العدوانية والعنصرية، من أجل تحقيق أهدافه في الهيمنة على شعوب المنطقة ونهب ثرواتها، وأن هذا النموذج هو البديل لسياسة الخضوع والاستسلام لإملاءات العدو ومخططاته، وأن المقاومة جدوى مستمرة لنيل الحقوق أكثر من البحث عن سراب الحلول في غياهب التطبيع ومتاهاته.

وشكلت معركة القدس مفاجأة للعدو الإسرائيلي، مؤكدة أن الجيش الإسرائيلي غير قادر على ردع المقاومة وحسم المعركة معها، فصواريخ المقاومة وصلت إلى العمق الإسرائيلي وطالت التجمعات الاستيطانية في القدس وتل أبيب، في الوقت الذي أخفق الجيش الإسرائيلي في محاولته دفع وحداته البرية في توغل بري لأراضي قطاع غزة، ولم يتمكن من تحقيق أي تقدم في المعركة فذهب إلى تكثيف النيران وقصف الأحياء السكنية وتدمير المنازل والمنشآت التعليمية والصحية والثقافية، لعدم توفر أهداف حقيقية يجبي من خلالها ثمناً يتباهى به أمام الجمهور الإسرائيلي الذي أخذ يفقد ثقته بالجيش الإسرائيلي، نظراً لشعوره بفقدان الأمن الشخصي وعدم الاستقرار. ذلك أن المقاومة حققت معادلاً للردع في المواجهة مع قوات الاحتلال، إذ أدخلت الكيان الصهيوني في معادلة الصراع على القدس، للحيلولة دون الاستفراد بها وبأهلها، ومن أجل حماية مقدساتها وهويتها التاريخية من التزوير والتذويب. لقد كشفت معركة سيف القدس صورة الكيان الصهيوني على حقيقتها أمام العالم، فأظهرت وحشيته وعنصريته، وأسقطت كل ادعاءاته بالديمقراطية، وأكاذيبه التي يهدف من ورائها التغطية على جرائمه التي يرتكبها بحق الشعب الفلسطيني، ويتهم بالإرهاب كل من يدافع عن وجوده وأرضه وكرامته، واضعاً نفسه في موقع الضحية والشعب الفلسطيني في موقع الجلاد. غير أن الشعب الفلسطيني يثبت كل يوم أصالته الثقافية والتاريخية في أرضه، وأن الكيان الصهيوني ظاهرة استعمارية مصطنعة وغازية لبلادنا لا بد أن تزول.

جمعية الصداقة الفلسطينية الإيرانية
تشرين الثاني /2021

سيف القدس .. الحرب الرابعة
(المقدمات .. الأهداف .. ما بعد المعركة)

د. محمد البحيصي / كاتب وباحث
رئيس جمعية الصداقة الفلسطينية - الإيرانية

مقدمات المعركة:

قرن من الزمان مرّ على الشعب الفلسطيني وهو في عين عاصفة المشروع الغربي الصهيوني الذي يستهدف الأمة أرضاً وإنساناً وثروةً وذاكرة، حيث مثّلت فلسطين النقطة المركزية لهذا لمشروع ومنصّةً ثابتة لتأمين تحقيق أهدافه في تجزئة الأمة وهزيمتها النفسية والهيمنة على مسارها ومصيرها.

ومع بدايات تطبيقات هذا المشروع في فلسطين تنبّه الفلسطينيون لخطورته، وبدأوا في مقاومته، ولكن المؤامرة الدولية الاستكبارية وأدواتها في المنطقة حالت دون نيل الشعب الفلسطيني حريته واستقلاله.

وإلى أن أُعلن عن تأسيس الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين باسم "إسرائيل" كان الفلسطينيون قد قدّموا الآلاف من الشهداء. وتم تهجير غالبيتهم فيما عُرف بالنكبة في العام 1948.

وإلى يومنا هذا وبعد مرور أكثر من سبعين سنة على هذه النكبة والفلسطيني يقف في الخندق المتقدّم ويتصدّى للمشروع الصهيوني الذي يستهدف الأمّة، ويمثّل حائط الصد الأول في مواجهته.

وعلى طول نكبة الشعب الفلسطيني والأمّة كانت (القدس) وعنوانها ((المسجد الأقصى)) بمثابة الصاعق الذي فجّر انتفاضات فلسطين وثوراتها، وهي بهذا الدّور تؤكّد على الحقيقة القرآنية التي جعلت منها أرضاً مقدّسة مباركة، وقبلة المسلمين الأولى ومهد المسيح وثالث الحرمين الشريفين ومسرى ومعراج رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وما من فعل سياسي أو ثوري جهادي إلّا وكانت القدس كلمة سرّه، ومفتاحه.

وامتدّ هذا الدّور إلى خارج فلسطين حيث ظلّت القدس حتى عند أولئك الكاذبين المنافقين من الساسة والقادة العرب شعاراً تلوكه ألسنتهم، ليتسلقوا عليها ويحكموا قبضتهم على شعوبهم باسم نصرة فلسطين والقدس.

ولو رجعنا إلى تاريخ الأمة لوجدنا القدس والمسجد الأقصى قد قاما بدور الحافظة والجامعة والرافعة لهذه الأمة من الغزوات الصليبية وإلى يومنا هذا. وبمقدار ما كانت القدس قبلة جهاد الأمة، وجامعة كلمتها، وموحّدة صفها، وملهمة حركتها نحو النهضة والتحرّر، بمقدار ما كان التخلّي عنها عنواناً لمرض الأمة وضعفها وهوانها، وانحطاطها.

فالقدس كانت وستظلُ مركز الصراع الكوني بين الحق والباطل، وستظلّ الفرقان بين أهل الإيمان، وحزب الشيطان، وبين الصّادقين من هذه الأمة والكاذبين، وهذا هو الدّور الإلهي الذي أناطه الله بهذه البلدة المقدّسة، وقد اختارها الله لهذا الدّور، وأودع فيها ما يُؤهّلها له.

وهنا نصل إلى الأحداث التي عاشتها القدس وكانت السبب في تفجّر انتفاضة رمضان المقدسية، وهي لم تكن المرّة الأولى التي يتعرّض فيها المسجد الأقصى الشريف وأحياء القدس للانتهاك، ولكنّها كانت الأكثر اتساعاً وعنفاً وتجرّؤاً من قبل العدو تجاه هذه المدينة وأهلها، حيث كان المطلوب والمعمول عليه يقتضي أن يتم إغلاق باب العمود في وجه المقدسيين، وهذا يعني مصادرته بعد فترة من الزمن مثلما جرى في باب المغاربة، ومن قبل في أحياء أخرى، أحياء المدينة القديمة بواسطة المستوطنين المدعومين بقوات الجيش والشرطة والأمن الإسرائيلي، ومن هنا تنبّه المقدسيون لهذا المخطط الذي يفتح الباب لجماعات بناء الهيكل اليهودية المجرمة للاستيلاء لاحقاً على أجزاء من المسجد الأقصى في سياق خطّة تقسيم المسجد زمانياً ومكانياً مثلما حدث من قبل في الحرم الإبراهيمي في الخليل، وهو ما حرّك أبناء المدينة للدفاع عن مدينتهم ومقدّساتهم وبدأوا انتفاضتهم التي استطاعت فرض إزالة الحواجز وإسقاط مشروع إلحاق باب العمود بالمناطق التي تمّت مصادرتها في القدس.

وما إن نجح المقدسيون في تحقيق الهدف، حتى كانت قضية حي الشيخ جرّاح ومشروع طرد عوائل الحي من منازلهم بحجّة أنّها مملوكة لليهود، وهو ما دحضته

وثائق الملكية التي تقدّم بها أصحاب المنازل المهدّدون بالطرد، ومع هذا أصرّ العدو على تنفيذ مخطّطه وهو ما استدعى توسيع دائرة المواجهة مع المنتفضين من أبناء القدس، ومعهم أبناء فلسطين المحتلة منذ العام 1948، الذين كانوا على الدوام يمثلون السياج الأول مع أبناء المدينة في الدفاع عنها.

واحتدمت المواجهات بين العدو من جهة والمدافعين عن الوجود الفلسطيني في القدس من جهة أخرى وهي المواجهات التي ارتقى فيها شهداء، وأصيب فيها العشرات.

كلّ هذا جرى متزامناً مع مخطط اقتحام المسجد الأقصى الذي كان مقرّراً من قبل أكثر من /40/ ألف مجرم يهودي من الجماعات اليهودية الأكثر تطرّفاً، وبمباركة من الحكومة الإسرائيلية وحماية من أجهزة الشرطة والأمن، وذلك يوم 28 رمضان من هذا العام، ممّا اقتضى من الفلسطينيين إعلان النفير العام في القدس وأراضي الـ 48، والضفة، وهو ما استوجب دخول المقاومة في غزة على خط هذه المواجهة التي رأت فيها المقاومة ضرورة التدخل بدون تردّد نصرة للقدس والأقصى، وأداءً لواجب وطني على قاعدة حماية مقدّسات فلسطين والأمة، ووحدة التراب والإنسان الفلسطيني الذي راهن البعض على انقسامها.

وفي سياق مسؤولياتها التاريخية في حماية الأرض والإنسان والمقدّسات، وهي الغاية التي لأجلها تأسست قوى المقاومة وفصائلها، وفي الطليعة منها حركتي حماس والجهاد الإسلامي، فقد دخلت المقاومة في المعركة مباشرةً، وقد استفادت من قداسة الزمان والمكان في شهر رمضان والقدس والمسجد الأقصى، ومن الزخم الذي شهده يوم القدس العالمي هذا العام في فلسطين والعالم الإسلامي، ومن الروح الإيمانية العالية التي أظهرها أبناء القدس وأراضي الـ48 في مواجهتهم الرمضانية، وكذلك النقمة التي عبّرت عنها الشرائح كافة من مسألة تأجيل الانتخابات بسبب الموقف من القدس.

كما أنّ من الأسباب التي مهّدت لهذه الانتفاضة وهذه المعركة الوضع المزري للنظام السياسي الفلسطيني المتمثّل في (السلطة الفلسطينية) التي تبدو عاجزة أمام الهجمة الصهيونية على القدس والمسجد الأقصى، وتحرص على التمسّك

بالنهج الذي سارت عليه منذ اتفاقات أوسلو، وهو النهج الذي أوصل القضية الفلسطينية إلى ما وصلت إليه من تهميش في المنظومة الدولية، وفتحت الباب واسعاً أمام الكيان الصهيوني لمزيد من مصادرة الأراضي والاستيطان، وكبّلت يد المقاومين في الضفة من خلال التنسيق الأمني مع العدو ومن خلال قمع كل مظاهر مقاومة الاحتلال بالشكل الإيجابي المؤثّر، ومصادرة الحريّات في التعبير عن تبنّي خيار المقاومة غير تلك التي ترسمها السلطة والتي ثبت عدم فاعليتها، ومن خلال الاعتقالات السياسية التي تطال الناشطين المعارضين لأوهام التسوية مع العدو والتعايش معه.

وهنا فإنّني لا أستثني النظام السياسي الفلسطيني برمّته حيث تراجع أداء الكثير من الفصائل واقتصر على إصدار البيانات، وغابت مسؤوليتها عن الجماهير وهموم الناس وحاجياتهم، وتخلّت عن وظيفتها الأساس في مشاغلة العدو والاشتباك معه وزعزعة أمنه ورفع كلفة احتلاله .

وهنا الوضع قاد إلى انسداد الأفق امام الجماهير الفلسطينية ممّا زاد من احتقانها واستعدادها لتوجيه غضبها باتجاه العدو المحتل كوسيلة مُثلى للتخلّص من أمراض فساد المنظومة السياسية واستعادة روح القضية باعتبارها قضية شعب وليست قضية فصيل أو حركة.

أهداف معركة سيف القدس:

كأيّة معركة بين طرفين لا بدّ وأن يكون لكلّ طرف أهدافه من خوض أيّة مواجهة، وإلّا كانت مواجهته عبثية. ولا شكّ أنّ معركة (سيف القدس) اندلعت وكان لكل طرف من أطرافها أهدافه التي حسب لها حساباته، وأعدّ بناءً عليها استعداداته، وجمع لها قدراته، وطرفا المواجهة في هذه المعركة هما الطرف الفلسطيني ممثّلاً بفصائل المقاومة ومعها جماهير الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين التاريخية وخارجها، وكذلك جماهير أمتها وأحرار العالم، والطرف الثاني هو الطرف الإسرائيلي ومعه حلفاؤه التاريخيون في الولايات المتحدة والغرب وأدواته من أنظمة الخيانة والتآمر والتطبيع والإلحاق.

ومن البداية فإنّ الفلسطيني يدرك بأنّ موازين القوى من حيث القدرات العسكرية والتقنية غير متوازنة، وهي لم تكن كذلك طيلة تاريخ الصراع مع العدو، هذا

العدو الذي تسلّح حتى الأنياب بأحدث وسائل القتل والتدمير الأمريكية على قاعدة التفوّق الإسرائيلي العسكري ليس على الفلسطينيين فحسب وإنّما على المنطقة العربية والإسلامية، وهذا الإدراك لم يُفارق أو يغب عن ذهن الفلسطيني وهو يخوض كل معاركه مع هذا العدو، ومع هذا فإنّه (أي التفوّق) لم يكن في يوم من الأيام سبباً أو حائلاً دون مقاومة الفلسطيني وانتفاضته ومواجهته لهذا الكيان، حتى عندما كان يواجهه بالحجارة.

- **أولاً: أهداف الطرف الفلسطيني (المقاومة):**

1. ضرورة الاستجابة مع نداء القدس والأقصى للتأكيد بشكل قاطع على:

أ- وحدة التراب والإنسان الفلسطيني مساراً ومصيراً: وهذا الهدف يقطع كل حديث عن تقطيع أوصال الشعب الفلسطيني ما بين غزة والضفة والقدس والـ48، وهذا ما سعى إليه العدو منذ تأسيس كيانه الغاصب، فكان لا بدّ من موقف يعيد الاعتبار لهذه اللحمة ويوجّه رسالة واضحة بهذا المضمون.

ب- التأكيد على مكانة القدس والمسجد الأقصى باعتبارها تمثّل مركزية القضية الفلسطينية التي هي القضية المركزية للأمّة، ورفض كل أشكال التهويد والمصادرة والتدنيس لهذا المقدّس الذي يمثّل رمزاً لأمة الإسلام.

ج- إفشال مخططات العدو تجاه القدس والمسجد الأقصى كما رأينا في باب العمود والشيخ جرّاح.

2. التأكيد على حق الشعب الفلسطيني الفطري والطبيعي فضلاً عن الديني والإنساني في الدفاع عن نفسه وعن حقّه المطلق في الأراضي الفلسطينية، كشعب تحت الاحتلال كفلت كل الشرائع والقوانين له هذا الحق.

3. الرد على كل المتهوكين والمرجفين الذي وصفوا المقاومة في يوم من الأيام بالعبثية، وبالارتباط بأجندات خارجية غير وطنية.

4. ديمومة الاشتباك مع العدو. وهذه هي المهمّة الأساس للمقاومة لكسر قواعد الاشتباك معه وفرض معادلات تتناسب مع قدرات المقاومة، وجعل العدو

يدفع كلفة احتلاله، وضرب منظومة أمنه القومي في الصميم من خلال فرض توازن الرّدع والرعب، وتشكيك المستوطنين في قدرة الجيش الإسرائيلي وزعزعة الثقة فيه، ممّا يمثّل خطراً وجودياً على هذا الكيان.

5. استنهاض الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وتفعيل قدراته وتوجيهها نحو المواجهة مع العدو، لأنّ الشعب الفلسطيني يمثّل حجر الزاوية في مشروع ومحور المقاومة باعتباره في الخندق الأول، ويمثّل حائط الصد دفاعاً عن أمته ومقدّساته، وبنهضته وقيامه يتم استنهاض سائر شعوب الأمة، ويستفز طاقاتها، ويحشدها في خط المقاومة، وخط المعركة الفاصلة الآتية.

6. استعادة موقع فلسطين وقضيتها على أساس أولويات المنطقة والعالم، بعد أن حاول البعض من الفلسطينيين وغيرهم من المتواطئين دفعها بعيداً خارج سلّم الأولويات وإسقاطها من اهتماماتهم، وقد لعب نهج التسوية الذي سلكه البعض الفلسطيني دور الغطاء لأولئك البعض الذين أرادوا طمس هذه القضية.

7. دفع باطل المطبّعين المتحالفين مع العدو، وفرزهم وفضحهم، وكشف سوءاتهم من خلال كشفهم أكثر أمام شعوبهم، واعتبارهم خارجين عن إجماع الأمة ومصالحها، وإسقاط كل دعاواهم التي حاولوا فيها شيطنة الفلسطيني، وتزيين صورة اليهودي الصهيوني وتسويقه لدى النخبة من شعوبهم.

8. توجيه رسالة واضحة للعالم الغربي الذي يقف صامتاً على نكبة ومأساة ومظلومية الشعب الفلسطيني منذ أكثر من سبعين سنة، ولا يكتفي بذلك بل هو يساوي بين الضحية والجلّاد، ولا يكترث بما تقوم به إسرائيل من إرهاب ضد الشعب الفلسطيني، ولربّما اتّهم الضحية بالإرهاب إذا هي قاومت العدوان ودافعت عن نفسها.

9. توجيه رسالة إلى النخب الثقافية والفكرية في العالم وإلى كل صاحب رأي مفادها أنّ الشعب الفلسطيني شعب أصيل على هذه الأرض، وأنّ من حقّه أن يعيش بحرية وكرامة على أرضه كسائر شعوب العالم، وأنّ هذا الكيان الصهيوني المصطنع القائم على البطش والقتل والإرهاب والعدوان غريب عن

هذه الأرض وعن هذه المنطقة، وقد آن الأوان لرفع الصوت لفضح ممارساته، وكشف زيف الأسانيد القانونية والدينية التي قام على أساسها بإدارة غربية صهيونية وظّفت كل طاقاتها ومكرها ونفوذها لأجله دون أدنى مراعاة لحقوق الشعب الفلسطيني التاريخية في فلسطين كل فلسطين.

▪ ثانياً: أهداف العدو الصهيوني:

1- كسر إرادة المقاومة وضرب قدراتها القتالية والمعنوية، وفرض معادلات ميدانية تخدم استمراره في العدوان والإرهاب ومصادرة الحقوق.

2- التأثير على بيئة المقاومة التي تُمثّل الحامل والحاضن لمشروع المقاومة، والتي تزوّد المقاومة بأسباب الصمود والتطوير والارتقاء والمواجهة، ومحاولة زعزعة ثقة جمهور المقاومة بمقاومته، وانفضاض الجمهور عنها وعزلها وحيدة في ميدان المواجهة.

3- كي وعي الفلسطيني وتكريس ثقافة اليأس والإحباط والضعف والهزيمة، والشعور بعدم جدوى المقاومة، وذلك من خلال تدمير البُنى التحتية والمصالح العامة والأحياء السكنية، واستهداف المدنيين، وتعطيل حياة الناس وأشغالهم..الخ.

4- تمهيد الطريق أمام تسويات ظالمة يظن العدو أنّه قادر على فرضها على الشعب الفلسطيني من خلال العنف الأقصى والإرهاب والتدمير الشامل، ممّا يمكن أن يعطي مجالاً للساقطين واللاهثين وراء سراب التسوية أن يسوّقوا لمشاريعهم باسم السلام مقابل تحسين الأوضاع، وهو ما بات يُعرف بـ (السلام الاقتصادي).

5- تسهيل مهمة الأنظمة الخضعة (المطبّعة) إزاء شعوبها لتبرير تحالفها مع العدو، وتشجيع المتردّدين من بعض الأنظمة للالتحاق بقطار الخيانة التطبيعي، وإرسال رسائل تطمين لهذه الأنظمة مفادها أنّ إسرائيل قوية وقادرة على حمايتها.

6- استعادة الثقة المتزلزلة في قوة وقدرة الجيش الإسرائيلي وتفوّقه، لا سيّما وأنّ هذا الجيش لم يحقّق أي انتصار في كل حروبه التي خاضها مع قوى المقاومة

بعد 1982، وباتت عقيدته الأمنية محل سخرية واستهزاء من قبل المستوطنين، ومعلوم كم هو خطير أن يفقد الإسرائيلي ثقته بجيشه الذي ضخّم الإعلام قدراته إلى حدّ اعتباره جيش لا يُقهر، وهنا يأتي دور المقاومة في تحطيم هذه الصورة، وإظهار هذا الجيش على حقيقته وأنّه جيش غير قادر على حماية مدن ومنشآت الكيان الحيوية وهو يواجه مجموعة من المقاومين، فكيف إذا كنت المواجهة أوسع وأشمل؟!.

7- إعادة توجيه الجبهة الداخلية الإسرائيلية التي تُعاني انقسامات حزبية وعنصرية عرقية وفراغاً وفساداً في القيادة، تجلّى في أربعة انتخابات كنيست في عام واحد، دون القدرة على حسمها لصاح حكومة مستقرّة. ناهيك عن انتشار الجريمة المنظّمة، والتراجع الاقتصادي والعزلة الدولية، وظهور جيل جديد في إسرائيل غير مستعد للتضحية ويميل إلى حياة الترف، وأصوات باتت تشعر بالقلق الوجودي من إمكانية إسرائيل للبقاء مدة أطول في هذه الأرض.

وبنظرة موضوعية لهذه الأهداف لطرفي المعركة نستطيع الجزم بأنّ المقاومة قد أنجزت أهدافها بما لا يمكن الزيادة عليه في هذه الأيام الأحد عشر (هي أيام المعركة) وهو أمر غير مسبوق في تاريخ الصراع، ويكفي هنا أن نتحدّث عن توحيد جبهات المواجهة الفلسطينية بحيث بتنا نرى الشعب الفلسطيني صفّاً واحداً في خط المواجهة بكل أبعادها فيما يمثّل استفتاءً على أمرين هما: وحدة الشعب، والمقاومة، وهذا الاستفتاء بنظري أهم بكثير من موضوع الانتخابات التي شغلت الساحة الفلسطينية في الفترة السابقة للمعركة، إذ أنّ الانتخابات كان يمكن أن تُفضي إلى تجديد وإعادة انتاج حالة التشرذم والانقسام في الساحة الفلسطينية، ومنح فريق المساومة والتسوية الموهومة فرصة إضافية ليتحكّم في القرار الفلسطيني ويُكرّس نهجه الذي دمّر البرنامج الوطني الفلسطيني.

بينما جاء الاستفتاء الشعبي في هذه المعركة بنتيجة الوحدة الميدانية والالتفاف حول خط ونهج المقاومة كطريق أوحد لاستعادة وانتزاع الحقوق، وهذا ما ينبغي أن يُبنى عليه في لاحق الأيام.

يُضاف إلى هذا الهدف الاستراتيجي سائر الاهداف التي حدّدتها المقاومة وفرضتها وقائع المعركة وذكرناها، وبما لا يدع مجالاً للشك في أنّ هذه المعركة كانت أهم المعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني والتي تُؤسس لمرحلة جديدة في الحياة الفلسطينية.

وأمّا الطرف (الإسرائيلي) المعتدي، فإنّ مشهد المعركة انكشف عن خيبة جديدة، وفشل ذريع سجّله الجيش الإسرائيلي رغم كل الإمكانات التي يمتلكها، ورغم الفرصة الطويلة التي مُنحت له أمريكياً للإيغال والتدمير والإرهاب، ورغم الدّعم الذي تلقاه من أنظمة التطبيع والألحاق.

هذا الفشل حتماً سيكون له تداعياته الداخلية في الكيان والخارجية في الأقاليم والعالم، ولا سيّما في الولايات المتحدة الأمريكية حيث بدأ يظهر جيل جديد من السياسيين والمفكرين لا يحمل لإسرائيل ذات الموقف بل يرى فيها عبئاً على الولايات المتحدة، وضرراً على مصالحها.

وسنرى في الأيام القريبة القادمة تداعيات هذه المعركة على الداخل الإسرائيلي الذي كشف عن هشاشته، وتفككه البنيوي.

وهنا فإنّ المعركة كشفت بجلاء عن أوراق قوّة الطرف الفلسطيني كما أنّها كشفت عن أوراق ضعف العدو وبإدراك نقاط قوّتنا يمكن تشخيص نقاط ضعفنا، وهذا أيضاً ينطبق على العدو.

ويمكن تسجيل أوراق قوّة الفلسطيني كالتالي وباختصار:

1. ورقة المقدّس الذي تمثّله مدينة القدس والمسجد الأقصى، حيث قامت هذه الورقة بدور محوري مركزي في جمع الصف ووحدة الكلمة والموقف، ورجمت دعاة الاستخفاف بالمقدّسات وبدور العامل الديني بحجارتهم وأخرستهم.
2. ورقة وحدة المعركة (وحدة الدم والتراب والبرنامج) وهي الورقة التي برزت في هذه المعركة من خلال توحيد الجبهات الفلسطينية الأربعة في الداخل الفلسطيني، وأسقطت مشاريع تجزئة هذا الشعب وقسمته والاستفراد بكل جزء على حِدَة كما كان الحال في المواجهات السابقة.

3. ورقة المقاومة التي قدّمت نموذجاً في الإبداع والشجاعة، والقدرة على استيعاب متطلبات المعركة وبناء القوة إعداداً وتأهيلاً وتطويراً وتجربةً وتكتيكاً، وأجادت استعمال أدوات المعركة في الزمان والمكان المناسبين، وتمكّنت من القراءة الصحيحة لمعطيات المعركة وخطط العدو، وأهدافه، وامتلكت زمام المبادرة من اللحظة الأولى للمعركة وحتى وقف إطلاق النار.

4. صوابية الاصطفاف في محور المقاومة بما يمثّله من عمق عربي وإسلامي وعالمي، وهو ما أثبت جدواه، وظهرت آثاره في صمود المقاومة وقدرتها على المناورة وردع العدوان، وهذا التطوّر النوعي في الأسلحة المستخدمة الذي أربك حسابات العدو.

وأمّا أوراق ضعف العدو فتمثّلت في :

1) تآكل قوة الرّدع التي روّج لها وسوّق طوال عقود من الزمن، رغم امتلاكه أحدث آلات التدمير والإرهاب من أحدث الأسلحة الأمريكية ولا سيّما سلاح الجو والقبّة الحديدة، حيث لم تعد هذه القوّة قادرة على حسم أيّة معركة، وهو ما أثّر سلباً على معنويات الجنود والمستوطنين، وزعزع الثقة في الجيش وأسقط هيبته ومكانته.

2) هشاشة الجبهة الداخلية وعجزها عن الدخول في مواجهة طويلة مع المقاومة، وقد بدا هذا واضحاً على مستوطنات غلاف غزة، بل وامتّد إلى المدن الكُبرى مثل تل أبيب وغيرها.

3) الإفراط في استخدام القوة وهو ما تعتمد عليه إسرائيل في حروبها، بات مصدر إزعاج بالنسبة لحلفائها بحيث باتوا مُحرَجين أمام شعوبهم والعالم، ولم يعودوا قادرين على الدفاع عن سلوك العدوانية الإسرائيلية، وبات هذا الأمر يؤثّر سلباً على مصالحهم الحيوية، وهذا ما عبّر عنه الموقف الأمريكي من هذه المعركة، وانتقاله من مقولة حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها إلى الإلحاح على إسرائيل لوقف هذه المعركة، وهذا أثّر على قدرة إسرائيل في الاستمرار في إطلاق يدها دونما وازع من رقيب.

ما بعد المعركة:

ما يعنيني أكثر هنا هو ما بعد المعركة (فلسطينياً) وأمّا إسرائيلياً فقد درج الصهاينة على تشكيل لجان لتقييم معاركهم، وربّما تصاعدت الخلافات الداخلية في سياق الصراع مع السلطة، وسيُقال الكثير في إسرائيل عن فشل الجيش في حسم المعركة، ولربما امتدّ هذا الكلام ليصل إلى حقيقة التهديد الوجودي لإسرائيل من خلال ما شهدته المعركة من وحدة الجبهة الفلسطينية، والحراك القوي والدّور الذي قام به فلسطينيو الـ48، وهو ما يفتح الباب على هذا الدّور وطبيعة العلاقة مع الكيان الصهيوني بعد أكثر من سبعين سنة من الاحتلال ومحاولة الأسرلة والتدجين وطمس الهوية.

أمّا فلسطينياً وهو الأهم فإنّ هذه المعركة بمساراتها ونتائجها لا يجوز أبداً أن تمر مرور الكرام، وكأنّها حدث تنطوي صفحته بانتهائه. ولا يجوز ولا يُعقل أن تعود الحالة الفلسطينية إلى ما كانت عليه قبل هذه المعركة من انقسام وخلاف وخصومات، وتناقض في المواقف، وغياب للرؤية الجامعة المشتركة، والبرنامج الوطني الموحَّد والموحِّد، وغياب المرجعيات والاختلاف عليها، وانتهاء صلاحية الشرعيات، والمراهنة على وهم التسوية المدمّر، والركون إلى لغة الضعف والاستجداء، والرفض اللفظي لمشاريع العدو.

لا يجوز الحديث، بل من الكفر والجحود لدماء الشهداء وتضحيات الشعب أن نعود للحديث عن سلطة في الضفة وسلطة في غزة، وعن تعطيل المؤسسة الوطنية الجامعة أعني (منظمة التحرير) بعد أن صُودرت هذه المنظمة وانحصرت في شخص أو دائرة قرار ضيّقة لا تُمثّل كل الشعب، بل حتى لا تُمثّل القوى الرئيسية في هذا الشعب، وباتت مؤسسة تحت الطلب بلا عمل ولا دور، ولا تمثيل.

بعد هذه المعركة لا يستطيع عاقل أن يستوعب الاحتفاظ باتفاقيات أوسلو ومعها وثيقة الاعتراف بالعدو، فضلاً عمّا يترتّب على هذا من استمرار للتنسيق الأمني وهو الذي لم يتوقّف أبداً، ولا يملك أصحابه القدرة على ذلك طالما أنّ وجودهم الوظيفي مرتبط بأوسلو.

لا يمكن العودة للحديث عن هيمنة هذا الفصيل أو ذاك على إدارة الصراع مع العدو بكل وجوهه، ولا يمكن تصوّر تهميش غالبية الشعب لصالح هذا الفصيل أو

ذالك فالشعب كلّه مقاوم كلٌ في مكانه وبحسب جهده، وهذا ما يجب على فصائل المقاومة أن تستوعبه لتتجاوز الانغلاق الفصائلي الفئوي الذي يخلق الانقسام ويكرّسه.

إنّ حركات التحرّر في العالم تبدأ بعنوان يخصّها ويؤطّرها وهذا طبيعي، ولكن لا تظل أسيرة هذا العنوان وهذا المُسمّى بل تتسع دائرة إطارها لتشمل الكل الوطني، وهذا هو التعبير الحقيقي والضروري لمن أراد أن يتعاطى مع شعبه ويستفيد من كل طاقاته، وقد آن لحركات فلسطينية بعينها وأعني بها حركات المقاومة (حماس والجهاد) أن تتعاطى مع هذه القضية بما يضمن لها أنها حركة الشعب وتمثّل الشعب، ومثل هذا ينطبق على حركة فتح فيما لو تخلّصت من أوساخ أوسلو وعادت إلى نهجها القديم كحركة تحرر لا كحزب وسلطة.

مطلوب من شعبنا وقواه البحث عن آليات جديدة تنظّم العلاقة بين فصائله وجماهيره بعيداً عن الفئوية، وبات وجود مرجعية مقاومة واحدة تمتلك برنامجاً وطنياً واحداً واجباً لا مفرّ منه ولا مناص، وقد مهّدت معركة (سيف القدس) الطريق لمثل هذه المرجعية المُؤهّلة لقيادة المرحلة.

معركة سيف القدس صفعة استراتيجية للكيان الصهيوني

خالد عبد المجيد
الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني

المقاومة الفلسطينية حققت انتصارها على الكيان الصهيوني بفضل وحدتها وتضافر جهود مختلف فصائلها وشعبها على امتداد الأراضي الفلسطينية المحتلة وأن المعركة الأخيرة مع الصهاينة كانت جزءا من مشروع إنهاء الاحتلال الصهيوني لفلسطين وشكلت صفعة استراتيجية لهذا الكيان وجيشه وأدواته وداعميه.

إن استراتيجيّة التلاحم والوحدة هي أهمّ الأسلحة في معركة سيف القدس التي كانت تجسيداً للوحدة بدءا من القدس وقطاع غزّة إلى الضفة الغربية وأراضي الـ 48، وكل أبناء شعبنا حيث تعززت وحدتهم الوطنية الميدانية التي واجهت بتصميم وتمسك كبير بأرض فلسطين وبحقوق شعبنا الفلسطيني وأظهرت مواجهة بطولية للاحتلال الصهيوني والصمود أمام الجرائم التي ارتكبها في القدس وأحيائها وخاصة في الشيخ جراح والأراضي المحتلة عام 1948 والضفة الغربية، إضافة إلى الصمود الكبير والعظيم لأبناء شبعنا في قطاع غزة وما قامت به المقاومة الفلسطينية وفصائل الثورة الفلسطينية في مواجهة هذا العدوان؛ والتي قدمت نموذجاً حياً في الصمود لم يشهد له مثيل، وهذا أعطى دليلاً قاطعاً على تمسك شعبنا بأرضه وبحقوقه وأدى إلى تفاعلات وتضافر وتكامل مع دور جماهير أمتنا العربية والإسلامية وأحرار العالم مع هذا الصمود.

لقد شكلت إرادة الصمود والنضال والمقاومة لدى شعبنا الفلسطيني الذي مارس كل أشكال النضال والجهاد في مواجهة الاحتلال والعدوان، بدءاً من الاحتجاجات والمظاهرات والصمود أمام إجراءات الاحتلال والمقاومة بالحجر والسكين، وبكل أشكال المقاومة التي تطورت إلى إطلاق الصواريخ بكل أشكالها على عاصمة كيان

العدو الصهيوني، وعلى كل المستوطنات في وسط وجنوب فلسطين المحتلة وصولاً إلى كل قواعد ومعسكرات الكيان الصهيوني، والتي شكلت انطلاقة جديدة لإرادة هؤلاء الشباب الذين ضربوا المثل القوي في مواجهة الاحتلال ، وهذا التطور العسكري النوعي الذي لاحظناه خلال الحرب الأخيرة على قطاع غزة والرد القوي من قبل فصائل المقاومة الفلسطينية، حيث كان للدور الذي لعبته أطراف محور المقاومة وخاصة الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي كان لها الدور الكبير في تعزيز قدرات المقاومة الصاروخية، وتدريب هؤلاء الشباب الذين أبلوا بلاءً حسناً في مواجهة الاحتلال.

إن التنسيق والعمل المشترك بين فصائل المقاومة الفلسطينية وكل قوى شعبنا الحية في كل أرجاء فلسطين كان له الأثر الكبير في إيقاع الخسائر داخل صفوف العدو، والتي شكلت مفصلاً تاريخياً في مواجهة هذا العدو، وفي هذا المجال لابد أن نذكر أن وحدة الموقف بين كل حركات المقاومة الفلسطينية هي الأساس في تحقيق هذا الانتصار، لكن لا بد لنا أن نشير إلى ما يطرح في الساحة الفلسطينية حول الوحدة الوطنية الشاملة، وخاصة مع أطراف السلطة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية؛ حيث أنه لا يمكن أن تؤدي "هذه الوحدة " إلى خطوات جادة في مواجهة الاحتلال، لأن قيادة السلطة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية مستمرة بالتنسيق الأمني مع الاحتلال وتلتزم باتفاقيات ومعاهدات اتفاقيات أوسلو، وأن الكلام عن الوحدة قيادة السلطة والمنظمة ليس له علاقة بالمشروع الوطني، والتجربة السابقة في الحوارات الفلسطينية لم تكن تجربة ناجحة بل على العكس، حاولت القيادة الرسمية للسلطة والمنظمة بالتعاون مع النظام الرسمي أن تحاصر قوى المقاومة وأن تمارس ضغطاً على قوى المقاومة من أجل محاولة جرها لسياسات الخضوع لشروط العدو، ولذلك كانت الوحدة في الميدان بين كل فئات الشعب الفلسطيني التي واجهت الاحتلال والعدوان ووحدة فصائل المقاومة الفلسطينية والتي ارتقى مستوى التنسيق بينها الى أعلى مستوى خاصة في هذه الحرب وهذه المعركة الناجحة التي خاضها شعبنا بقيادة فصائل المقاومة الفلسطينية، لهذا فإننا نحذر من محاولات النظام العربي الرسمي ومن

قيادات السلطة ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تحاول الالتفاف على هذا الانتصار وإجهاضه من خلال الدور الذي تلعبه بعض الدول العربية، خاصة مصر والسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي والأردن وغيرها التي تحاول احتواء الموقف مجدداً للوصول إلى مسار سياسي برعاية الرباعية الدولية والذي سيؤدي الى نتيجة أخطر من النتيجة في اتفاقيات أوسلو.

إن ما حصل في الحرب الأخيرة والدور الذي لعبته فصائل المقاومة بالدفاع عن القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية وتراثها وتاريخها والدفاع عن الشيخ جراح والقوة الصاروخية في قطاع غزة غيرت قواعد الاشتباك على أصعدة مختلفة، وعلى صعيد هذه الحرب وهذا الأسلوب وهذه الاستراتيجية في مواجهة العدوان الذي يملك آلة عسكرية كبيرة ويملك السلاح النووي إلا أن هذه الاستراتيجية واستراتيجية الصواريخ والحرب الشعبية التي خاضها شعبنا في قلب الاحتلال أدت إلى قلب موازين القوى على الصعد العسكريّة والسياسية والنفسية والمعنوية؛ حيث أصابت العدو في العمق وأصابت استراتيجيته، ونعتبر أن ما جرى من انتصار وصمود شكل معجزة حقيقية بعد 73 عاماً من الاحتلال وبعد 73 عاماً من قهر الفلسطينيين خاصة في أراضي 1948 التي شكلت نموذجا جديداً في تكامل المواجهة والنضال ضد العدو الصهيوني.

لقد كان لمعركة سيف القدس نتائج وتداعيات كبيرة وشكلت محطة نوعية في صراع الأمة مع الاحتلال الصهيوني، وفي مواجهة العدوان والوحشية الصهيونية تجاه الشعب الفلسطيني في غزة والضفة والقدس وأراضي 1948، ودور الكيان الصهيوني مع الولايات المتحدة الأمريكية وبالتنسيق مع دول عربية طبعت علاقاتها باتفاقيات تعاون مع هذا العدو الصهيوني؛ لذلك نعتبر أن هذه المعركة شكلت محطة ومفصلاً تاريخيّاً كبيراً في قرب إزالة هذا الكيان، وما حصل في هذه الحرب باعتراف الكيان الصهيوني الذي كان يدافع عن وجوده ومستقبله حيث أصيب المجتمع الصهيوني في وعيه وكذلك المؤسسات وقطاعات واسعة، وقالت مراكز

الأبحاث بأن المعركة كانت معركة وجودية أدّت إلى اختلال موازين القوى واختلال في تفكير هذه المؤسسات وأصبحت العديد من العائلات في

الكيان الصهيوني تبحث عن العودة الى البلاد التي هاجرت منها، سواء من الولايات المتحدة الأمريكية، أو أوروبا، أو دول أخرى ...

فلذلك تزعزعت الثقة لدى المجتمع الصهيوني بقيادته ومؤسساته العسكرية والسياسة التي خدعته طوال 73 عاماً بأنها قادرة على التوسع وقادرة على حماية هذا المشروع، واليوم يتبين إن هذا المشروع الصهيوني الى زوال وهذه المعركة التي هي جزء من معركة الأمة، وجزء من معركة محور المقاومة، ستؤدي في النهاية الى زوال هذا الاحتلال.

ونعتبر أن زوال الاحتلال حقيقة أكدتها المعارك التي خاضتها هذه الأمة مع الكيان الصهيوني والمشروع الأمريكي، وأكد الشعب الفلسطيني هذا الموقف العقائدي لجماهير أمتنا ولشعبنا ولأحرار العالم، خلال تمسكه رغم مرور 27 عاماً على اتفاقيات الذل والعار التي وقعتها القيادة الفلسطينية في أوسلو ووقعها نظام مصر بكامب ديفيد والأردن في وادي عربة واتفاقيات الإمارات والسودان والبحرين وغيرها، وقد شكلت نتائج هذه المعركة صفعة لكل هؤلاء وصفعة لاستراتيجية الكيان الصهيوني وسوف تساهم في الوصول الى حقائق تاريخية في المرحلة القادمة، ومنها بالتأكيد زوال هذا الاحتلال.

أبعاد معركة سيف القدس

يوسف المقدح (أبو نضال الأشقر)
الأمين العام لجبهة التحرير الفلسطينية

منذ زمن بعيد، مع احتلال القدس، والعدو الصهيوني يحاول طمس معالم المدينة، لتهويدها، وتهجير سكانها الفلسطينيين، وإحلال المستوطنين بدلاً عنهم، وهذا يتم تحت الشعار المزعوم (القدس العاصمة الأبدية للكيان). وما جرى من اتفاقيات وتفاهمات منذ توقيع اتفاقيات أوسلو وتأجيل بحث وضع القدس للمرحلة النهائية، شجع الكيان على عملية التهويد بخطوات متتالية وعلى فترات، بعملية قضم للمدينة على دفعات، خاصة وأنّ الكيان فشل منذ احتلاله عام 1967 إيجاد أي أثر لادعائه حول الهيكل المزعوم، بالرغم من الحفريات التي باتت تهدد الأقصى بالانهيار، حيث بدأ العدو بعد الاعتراف الأمريكي زمن إدارة ترامب بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني، ونقل السفارة الأمريكية لدى الكيان إليها بالتفكير الجدّي بإخلاء المدينة من سكانها، والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم، وسنّ القوانين التي تضيّق على المقدسيين سُبل الحياة.

وبدأ الاستيلاء على الأراضي العامة بحجّة بناء الحدائق، أو إقامة دور عبادة يهودية، ولم تسلم المقابر والمعالم التاريخية للمدينة، من سطوة الاحتلال، فبدأ التضييق على الأحياء الملاصقة للأقصى، وخاصة باب العامود وحي الشيخ جرّاح، ونذكر أنّ فشل محادثات كامب ديفيد الثانية، بين ياسر عرفات وحكومة أيهود باراك، برعاية رئيس الولايات المتحدة حينها كلينتون، بسبب رفض باراك التسليم، ولو بسيادة شكلية على باب العامود وحي الشيخ جرّاح، ومع تصاعد وتيرة الضغط وهبّة شعبنا دفاعاً عن القدس بمقدّساتها الإسلامية والمسيحية، كان لا بدّ من اتخاذ القرار الذي يعيد للقدس أهميتها في الصراع، فالقدس العنوان الذي

يختصر كل عناوين القضية بأبعادها المختلفة، كموقع حضاري، إنساني، ثقافي، إضافة إلى القدسية الإسلامية والمسيحية.

وأمام هذا الواقع، والبدء الفعلي بعلميات إفراغ المدينة من سكانها بمخطط واضح لتهويدها، واقتلاع وتشريد سكانها لجعلها عاصمة للكيان، كان لا بدّ من اتخاذ القرار الحاسم بالدفاع عن القدس، العنوان الجامع للقضية الوطنية الفلسطينية بمختلف جوانبها.

بدأت المعركة بتحذير العدو بصليات صاروخية، ما لبثت أن توسعت أمام تعنّت العدو، وصلفه وإجرامه بالرد على المواقع المدنية، والمؤسسات الطبية، وهنا ومع بدء المعركة الفعلية وإطلاق اسم سيف القدس، وتوحيد جهود المقاومة وفصائلها كافة.

إننا شهدنا لأول مرة المقاومة في غزة تنتقل من حالة الدفاع إلى الهجوم، وتضع لنفسها استراتيجية هجومية بعكس ما كان يتم في الحروب السابقة (2004-2006-2008) وغيرها، حيث كانت المقاومة دائماً في حالة الدفاع، وقد أثبتت المقاومة باستراتيجيتها الهجومية، القدرة على إدارة المعركة، وصولاً لتحقيق أهدافها من حيث:

1. بنك الأهداف الموضوع للعملية، الذي طال العمق في معظم جغرافيا فلسطين المحتلة عام 1948، إلى الأهداف الاستراتيجية العسكرية التي يعتبرها العدو ضمن أسراره العسكرية.
2. إفشال منظومة القبّة الحديدة التي كان العدو يتغنّى بقدرتها على التصدّي للصواريخ وحماية المنشآت المدنية والعسكرية.
3. تكتيك إرباك العدو وقدراته الاستخباراتية بعدم تحديد مواقع الرماية للصواريخ، وعدم قدرته بالرغم من الإمكانيات الهائلة التي يتمتّع بها، من الاتصالات والطائرات والمسيّرات.
4. الرماية المنتظمة وخاصة بإعلان الوقت المسبق للرماية، وهذا ما جعل المجتمع الصهيوني يفقد الثقة بالمؤسسات العسكرية والأمنية الصهيونية أمام مصداقية المقاومة.

كل هذه الإنجازات في أول معركة للمقاومة تأخذ الطابع الهجومي، بالرغم من عدم تكافؤ القوى من الناحية العسكرية أو الميدانية، فالعدو يمتلك الطائرات والبوارج الحربية والآليات، كما يتمتّع بقدرة الحركة بعمق جغرافي، بينما غزّة المحاصرة بمساحتها المحدودة، ولجوء المقاومة إلى عمق الأرض، ممّا يؤكّد على الإرادة التي يتمتّع بها المقاوم الفلسطيني، بالرغم من عدم توازن القدرة الميدانية، ممّا دفع العدو إلى الرد الهيستيري على المدنيين والمراكز الإنسانية والطبية وطواقم الإسعاف، وتجلّى هذا بقصف الأبراج التي تضم المراكز الإعلامية التي كانت تغطي سير المعركة، وتظهر حقيقة هذا العدو، الذي تأكّدت هزيمته منذ اليوم الأول للمعركة، حيث كان يصر على وقف إطلاق النار، ويرسل الوسطاء، وتأكيد هزيمته، التدخل المباشر من رئيس الولايات المتحدة عبر الوسيط المصري، لبذل الجهود لوقف المعركة.

وبالرغم من أن معركة سيف القدس، لم تنته بعد، وما زلنا أمام مرحلة وقف إطلاق النار، ومحادثات التهدئة مازالت مستمرة عبر الوسطاء، إلّا أنّ المعركة حققت إنجازاً وطنياً كبيراً على صعيد القضية الوطنية الفلسطينية، وإبراز ما تحقق في هذا الانتصار، وحدة الشعب الفلسطيني، الذي يجعل المقاومة تستند إلى هذه الوحدة الميدانية لتحقيق إنجاز سياسي يكون على مستوى الإنجاز العسكري:

1) شعبنا وأهلنا المنزرعون في الوطن في فلسطين المحتلة منذ عام 1948، هبّوا هبّة واحدة دفاعاً عن القدس، وبدوا متلاحمين مع الضفة الغربية والقدس، ليعلنوا معركة الهوية والانتماء، بعدما أسقطوا موقّعو اتفاقيات العار في أوسلو من كونهم فلسطينيون وأسموهم (عرب إسرائيل).

2) الضفة الغربية، التي أثقلتها ممارسات الاحتلال، والتنسيق والتعاون الأمني تنتفض دفاعاً عن القدس، تحت راية المقاومة، فتتلاحم الضفة مع أهلنا في عام 1948.

3) التأكيد الواضح لشعبنا في الشتات، وفلسطين المحتلة 1948، والضفة والقدس، وصمود أهلنا في غزّة المحاصرة، إنّ المقاومة ومواجهته الاحتلال،

توحّد الشعب وزراعة الأوهام، وتقديم التنازلات، والبحث عن التسويات يفرّق ويشتت

4) المعركة أكّدت من جديد على إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، بعين أحرار العالم من الشعوب الحرّة، وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا.

5) تأكيد وحدة الشعب لتؤكّد وحدة الأرض، وتؤكّد على الحقوق الوطنية والتاريخية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني، وحقّه في النضال من أجل التحرير والعودة

ومما تقدّم وأمام الإنجاز الوطني الكبير، الذي يعتبر انتصارا على طريق التحرير، وجعل إمكانية هزيمة العدو قائمة وممكنة.

يجب الإجابة على سؤال ماذا بعد الإنجاز وكيفية البناء عليه لاستكمال عملية التحرير بتراكم المراحل النضالية؟

حققت المقاومة إنجازاً وطنياً وانتصاراً للقضية الوطنية، وأعادت الاعتبار للقضية إلى وهجها، العربي والإسلامي والعالمي، ممّا يجعلنا جميعاً أن نتحلى بالجديّة والمسؤولية لنكون على مستوى الإنجاز، الذي بات محميّاً بوحدة الشعب الفلسطيني في ميدان المواجهة مع الكيان الصهيوني، وهنا أول ما يتبادر إلى الذهن الوحدة الوطنية التي يجب أن لا تكون شعاراً عاطفياً يمرر على الشعب، بل الوحدة الوطنية بحاجة إلى جديّة ومسؤولية بحوار وطني شامل لا يستثني أحداً (فصائل – اتحادات- مثقفون – مفكرون)، ويجب أن نعرف ماهية القضية الوطنية، هل نحن دولة تحت التأسيس، أم نظام سياسي لدولة؟ ولكن يبرز بوضوح أنّ قضيتنا الوطنية هي حركة تحرّر وطني بامتياز، ويجب أن يكون الحوار لوضع استراتيجية وطنية على أساس التحرّر الوطني، وتخرجنا من وهم التسوية وإمكانية التعايش مع الاحتلال، ويكون أساسها على أساليب النضال، والمشكل الرئيسي المقاومة الشعبية المسلحة. وترتيب البيت الفلسطيني والوحدة الوطنية لا تقوم إلّا بصياغة الاستراتيجية الوطنية، لتكون محط حوار في أوساط الشعب الفلسطيني، والإسهام بوضع كل الطاقات والإمكانات في عملية النضال، كل حسب إمكانياته وقدراته في ميدان مواجهة الاحتلال على طريق استعادة الحقوق الوطنية، ويحتاج ترتيب البيت الفلسطيني وتوحيد الجهود:

- صياغة الاستراتيجية الوطنية لحماية ما تحقق من إنجاز وطني كبير أساسه التخلّي عن وهم التسوية وإمكانية التعايش مع الاحتلال، من خلال تقديم تنازلات، واعتماد كل أشكال النضال والشكل الرئيسي الكفاح الشعبي المسلح.

- إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها، بعد سحب الاعتراف بالكيان الصهيوني، والتزام الاستراتيجية الوطنية، وعودة الاعتبار للميثاق الوطني.

- التأكيد على وحدة الشعب ووحدة الأرض، لتأكيد الحقوق الوطنية والتاريخية الثابتة، لإنجاز التراكم النضالي لكل ساحات النضال، شعبنا في فلسطين 48، معركة الهوية والانتماء، الضفة الغربية والقدس، الحرية والتحرير، غزة، رفع الحصار والاستقلال الوطني كقاعدة أساسية للمقاومة، والشتات، معركة حق العودة، حيث التكامل النضالي، ضمن استراتيجية نضالية، تكون منظمة التحرير الفلسطينية الممثل للشعب الفلسطيني وقائدة نضاله الوطني في كل أماكن تواجده، دون توظيف، ودون حرف عن مسار النضال الوطني، وتضع كل الطاقات والإمكانيات، والجهود لإدامة الاشتباك على طريق التحرير.

معركة السيف الذي زادته القدس بريقاً ولمعاناً وجعلته أكثر مضاء

عدلي الخطيب (أبو فاخر)
أمين السر المساعد لحركة فتح الانتفاضة

تستحق معركة سيف القدس كل هذا الاهتمام الذي تحظى به فلسطينياً وعربياً وإسلاميا وعالمياً، نظراً لما حققته من انجازات على مختلف الأصعدة وما سطرته من نصر سيتلوه انتصارات وانتصارات حتى يشهد شعبنا وأمتنا والعالم أجمع يوم اندحار المشروع الصهيوني ورحيل المستوطنين الصهاينة الى البلدان التي جاؤوا منها كغزاة ويليق بها أيضاً شأنها شان كل المعارك والأحداث والتطورات والمستجدات والتغييرات العنيفة التي تصل وترتقي لمستوى التغيير الاستراتيجي أن يؤرخ لها وأن يكون ما بعدها مختلف تماماً عن ما قبلها .

لقد خاضت امتنا حروباً عديدة مع الكيان الصهيوني الغاصب شهدت معارك باسلة استبسل فيها الجندي العربي وشكل نموذجاً في الشجاعة والإقدام ومهما كانت نتائج الحروب التي جرت إلا أن هذا ليس بوسعها تجاهل إنجازات هامة وبطولات في خوض المعارك التي عمدت بالدماء الذكية وفي نضال المقاومين في أمتنا وفي المقدمة منهم مجاهدو حزب الله سطروا أروع صفحات البطولة والإقدام والشجاعة في المواجهة والكفاءة في المنازلة، وأجبروا العدو على الانكفاء والانسحاب وأفشلوا مخططاته في الحروب التي خاضوها وحرب عام 2006، لازالت في ذاكرة العدو الصهيوني الذي بات يحسب ألف حساب قبل الإقدام على أي مغامرة بشن حروبه على لبنان وعلى المقاومة فيه.

في نضالنا الوطني الفلسطيني المعاصر خاض الفدائيون الفلسطينيون معارك مشرفة خلال أكثر من نصف قرن، جسدوا فيها أسمى آيات البطولة والتضحية وعبروا عن شجاعة وقدرة وكفاءة أبهرت العدو وقضت مضاجعه، واستنزفت قدراته العسكرية وألحقت به الخسائر في الجنود والمعدات والحديث في هذا يطول ويطول

وصفحات تاريخ شعبنا المناضل في ثورته المعاصرة تحكي الكثير عن المآثر والبطولات وكانت معركة الكرامة الخالدة على سبيل المثال واحدة من أهم المعارك التي فتحت صفحة جديدة في مسار المقاومة الفلسطينية منذ ما بعد عام 1967. لكن لمعركة سيف القدس مؤخراً وتحديداً في شهر أيار الماضي أهمية استثنائية في مجرى الصراع مع العدو الصهيوني، فقد أحدثت على مدى 11 يوماً انقلاباً شاملاً في مشهد قضية فلسطين بكل جوانبها .

ويجدر الإشارة إلى أهمية أن تحمل هذه المعركة اسم القدس لأهميتها في إرسال رسالة واضحة أن القدس مدينة فلسطينية عربية إسلامية وكل مخططات العدو الصهيوني في اعتبارها عاصمة او في تهويدها أو استيطانها يتكسر على صخرة صمود شعبنا. هذا فضلاً عن أهميتها المستمدة من رمزيتها الدينية وما تنطوي عليه من قدسية اكتسبتها من إسراء سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم إليها ومعراجه منها إلى السماء .

لقد أمعن العدو الصهيوني في الاستخفاف بشعبنا الفلسطيني داخل الوطن المحتل وتوهم أن سنوات أوسلو المقيتة والتعاون الأمني مع العدو، وتنصل العديد من الحكام العرب من قضية فلسطين، بل واعترافهم بالعدو وإقامة العلاقات معه قد أضعف معنويات شعبنا ودجنه وانه بات لا حول له ولا قوة بهذا الفهم والتقييم حصد العدو ومؤسساته العسكرية والأمنية فشلاً ذريعاً في تقييم وتقدير الموقف وحجم ردود فعل شعبنا وخاصة في القدس على ممارسات المستوطنين وجنود الاحتلال سواء في المسجد الأقصى وقد حشد الألوف من المستوطنين لاقتحامه احتفاء بذكرى توحيد القدس حسب أوهامهم فأطلقوا العنان لقطعان المستوطنين ليعيثوا فساداً وتخريباً متجاهلين أو متناسين احتمالات اشتعال الغضب لكن كان لأهل القدس هبتهم الغاضبة بالصدور العارية، ولكن بسواعد قوية وهم أصحاب التراث الكفاحي المجيد طيلة أكثر من قرن من الزمن. فتاريخ أهل القدس مشهود له بمعارك خالدة في السجل الكفاحي لشعب فلسطين فمعركة القسطل في القدس وكذلك معركة رأس العين وبيت سوريك وباب الواد وتفجيرات حي القطمون ومعركة الخضر وهي من أعمال القدس وشهيدها سعيد العاص الذي تحول قبره الى مزار كل هذا كان حاضراً في عقول وقلوب المقادسة فزادهم قوة

وعنفواناً. قوة عمقها مجد الدفاع عن الأقصى، وألهبها قدسية تلك الأيام المباركة من العشر الأواخر من رمضان وليالي القدر، ليجد كل مقدسي وكل معتكف نفسه الحارس الأمين لمسرى الرسول الكريم ولهوية القدس وعروبتها وتراثها الإسلامي العريق. لقد شكل الدفاع عن الأقصى حائط الصد الذي حال دون تمكن المستوطنين من اقتحام بوابات الأقصى وساحاته، ولم تنطل الحيلة عندما جرى الترويج بأنه تم منع وإيقاف مسيرة المستوطنين فإذا بجنود الاحتلال يقومون بالمهمة ليفتحوا الطريق لقطعان المستوطنين .

كان الدفاع عن الأقصى شرارة الغضب التي أججت مشاعر غاضبة في صدور الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل عام 1948 وفي الأراضي المحتلة عام 1967 في الضفة الغربية، وفي قطاع غزة، وفي كل أقطار اللجوء والشتات واشتعلت في أوساط جماهير أمتنا العربية. واذا لم تكن التعبيرات الإعلامية متاحة وواسعة، الا أن المشاهدات والانطباعات والتعليقات والاتصالات دللت بوضوح على حضور قضية فلسطين من جديد حضوراً ساطعاً، وعلى تفاقم النقمة على العدو الصهيوني باعتباره عدو الأمة جمعاء . لقد دللت هذه الجولة من الصراع والاشتباك المفتوح على ان العدو الصهيوني المدجج بالسلاح قد فقد السيطرة مما دفع قادته الى تعليق المناورات العسكرية الكبيرة التي كانت قد بدأت وكان مقدراً لها أن تستمر لأسبوعين، وإعادة نشر هذه القوات تحسباً لأي طارئ وخشية تفاقم الأوضاع واندلاع مواجهات ساخنة يصعب احتواءها . ومما فاقم هذا الفشل هو عدم إدراك قادة العدو أن اللحمة الوطنية الفلسطينية تظل قوية وصلبة وحاضرة ومتأججة، حتى لو كان هناك ضعف أو افتقاد للوحدة الوطنية الفلسطينية وهي وحدة سياسية على كل حال بين المكونات الفلسطينية . ان اللحمة الوطنية هي هوية هذا الشعب ومن خصائصه وتاريخه وتراثه، وهو ترابط وحد الجغرافيا الفلسطينية وخاصة أن هبة أهلنا في الوطن السليب عام 1948، كانت معلماً بارزاً على وحدة الأرض والشعب والقضية والحقوق، وأظهرت أن كل محاولات العدو لأسرلتهم وإخضاعهم وتدجينهم قد تكسرت، مما شكل صدمة عنيفة لمؤسساته الأمنية والعسكرية والسياسية وهزةً كبيرة ستتواصل ارتداداتها ولن يكون بوسعه

تفادي تهاوي وانهيار كيانه، واللحمة الوطنية هذه هي التي تتكسر عليها كل محاولات التجزئة والتفريق، هي حائط الصد أمام أي اختراق أو دسائس فكان هذا الترابط البناء الذي تجاهله العدو صدمة له ـ لقد عمد العدو الصهيوني الى التهديد أنه إذا ما حصل إطلاق قذائف مدفعية أو صواريخ من قطاع غزة وهو بحد ذاته كعدو متغطرس لا يتعلم من دروس التجربة، وانه اذا كان قادراً على إرسال طائراته لحسم الأمر وهو الذي يتشدق بامتلاكه بنك أهداف فأخذ يوجه صواريخه إلى السكان المدنيين والأبراج السكنية. لقد أثبتت هذه الجولة أن بنك الأهداف هو عند المقاومة الفلسطينية التي استطاعت تحديد التوقيت والهدف الساعة السادسة بتوقيت القسام والتاسعة بتوقيت البهاء كان توقيتاً محسوباً بالثانية بالانطلاق نحو القدس في المكان المحدد. لقد تابع العالم كله هذا المشهد وشاهد اختباء جنرالات العدو وقادته في مخابئهم وهو الذي كان قادراً على حسم الأمر في ساعات.

ومادام الحديث عن معركة سيف القدس وعن مدينة القدس ورمزيتها، فان الأمر بات يقتضي ادارك ان القدس بالنسبة للصهاينة إما أن تكون ركيزة فرض وجودهم وأمنهم واستقرارهم وثباتهم وعنوان نجاح مشروعهم الاستعماري الاستيطاني، أو أن تكون مقتلهم ومقتل المشروع الاستعماري الغربي في الوطن العربي بشكل عام لقد أثبتت الأحداث والتجارب التاريخية، منذ أن بدأت أفواج الغزاة الصهاينة تطأ أرض فلسطين أن الاستكلاب على الاستيلاء على القدس، وإخضاعها نهائياً لمآرب المشروع الصهيوني وبدعم من الانتداب البريطاني، كان هدفاً استراتيجيا مرتبطاً بالمشروع الصهيوني الاستعماري الاستيطاني على أرض فلسطين كلها. لقد تعرضت القدس للحرب منذ مطلع القرن العشرين ولم تتوقف حتى اليوم، ومشهد الحرب هذه تختصر الحرب على فلسطين كلها، إنه مشهد الاستيطان والتهويد والقمع والتنكيل وتدنيس المقدسات والعمل على الاستيلاء التدريجي على الأقصى بدءاً من حائط البراق، إنه مشهد الاقتلاع والتهجير والترحيل القسري، إنه مشهد العبث والتدمير للتراث الإسلامي والحضارة الإسلامية التي تحكيه هذه المدينة المقدسة، لقد تواصلت الحرب وتواصل العدوان منذ عام 67 والحديث يطول عن ممارسات وجرائم الاحتلال، ففي نهاية العقد الماضي 2020، أطل الرئيس

الأمريكي ترامب بغطرسة وعدوانية واستكبار ورعونة بسياسته وأهدافه التي ضمنها ما عرف بصفقة القرن، وكانت القدس محور هذه الصفقة ومن هنا جاءت المصادقة الأمريكية على اعتبار القدس عاصمة للكيان الغاصب والأكيد أن الصهاينة رواد الحركة الصهيونية وكل تلامذتهم من بعدهم في المؤسسة السياسية والعسكرية والأمنية للكيان الغاصب، يعرفون حق المعرفة أهمية القدس ومكانتها في مشروعه الاستعماري لذلك لم يتوانوا يوماً عن الدفع بأقصى المخططات والمشاريع في إطار عملية التهويد والاستيطان وهم لا يقفون عند أي قرارات أو قوانين دولية تحول بينهم وبين تحقيق هذا الهدف لكن بعض أبناء جلدتنا فلسطينيين وعرب ذهبوا لحديث الحلول التسويات حديث المدينة المفتوحة للديانات وكأن الأمر يتعلق بالعبادات وحديث مدينة لبني البشر إلى آخر هذه المعزوفات التي وضعت القدس في مهب الريح وفتحت الباب لتصفية قضية فلسطين.

وعودة الى مفهوم ومقولة ما قبل وما بعد فهي مقولة صحيحة كلما أسفرت الوقائع والمستجدات والأحداث عن تحول نوعي وهي مقولة صحيحة، ولهذه المقولة وجهان: فالمنتصر يقف عندها ويجعل منها قاعدة لخططه وسياسته العليا واستراتيجيته وبرامجه لاستثمار النصر باعتباره انجازاً كبيراً على طريق تحقيق الأهداف السامية يصلح للبناء عليه. والمهزوم في المعركة يجعل من خسارته فيها خسارة في الحرب كلها، ويجعل منها قاعدة للخروج من دائرة الصراع ويوظفها كلما سارت في ركب التراجع والتنازل والتفريط والمساومة، وهذا ما شهدته الساحة الفلسطينية وعانت منه وألحق أصحابه بقضية فلسطين أفدح الأضرار.

لكن ما يهمنا في هذه السانحة هو الوقوف عند هذه القاعدة (ما قبل وما بعد) إثر النتائج المترتبة على معركة سيف القدس فمن لا يقرأ أن هناك تحولاً من طبيعة استراتيجية في الصراع ويتجاهل الأمر أو يرى أن الأمر كله لا يعدو جولة من جولات المعارك والاشتباك، وأن الأمر يحتاج إلى الهدوء في التفكير وقراءة الواقع الرسمي العربي والإقليمي والدولي وأن كل ما يمكن أن يتحقق لا يزيد عن مكاسب محدودة، عند ذلك يجري ارتكاب خطيئة وطنية تلازم مرتكبتها سيرته على مدى سنوات النضال الطويلة نعم لقد حققت معركة سيف القدس انجازات

وطنية هائلة ونصراً معمداً بصمود باهر. إنه تحول كبير يليق به أن يقال ما قبل المعركة شيء وما بعدها أمر آخر. لكن التفكير الآن يجب أن ينصب على الأمر الآخر. على الجديد المنتظر. والتحول المرتقب. وهذا الأمر برسم كل قوى المقاومة وليس فصيلاً بعينه، لقد باتت ساحتنا بعد طول تمزق وضياع وخلاف وتباين وتناقضات محتدمة، باتت تحتاج إلى تطبيق مبدأ المشاركة، مشاركة الكل الفلسطيني فالقضية هي قضية الشعب بمجموعه، وهذا ما يجب أن يظل حاضراً في عقل أو فكر أي فصيل فلسطيني. الجديد المنتظر والتحول المرتقب والتغيير المنشود هو علاقات كفاحية بينية بأرقى وأسمى معانيها ودرجاتها. لا هيمنة فيها لأحد ولا استبداد أو تفرد من أي جهة . فالدور القيادي لا يعني أبداً الهيمنة والتسلط والتفرد. إن ما ننشده مشروعاً وطنياً تتوحد فيه جبهة المقاومة في جبهة متراصة مشروعاً يعمل على إعادة بناء مؤسسات منظمة التحرير على قاعد ميثاقها لتتكرس قولاً وفعلاً قيادة للشعب الفلسطيني وممثلاً له في كفاحه المجيد طيلة مرحلة التحرر الوطني الذي يخوض الشعب الفلسطيني غمار

ما بعد الانجازات والنصر في معركة سيف القدس موضع ترقب، يترقبها العدو والصديق، يترقبها الشعب وقوى الأمة الحية، يترقبها كل المخلصين والأحرار والشرفاء. يترقبها قوى الحرية والتقدم والسلام وفي العالم المناهضة للحرب والاستعمار والعنصرية. فليكن قوياً وبناءً وهاماً. فساعة القدس لازالت عقاربها تدق . وساعة البهاء لازالت عقاربها تنبض . وفلسطين اليوم باتت أقرب

الصراع العربي الصهيوني
ما بين أيار النكبة وأيار الانتصار

اللواء الدكتور: محمد عباس محمد
باحث استراتيجي وعسكري

تقع فلسطين في قلب بلاد الشام التي تكتسب قدسية دينية كريمة لكونها مهبط الوحي ومبعث الديانات السماوية الثلاث، وهي مطمع الغزاة كما كل المشرق العربي حيث ضوء الشمس، فهي تقع في شرق المتوسط وفي قلب الشرق الأوسط الذي يقع في قلب القوس الأخضر الذي يحيط بأوروبا وفيها عقدة شبكات الطاقة العالمية ومن أجل استمرار الهيمنة الاستعمارية على المنطقة فقد نجحت بريطانيا في تنفيذ مشروعها الرامي إلى خلق الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وذلك بشكل متزامن مع مشروعها لبناء كيان عربي في محيط الجزيرة العربية، يخضع لها مع تكريس واقع الانتداب وتمزيق بلاد الشام بين فرنسا وبريطانيا ضمن اتفاقية سيفر لعام 1920 وتعديلاتها في لوزان لعام 1923، ضمن عملية تصفية ميراث وتركة الامبراطورية العثمانية المريضة وإعادة اقتسام وتوزيع المستعمرات والمناطق بين دول تعيش على سرقة ثروات الشعوب، وكانت بريطانيا العظمى المعنية بتنفيذ مضمون توصيات كامبل بينرمان 1906 لزرع كيان جديد في المنطقة، وبرمجة إعادة إنتاج المجتمعات وفقا للمصالح التي تخدم أطماعها، مع الحرص على تعميم ثقافة علم الجهل ونشرها ضمن البيئة العربية لضمان الهيمنة الغربية وسيطرتها على المنطقة العربية وإلحاقها بالغرب.

لم تتردد دول الغرب في استهداف المنطقة مبكرا وربما كانت زيارة الامبراطور غيوم الثاني إلى استنبول وانتشار نبأ إعلان إسلامه عند زيارته دمشق عام 1897، بعد أن قدم اعتذار عند قبر صلاح الدين نادما عما فعله أجداده الفرنجة ومعلنا وقوفه إلى جانب السلطان العثماني، وذهب من دمشق إلى القدس حيث وضع

حجر الأساس للكنيسة اللوثرية على أرض وهبها له السلطان، وتغيب عن الأنظار لمدة شهر وسرت شائعة أنه ذهب للحج في بيت الله الحرام وعاد إلى دمشق وسمي "الحاج ويليام". استطاع غيوم أن يحقق في هذه الزيارة ما لم تحققه غزوات الفرنجة للمنطقة خلال ثلاث قرون سابقة، وحصل على الكثير من المكاسب وأهمها التأسيس لدخول ألمانيا إلى منطقة الهيمنة التقليدية لكل من بريطانية وفرنسا، وخاصة خط الحديدي برلين البصرة واختراق المجتمع الإسلامي باتجاه المستعمرات البريطانية حتى الهند، وانتشار جواسيس النفط مثل عالم الآثار / فان أوبنهايم / للبحث عن الآثار والنفط، ومعرفة الداتا المجتمعية بغية اختراق المنطقة العربية بل وإعادة تشكيلها على طريقتها، وخاصة ما يرتبط منها بالبعد الروحي واستثمار المستشرقين وتوظيف بحوثهم لخدمة المشاريع الغربية التي رسمت لتأريخ المنطقة على الطريقة التي تتلاءم مع مشروعها المستقبلي، مما أفاد بريطانيا على حث الشريف حسين على إصدار الفتاوى الدينية للتحريض على الجهاد ضد الالمان "الكفار" والأتراك الذين خرجوا عن الشريعة وعملت ألمانيا على إصدار دعوة الجهاد لقتال الإنكليز "الكفار" ودعم بقاء الدولة العثمانية الآيلة للسقوط.

مراحل الصراع وتطور المشروع الصهيوني الاستيطاني:

كان وعد بلفور جريمة العصر ونقطة تحول خطيرة في إعادة تشكيل المنطقة خدمة للمشاريع التي تم تحضيرها للاستيلاء عليها، ولصنع كيان قادر على منع أي فرصة لتحقيق الوحدة بين مشرق الوطن العربي ومغربه، وبذلت الجهود الغربية لتثبيت قيام كيان الاحتلال الصهيوني حتى كانت مرحلة الإعلان عن قيام الكيان 1948 والذي شكل ضربة للمشروع القومي العربي عملت الدوائر الغربية على تعزيز قدرات الكيان الصهيوني واستنزاف الطاقات العربية خلال عقود مستمرة من الزمن بحيث ساهمت في إنهاكها ومنعها من تحقيق أي ازدهار اقتصادي أو تكاتف وتلاحم قومي أو أي حالة تطور مجتمعية، وكانت هذه الحروب واحدة من أدوات إفشال أي عمل وحدوي أو تقدمي لإحداث تغيير في الواقع العربي عمل الكيان على التدخل في المنطقة فكان أول انقلاب أمريكي في العالم قد حدث في 1949 بقيادة حسني الزعيم لصالح تمرير خط التابلاين وتوقيع

اتفاقية الهدنة، وسمح بمرور خط النفط السعودي إلى المتوسط كما قام بتوسيع عدوانه من خلال معارك استنزاف وإنهاك متواصلة على مختلف الجبهات العربية مع التخطيط لحروب مستمرة منذ عام 1956 في قناة السويس وتطور أكثر بعد نكسة حزيران لعام 1967 التي منحته العمق والمساحة والاستيلاء على المواقع الاستراتيجية في الجولان وخليج العقبة ومدخل البحر الأحمر والاشراف على قناة السويس، والوصول إلى نهر الأردن والاستيلاء على القدس واستطاع تحقيق هزيمة معنوية ونفسية للامة العربية، وجلس ليفي اشكول منتظرا وقوف قادة العرب ان يتقاطروا منتظرين على باب الكيان لطلب الاستسلام، لكن القرار العربي كان "لا صلح لا تفاوض لا استسلام" وعملت أمريكا على فرض الاستسلام على العرب عبر مشاريع متعددة منها مشروع أيزنهاور ومشروع السانتو ومشروع روجرز والذي رفضه العرب وأعلنوا استعدادهم للمواجهة.

الامتداد والهيمنة ونمو التطرف الديني على حساب ضعف المشروع العربي القومي والتقدمي

لم تكن المعركة لتنتهي فقد أخذت منحى آخر منذ عام 1957 حين أعطى أيزنهاور توجيهاته لوزير خارجيته جان فوستر دالاس ومدير CIA "يجب علينا أن نعمل كل شيء ممكن لتعزيز الحرب الدينية"

we should do everything possible to stress the holly war " aspect "

وذلك مع تطور وسائط الصراع مع دخول منظومات الاتصال الرقمية ووسائط التواصل الاجتماعي، والقدرة على تأمين الغزو الثقافي واختراق المجتمعات ومعرفة الداتا الوطنية، والتسلل إلى داخل الوعي وتقزيم الهوية الوطنية لصالح هويات فرعية تعلو على الانتماء الوطني بل وتعبر حدود الدولة الوطنية، بهدف الانتماء إلى خارج الحدود وقطع اتصال الفرد بتاريخه وقيمه الإنسانية، ودق الاسافين في بنية اللحمة الوطنية واجتثاث الجذور الحضارية الإنسانية وتفكيكها، بغية صنع كيانات متناقضة ومتصارعة ترتبط بالعدو الصهيوني الذي يضمن لها لهيبا لا ينطفئ وهو مستعد لتغذيتها بكل حقده وكراهيته.

بدأت الحرب هادئة باستخدام أسلحة صامتة لا تسمع فيها صخبا ولا ضجيجا ولا هدير طائرات فلا وجود للشظايا والجراح ولا عربات إسعاف بل هي أشد فتكا وتدميرا وقد نجحت في استهداف البنية الوطنية الأخلاقية المجتمعية ضمن حروب تدمير المجتمعات من الداخل. إنها حروب أمريكا الجديدة حيث يتحقق فيها القتل السياسي للدولة ويتشظى فيها العقل وتتفكك فيها المجتمعات وتسقط الشعوب عاجزة عن المواجهة، فلا تدرك أين هو العدو إنه غير موجود لكنك تراه في كل مكان. إنه الخروج من الهوية الوطنية والانتماء إلى اللاوطن واللاجذور. وبغية تحقيق هدف هذه الحرب يتم اختراق المجتمع والدولة بكل مكوناتها وإحداث فراغات اسفنجية تضمن تقويض دعائم الدولة وتفكيك بنيتها وقطع أي ترابط بين عناصرها، واغتراب الانسان عن روحه الإيمانية، وإحداث الفراق بين المواطن والوطن وإنكار الانتماء له وتحقيق حالة متقدمة لصنع الدولة الفاشلة العاجزة عن توفير وتأمين العقد الاجتماعي القائم بين المواطن والدولة، بما يدعوه لكي يرفض الدفاع عنها والتخلي عن واجباته ومهامه الوطنية والوصول إلى مرحلة يطلب فيها التدخل الأجنبي لقصف وتدمير وطنه والتعاون مع جيوش إرهابية من مجرمي العالم يتم تصميمها وصناعتها في الخارج.

الجيوش الإرهابية البديلة:

تفتق العقل الأمريكي عن صناعة جيوش متكاملة - لها بنية هرمية وهيكلية غير مشاهدة ولا يمكن تحديدها وفق بنية عنقودية يصعب تتبع قياداتها، وهي كثيرة الأسماء والهويات والأعلام والرايات لكي تضيع البوصلة ويفقد المنتمي لها اتجاهه فيما لو استيقظ لديه الوعي، فهو غير قادر على التحليل والتفكير الصحيح حين يجد مئات التنظيمات المسلحة تقاتل على الأرض - تعتمد على الفكر الاجرامي الذي أنتجه الغرب في أوروبا من البترو دولار بصناعة الجهل والتطرف، وتم تأهيلها وتدريبها في معسكرات تدريب جاهزة في مراكز استخبارات عالمية، وجرى نقلها إلى ارض الوطن حيث تلاقت مع حاضنة لها من مجموعات إرهابية يتم قيادتها ورفع مستوى تأهيلها عبر منظومة السوشال ميديا. وقد تمرست على القتل بأبشع أدواته وبلا أية شفقة أو رحمة وهي تنشر الظلام في كل مكان وتوزع هذه المشاهد بطريقة هوليوودية يتكامل فيها المشهد مع هدف الحرب لإحداث

الرعب في نفوس الناس فيخرج الفرد من الهوية الوطنية لكي ينتمي إلى الهوية الفرعية، ويغادر أرضه ويتلاشى الانتماء. ومع زيادة بؤر الحرائق وإشعال فتيل الإرهاب تدخل مفردات واجب التدخل الإنساني، لضمان سلامة المدنيين وحمايتهم من المجازر والابادة الجماعية التي يتعرضون لها بفعل الجيوش البديلة، وتحت مصطلح حماية أبناء الشعب من حكومتهم وانطلاقا من دور الناتو كشرطي عالمي يفرض نفسه زاعما أنه معني بحماية الانسانية كما جرى في ليبيا، يطرح عنوانا عريضا تحت شعار مسؤولية التدخل لحماية المدنيين والدفاع عنهم ضد جيوشهم الوطنية وملاحقة الإرهابيين الذين هم في الحقيقة جيوش تم تدريبها لهذه المهمة والتي تتطور للحصول على قرارات من الأمم المتحدة تبرر لهم تحقيق شعار حق التدخل لقتال الإرهابيين، وذلك بما يبرر احتلال الأرض بجيوش تأتي لقتال الجيش الوطني الذي يكون قد أنهك وبات في الرمق الأخير من بنيته ووجوده وبدعوى حماية المدنيين والدفاع عنهم. نجح الشعب في احتضان الجيش والدولة والدفاع عنهما وتمكن من التصدي للعدوان بفعل صمود أسطوري باسل وتكريس ثقافة المقاومة التي تمكنت من تجاوز كل حقول الألغام التي تعرضت لها وكانت الحرب على سورية تستهدف انهاء القضية الفلسطينية والقضاء عليها خاصة بعد اتفاقيات كامب ديفيد ووادي عربة ورفضها لكل الحلول المنفردة وتمسكها بتحقيق السلام العادل والشامل وعدم التنازل عن خط الرابع من حزيران لوقف إطلاق النار وبعد فشل كل الضغوط من أجل القبول بما يريده كيان الاحتلال على حساب السيادة الوطنية السورية والقضايا العربية المصيرية.

مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية:

يجسد الصراع العربي الصهيوني صراعا من أجل البقاء في مواجهة العدوان الذي يريد الاستيلاء على الأرض وتوطين مهاجرين قدموا من كل أرجاء العالم، تحت مزاعم وأساطير دينية تلمودية تبرر لهم احتلال الأرض وطرد سكانها العرب تحت شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وقد كان قرار التقسيم رقم 181 لعام 1947 ظالما بما يكفي لاعتباره مأساة العصر بشهادة أممية ساهم في صنعها كل تآمر على الشعب الفلسطيني. جرت حروب لم تنته وفي نفس الوقت حدثت

مفاوضات، من أجل الوصول إلى إنهاء الصراع فكانت اتفاقية الهدنة لعام 1949 التي استغلها العدو لكي يوسع من مناطق احتلاله، ويفرض وجوده في المناطق المنزوعة السلاح التي حررها الجيش العربي السوري – من بحيرة الحولة الى بحيرة طبريا وضمت قرى كراد البقارة وكراد الغنامة ومنصورة الخيط ويردا والحمة والنقيب والسمرا، وهي تقع في ناحيتي صفد وطبريا وهي من المناطق التي اعتبرت بالقرار 181 لعام 1947 أراض إسرائيلية مستعمرة مشمار هيردين وتل العزيزيات للشرق من مستعمرة دان وراس الجسر المؤدي إلى طبريا من المطلة، وانسحب منها بعد توقيع اتفاقية الهدنة لعام 1949 التي وقعها حسني الزعيم.

مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية

تعتبر حرب تشرين متحولا استراتيجيا في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، فقد نجحت في لجم غطرسته وعدوانيته واعادت إنتاج أدوات الصراع بحيث استعاد العرب مكانتهم وكرامتهم غير أن نتائج الحرب أُجهضت بفعل نتائج كامب ديفيد، التي أظهرت أن الكيان لا يقبل أن يعيد أي شبر من الأرض ولن يعمل على تحقيق السلام المنشود إلا وفقا لأطماعه في المنطقة.

مفاوضات السلام في مدريد لعام 1991

حدثت في العالم متغيرات كبيرة تعتبر منعطفا كبيرا في تاريخ البشرية وأهمها سقوط الاتحاد السوفييتي وتفكك دوله وغزو العراق للكويت وقيام الثورة الإسلامية في إيران كل ذلك أحدث عناصر جديدة كان لها فعل تأثير مباشر على القضية الفلسطينية وشكلت مدخلا للانطلاق نحو مفاوضات السلام في مدريد، ولكن العدو أثبت بالدليل القاطع أنه يناور ويرفض الالتزام بقرارات الشرعية الدولية ذات العلاقة 338-242- واستحقاقات السلام بل ويعلن التطبيع مقابل السلام بدون اعتراف بحقوق العرب ويبتعد عن مصطلح الأرض مقابل السلام، وكذلك السلام العادل والشامل الذي يعيد الحقوق كاملة والانسحاب على خط الرابع من حزيران، كما يتهرب من الالتزام بأي صيغة يمكن لها أن تضمن تحقيق السلام، وقد تحدث شامير أنهم سوف يفاوضون العرب إلى ما لا نهاية ويستمرون

في التفاوض، ولن يقدموا شيئا ذا قيمة للعرب مع رفض التفاوض مع فريق يضم العرب مجتمعين، وهو ما كانت تصر عليه سورية ضمن مصطلح وحدة المسارات العربية الذي رفضه العدو وعمل على فتح مسارات جانبية للتفاوض في أوسلو، حيث نتج عنه اتفاقيات وبنود تحتاج إلى اتفاقيات أخرى لتفسيرها فالكيان الصهيوني ينتج اتفاقيات ومعاهدات مبهمة وغامضة لا يمكن تفسيرها إلا على طريقته ووفق أطماعه، فهي تتجنب الدخول في التفاصيل التي تلزمها وتبحث عن التفاصيل التي تحقق لها أهدافها. عمل الصهاينة على صنع التوتر في العلاقات بين سورية وأمريكا ووظفته بشكل يخدم عدوانها على القضية العربية. وحين باتت الأمور واضحة فيما يتعلق بوديعة رابين لم تتردد في قتل رئيس وزرائها لمنعه من التوقيع على اتفاقية سلام قد تحقق بعض الحقوق للعرب حتى اتفاقية وادي عربة لم تحقق للأردن ما كان ينتظره منها وما زالت نتائجها بحاجة للكثير من التفاوض حول بنودها المبهمة والتي تنتقص من سيادة الأردن على أرضه.

وثيقة نتنياهو لتمزيق المنطقة:

استثمرت إسرائيل كل جهودها من أجل زعزعة التضامن العربي وتخريب اية علاقات عربية – عربية كما استطاعت نقل اتجاه خنادق الحرب والصراع نحو العرب وجيرانهم. وكان ذلك ضمن توصيات وثيقة نتانياهو المسماة The Clean Break أو الاختراق السلس الصادرة عام 1996 عن معهد إنتربرايز الأمريكي والذي ينصح نتانياهو لكي "يحقق لكيان العدو قدرة السيطرة على المنطقة العربية بدون الحاجة إلى دعم أمريكي، من خلال قيادة إسرائيل للمنطقة واستيلائها على الثروات والقرار العربي، يجب عليه تفكيك الجيش العراقي والسوري والمصري وعزل سورية عن محيطها العربي من جهة الشرق وتطويقها بدور تركي من الشمال وأردني من الجنوب". وورد ذلك في نصائح بريجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد ريغان والذي نصح قيادته "أن عليها إعادة تشكيل المنطقة من جديد بغض النظر عن أحلام وطموحات أبنائها بل يتم تمزيقها حسب المكونات المذهبية والطائفية والأثنية، فالغاز والنفط لا ينسجم مع التقلبات التي تحدث في العالم العربي، ويجب تفكيكه إلى مكوناته الدينية، "وهذا

تكرار لما صدر عن مؤتمر كيفونيم الصهيوني لعام 1981 والذي دعا إلى تمزيق المنطقة وتقسيمها من جديد بما يتلاءم مع كيان العدو كما دعا إلى السلام المستند إلى الردع إنه سلام القوة فـ "العربي الجيد هو العربي الميت" كما أكد ذلك تقرير الاستراتيجي الإسرائيلي لعام 2021 والذي أكد على استمرار الكيان في دوره لتمزيق الصف العربي وتدجينه وترويض العقل وإلهائه، وإعادة تشكيل الوعي لخدمة المشروع الصهيوني وتفكيك الروابط حتى ضمن الأسرة الواحدة والعمل على تشكيل تحالف تقوده إسرائيل يستهدف المقاومة والنيل من إرادة الصمود الوطني لا يخفي كيان العدو أطماعه في الثروات العربية، حيث يتحدث شمعون بيريز في نظريته "الشرق الأوسط الجديد" عن الأموال والطاقات البشرية التي تحتاج إلى عقل يديرها، وخبرة مالية تعيد إنتاج اقتصاد الشرق العربي على المقاس الإسرائيلي وصولا إلى السلام الابراهيمي، ويسعى كيان العدو إلى الاستيلاء على الثروات المائية العربية ومصادرة حق العرب في مياه فلسطين والجولان ونهر الأردن، ومحاصرة مصر والسودان بالاستيلاء على مياه نهر النيل واعتباره ورقة ضغط سياسية تسمح لها بمصادرة القرار الوطني وسرقة ثرواته الوطنية، وتستثمر اليوم في سد النهضة الاثيوبي لكي تخضع أية إرادة وطنية مصرية يمكن لها أن تخرج عن الإرادة الصهيونية، الامر الذي يجعل السيادة المصرية في مهب الريح - كما تشير نتائج الغزو الثقافي الصهيوني إلى عملية تدجين وترويض واستباحة العقل العربي وجعله في حالة من الإحباط واليأس والشلل الفكري والعقلي، بحيث يكون عاجزا عن التفكير خارج الصندوق المحدد له وبما يمنعه عن اتخاذ أية قرارات تكفل له الانتقال من واقع الهزيمة والتخلف إلى المكان الذي يليق به بين مصاف الشعوب، فالتكنولوجيا المتطورة لا يحق له الحصول عليها والمعرفة العلمية ممنوع عليه امتلاكها، ويتم اقتياده إلى المربع الذي لا يحق له ان يخرج منه، بحيث يبقى في خدمة كيان العدو الصهيوني وبما يجعله حديقة خلفية وسوقا استهلاكية، بل مكب نفايات دائم التبعية والعبودية لمن يقوم برسم الطريق والسياسات له يمكننا اعتبار مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي أعلن عنه شيمون بيريز وروج له وتعهدته وزارة الخارجية الأمريكية عام 2006 على لسان

وزيرة خارجيتها كونزاليسا رايس خلال زيارتها بيروت أثناء العدوان الصهيوني وقالت إن هذه المعركة هي مؤشر على مخاض ولادة شرق أوسط جديد، ولم يتردد رجب طيب أردوغان في تقديم نفسه الرئيس الثاني لمشروع الشرق الأوسط الكبير، والتي تتماهى مع مشروع الإمبراطورية العثمانية الجديدة التي شرح مضمونها احمد داوود اوغلو في كتابه "العمق الاستراتيجي لتركيا العثمانية الجديدة"، وحين يصرح أردوغان أن مساحة تركيا الروحية أكبر من مساحتها الجغرافية وأنها تمتد من ليبيا إلى سورية وصربيا. وقد اعتبر انه مسؤول عن المسلمين في الصين ونيجيريا وغيرها في تسويق لخليفة عثماني جديد يحلم بطربوش تركي على مقاسه، ويمكن اعتباره رأس حربة أمريكية للتغلغل في منطقة القوس الأخضر الممتد من موريتانيا إلى المحيط الهادي. كما أن تورغوت أوزال رفع شعار الأمة التركية الواحدة الممتدة من البحر الأدرياتيكي إلى سور الصين المنيع. وقد عقد اجتماع قمة لرؤساء دول معنية كانت ضمن بنية الاتحاد السوفييتي المفكك ومنها أذربيجان وتركمانستان وأوزبكستان وقرغيزستان، وكان ذلك دليلا على تطلعات عثمانية جديدة تتبلور اليوم في انتشارها في ليبيا والصومال وقطر وأفغانستان، واحتلال أجزاء من العراق وتهديد سورية واحتلال أجزاء واسعة من أراضيها، والتهديد باستعادة أحلام العثمانية الجديدة على مساحات واسعة من الماضي البائد. ويؤكد ذلك تسلل التركي إلى داخل الهوية والوعي تحت شعارات دينية إسلامية براقة تؤكد على الدور القومي التركي وتحالفه مع الهوية الدينية، لتحقيق أطماع تركيا الاستعمارية من جديد وهي تحقق المشروع الأمريكي الذي يتطور اليوم لكي يطلق مصطلحا جديدا باسم السلام الابراهيمي في حيلة يجري إطلاقها لاستيعاب العقل العربي واحتوائه لصالح المشروع الأمريكي.

تؤكد صيرورة الاحداث ومساراتها ان ثمن المقاومة هو أقل بكثير من ثمن الخضوع والاستسلام للعدو، وان الإرث الحضاري والروحي والإنساني والروابط الاجتماعية والتاريخية المتجذرة هي عوامل تميز المجتمع العربي السوري، وتمنحه الفرصة لامتلاك قدرة خلاقة ومبدعة ترفض الهزيمة وتصنع الانتصار رغم سياسة الاكراه والضغط وإعلام الإرهاب الذي يسعى لتكريس هزيمة افتراضية تفرض علينا الاستسلام، رغم كل ما نملكه من عناصر القوة الوطنية والقومية ومن قدرات

كامنة تسمح لنا ببناء الشرق الأوسط الجديد الذي نصنعه بأيدينا، وفقا لما يلبي مصالح شعوبنا وبعيدا عن الهيمنة الأمريكية الصهيونية.

إن قدرة الشعب العربي السوري على الإمساك بقراره الاعم للقضية الفلسطينية والرافض لاقتلاعه من جذوره والمتمسك بسيادته وهويته الوطنية أثبتت ان الشعوب يمكنه صنع الانتصار حين يتوفر لها القائد القادر على حماية مصالح شعبه والجيش الذي يضمن الوفاء للشعب والشعب المخلص لقضيته والمدافع عنها.

المقاومة تنتج أدوات الصراع وتنتصر:

ما بين أيار النكبة لعام 1948 وأيار 2021 مسافات زمنية بعيدة لكنها قصيرة حين تقاس بنضال الشعوب، وكانت نكسة حزيران قد أرخت ظلالها القاتمة السوداء على المواطن العربي ولونت المشهد الذي تصدع بزلزال تهدمت فيه البنية المعنوية والنفسية للمواطن العربي وقد عمل الاعلام المعادي على ترسيخ فكرة أن جيشه لا يقهر وأقنع العرب بتبني نظرية الأمن الصهيوني، وأن عليهم ضبط توقيتاتهم على عقارب ساعة كيان العدو، وأن الهزيمة والإحباط قدر لا مفر منه، ولكن إرادة المقاومة حققت باكورة انتصاراتها ضد جيش الاحتلال على أرض الكرامة في غور الأردن يوم 21 آذار 1968، وتمكنت البحرية المصرية من تدمير البارجة أيلات في خليج العقبة، وخاضت معارك الاستنزاف بنيران المدفعية والمدفعية الصاروخية على الجبهة السورية والمصرية، والتي استمرت حتى عام 1972 بشكل متقطع، وكان الهدف منها حرمان الكيان الصهيوني من بناء تحصيناته الهندسية في الجولان وسيناء ومنعه من تحقيق الاستقرار على خطوط الجبهات.

نجح العرب عام 1973 في التخطيط لقيام حرب تشرين التحريرية عشية العاشر من رمضان في يوم بدر، والتي غسلت عار النكسة في حزيران واعادت للعرب كرامتهم وحققت لهم مكانة على المستوى العالمي، واستشعر العالم أهمية الدور العربي في تحقيق الاستقرار العالمي وخاصة ما يتعلق منه بأمن اقتصاد الطاقة والامن الإقليمي، وتعززت مكانتهم على مختلف الأصعدة واستشعر الصهيوني

خطر الوجود والبقاء، وكان القرار بأن هذه الحرب ستكون آخر الحروب الصهيونية وبدا التخطيط لتغيير بوصلة الصراع وتعريب الحرب وأسلمتها بعد اتفاقيات كامب ديفيد حين تحدث السادات عن أنهار من الدماء سوف تجري في سورية، واندلعت نيران حرب أهلية في لبنان استهدفت المقاومة الوطنية الفلسطينية وفك ارتباطها بالشارع الوطني اللبناني وإقصائها عن خط التماس مع الكيان الصهيوني وبشكل متزامن جرى التخطيط لإعداد أشكال أخرى من الحروب بتكلفة صفرية بتشغيل عصابات ومجموعات متطرفة تخريبية لزعزعة الاستقرار في سورية وحين تبين له فشل محاولاته لإسقاط سورية قام بدخول الحرب بشكل مباشر والاعتداء على لبنان وتمكن من اجتياح الجنوب واحتلال بيروت عام 1982. وإلى جانب الجيش العربي السوري خاضت المقاومة اللبنانية والفلسطينية معارك الشرف في مواجهة تآمر رجعي عربي صهيوني، ونجح في كبح تقدم العدو وإرغامه على التوقف وبفعل المقاومة والتنسيق مع الجيش العربي السوري تم طرده من لبنان، وفر هاربا عبر بوابة فاطمة اللبنانية بطريقة مذلة عام 2000 ، ولكنه حاول بعدها ان يسترد هيبته في عدوانه عام 2006 ، مما أوقعه في شر أعماله بسبب الصمود الأسطوري لرجال المقاومة اللبنانية التي تمكنت من كسر أنياب الوحش وتمزيق دباباته وتقليم أظافره بل وبتر يده كانت هزيمة اعترف بها قادة العدوان وتحقق انتصار الهي عظيم كان مقدمة لانتصارات صنعها رجال المقاومة الفلسطينية بانتصارات متتالية منذ عام 2009. وضع العدو خططا جهنمية لاستهداف قلب محور المقاومة في محاولة صهيونية لتفكيك إرادة الصمود ووضع نهاية تراجيدية لقدرة المقاومة على ممارسة دورها، وذلك انطلاقا من تدمير سورية وإزاحة مفعولها كحجر زاوية في محور تمكن بنجاح من فرملة الاندفاعة الغربية للسيطرة على المنطقة والامساك بالأحادية القطبية العالمية، ونجح في إعادة رسم خريطة جيو بوليتيك الصراع على المستوى العالمي.

نجح محور المقاومة في التعبير عن وجوده من خلال تأثيره المباشر ومواجهته للهيمنة الأمريكية ومحور العدوان الذي حاول بسط نفوذه على كامل المنطقة، وظهرت امتداداته بعد غزو العراق وزعزعة الاستقرار الإقليمي وتهديد أيران

وسعيه لتطويق روسيا، وإعلانه أن الصين تشكل تهديدا بالنسبة له، وأنه يسعى لإعادة تشكيل دول المنطقة بعد أن أشعل فيها بؤر الحرائق بالإرهاب، للاستيلاء على مربع اقتصاد الطاقة العالمي الذي يتوضع مركزه في الشرق العربي.

احتضنت سورية المقاومة وأعلنت أن سياستها الخارجية تنطلق من موقف الدول الأخرى من القضية الفلسطينية وأعلنت أن بوصلتها القدس ولن تتخلى عن هذا التوجه وأن قرارها الوطني المستقل غير خاضع لأية املاءات خارجية ولا مساومة على القضية المركزية الفلسطينية، مما جعل العدوان عليها يتصاعد بطرق كثيرة سبق الحديث عنها، وكانت الحرب الصهيو- أمريكية التركية ضد سورية.

كانت نقطة التحول الاستراتيجية في تاريخ المنطقة بقيام الثورة الإسلامية الإيرانية التي قادها السيد الامام الخميني والتي أحدثت زلزالا في المنطقة، بعد أن بدلت موازين القوى والصراع لصالح الشعوب المستضعفة التي باتت أقوى بكثير بوجود قوة إقليمية كبيرة قادرة على الوقوف في وجه الهيمنة والاستكبار الصهيوني والامريكي، وأعلنت عن رفع العلم الفلسطيني فوق سفارة فلسطين التي أحدثت مكان سفارة كيان الاحتلال الإسرائيلية، ومارست الدعم الحقيقي والفاعل والمباشر والمعلن لخدمة القضية الوطنية والإنسانية والاجتماعية والدينية في فلسطين الأمر الذي منحها الكثير من الحيوية والحياة، وخاصة بعد اتفاقيات كامب ديفيد وخروج مصر من خندق الصراع والمواجهة ومحاولة كيان العدو إغلاق الملف عبر سلسلة من عمليات الاستسلام والتطبيع والانهزام من قبل بعض الحكومات العربية والتواطؤ ممن تم توكيلهم برئاسة لجنة حماية القدس وفلسطين والدفاع عن المقدسات الإسلامية والمسيحية منذ بداية الثورة الإسلامية كان تشكيل فيلق القدس مؤشرا ودليلا على أن الطريق إلى القدس يمر من خلال الوقوف إلى جانب الحق والقوى المستضعفة، وأن القدس ليست مسؤولية كل مسلم ومسيحي ويهودي وكل من يؤمن بأن الحق والعدل أساس أية هوية دينية إنسانية، وان ممارسة الصهيونية على ارض فلسطين بعيدة عن الرسالة الموسوية، بل هي عملية سرقة واغتصاب واحتلال الأرض باسم الدين والأساطير التلمودية والمزاعم التوراتية التي تم التخطيط لها في دوائر المخابرات البريطانية والغربية والأمريكية

كان التعاون كبيرا بين سورية وإيران لخدمة المقاومة الفلسطينية الامر الذي حقق لها المزيد من الصمود والقدرة على استمرار نهج المقاومة وتعزيز إرادتها وقدرتها القتالية والنارية والتسليحية، رغم الحصار الخانق الذي فرضه بعض العرب على وصول الطعام إلى غزة، فإن الصواريخ السورية والإيرانية نجحت في اجتياز كل الصعوبات واختراق الحدود والوصول إلى رجال المقاومة الفلسطينية التي أحدثت تحولا في ميزان الردع، وتغييرا في عناصر القوة الفلسطينية التي حققت صمود الدفاع والثبات في الميدان، ومنع العدو الصهيوني من اختراق خطوط الدفاع في غزة بعد استعراض القوة الكبير الذي صنعه رجال الصواريخ المضادة للدبابات الكورنيت، وتدمير عربات القيادة الصهيونية ومفاعيل وصول الصواريخ السورية المنشأ إلى قلب تل أبيب ورغم محاولة ماكينة الاعلام الاعرابية والغربية لإجهاض الصمود الفلسطيني، فقد كانت إرادة المقاومة قادرة على الثبات والصمود، بل والانتقال إلى مرحلة نجاح الدفاع بامتلاك زمام المبادرة التي تمكنت من نقل المعركة إلى عمق الأرض المحتلة، ووصلت إلى شمال فلسطين واستمرت بزخم وتفاعل فاجأ العدو وادهش الصديق سواء من حيث الدقة في التخطيط وكثافة النيران وفعالية التأثير والمدى الذي وصلت إليه هذه الصواريخ فقد تمكنت من تحقيق السيطرة الجوية على سماء العدو وحرمان مستوطنيه من مغادرة الكيان عبر استخدام المطارات الإسرائيلية بعد تغيير اتجاه الطيران المدني إلى قبرص وغيرها، مما جعل الكيان الصهيوني في حالة الصدمة وبرز سؤال لديه بات يتردد على لسان مسؤوليه وهو: هل مشروع كيان الدولة قادر على الاستمرار؟ وهل هو قابل للحياة والبقاء؟ وهو يرى كيانه في حالة الهزيمة عاجزا عن إيقاف شلال من الصواريخ التي تستمر بلا توقف، والتي لم تتأثر بنتائج الضربات الجوية والصواريخ الإسرائيلية شديدة التأثير والفعالية، والتي ثبت أنها نجحت في قتل الأطفال والنساء والمدنيين الأبرياء واستهداف مواقع الصحفيين وتدمير الأبراج السكنية والبنية التحتية الفلسطينية وكانت وسائط استطلاع العدو عاجزة عن معرفة واكتشاف مواقع الإطلاق الفلسطينية وتحديد احداثياتها، مما شكل فشلا استخباراتيا صهيونيا جديدا. وفشلت ماكينة الاعلام الغربية في تبييض صفحة

الكيان بعد أن فضحتها السوشال ميديا وكشفت الهمجية الصهيونية التي تمارس القتل العشوائي بلا ضوابط تنسجم مع القانون الدولي الانساني.

كان واضحا وحدة المسرح الفلسطيني وقد تلاقت المقاومة من أرض غزة إلى الضفة الغربية وفلسطين المحتلة عام 1948 وظهر الحراك الوطني الذي وحدته الإرادة والانتصار، ونجحت في زج كل القدرات الفلسطينية لخدمة ثقافة وهوية المقاومة ومواجهة العدوان الصهيوني.

نجحت المقاومة في تأمين التنسيق الاستراتيجي والتعاون على مستوى مسرح الحرب الممتد من اليمن إلى فلسطين ولبنان وسورية والعراق وايران، وبات واضحا مستوى التعاون على مختلف الأصعدة والتي حققت تكاملا في الأدوار كان مفاجئا لعدو اعتاد على رؤية الصف العربي والمقاوم مشتتا ومفككا، ولكن التنسيق عالي المستوى والانسجام بين قوى المقاومة في غزة والضفة وحيفا ويافا واللد وام الفحم كان أحد عوامل صنع الانتصار. نجح سيف القدس في تحقيق معادلة أن القدس باتت أقرب فعلا، وأن كيان الاحتلال هو كائن هلامي يمتلك في داخله بذور فنائه التي تنمو وتكبر معه، وكلما تورم وتضخم في عدوانيته وجبروته وصلفه وهمجيته، ارتفع وهج الجمر الذي يكبر تحت الرماد لكي يصبح بركانا لا تستطيع أية قوة منعه من الانفجار في وجه الجلاد، بما يؤكد انتصار العين على المخرز وقدرة الضحية على بتر يد الجلاد.

معركة سيف القدس استطاعت إعادة رسم خريطة العالم العربي، بل قلبت موازين القوى، وعندما التقى بوتين مع بايدن كانت ظلال هذا السيف تحوم في ارجاء اللقاء. وقد أدرك بايدن أن المقاومة تمتلك من عناصر الثبات والتكامل بما يمنح بوتين أوراقا تفاوضية أخرى، كما أن معادلات جديدة رسمها مسار الصاروخ السوري وهو يعبر من سورية إلى سماء فلسطين ليستقر قريبا من ديمونا، تؤكد أن قبة حديدية صهيونية هي مفخرة الصناعة الأمريكية كانت عاجزة عن ملاقاة صواريخ المقاومة من اتجاه واحد، فكيف إذا ما انطلقت هذه الضربات من اتجاهات متعددة، وبشكل متكامل ومنسجم ومنسق ضمن خطة عمليات مشتركة ظهر بوضوح أن هذه القبة فاشلة وغير قادرة على حماية كيان هش غير قادر على حماية نفسه، بل بات عبئا على صاحبه وشهدنا هذا الكم الكبير من الاحتجاجات

والمظاهرات الذي طاف العالم، رافضا لسلوك وممارسة كيان العدو، بل اعتبر الكثير من اليهود أن سياسات قادة العدو هي التي تقود الكيان إلى الهاوية وأن المستقبل غامض وينذر بفناء الكيان وانتهاء وجوده على ارض فلسطين، وان اليهود الذين يحملون جوازات سفرهم المزدوجة لن يترددوا في العودة إلى جنسياتهم القديمة، بعد أن أدركوا أنهم كانوا ضحية مشروع صهيوني عدواني يهدف للنيل من المنطقة واحتلالها خدمة لمشروع غربي عدواني لن يستم طويلا. فالشعب الفلسطيني سيبقى حاملا للقضية والكبار منه يموتون ولكن الصغار لا ينسون إنها حقيقة التاريخ وإن فلسطين سوف تبقى في قلب سورية ولن تتخلى عن بوصلة تؤدي إلى القدس.

سيف القدس .. السيف القاطع

د. خلف المفتاح
مدير عام مؤسسة القدس الدولية (سورية)

لم يحصل تحوّل بنيوي في مسار الصراع العربي الصهيوني كما حصل بعد معركة سيف القدس، ومع إعلان وقف إطلاق النار بين فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة ودولة الاحتلال الإسرائيلي، تكون جولة التصعيد الأخيرة قد وضعت أوزارها في ساحة الميدان إلّا أن هذه الجولة التي حملت سمات خاصة واستثنائية تميزها عن غيرها من المواجهات السابقة، يتوقع أن تشكل لحظة فارقة في تاريخ الصراع والتطورات في المنطقة، فما الإنجازات التي استطاع الفلسطينيون تحقيقها في هذه الجولة من المواجهات؟ وما أبرز سمات هذه الجولة؟ وكيف للفلسطينيين استثمار هذه الجولة في تعزيز صمودهم في مواجهة الاحتلال؟

لقد شكّل تصدّي المقدسيين وأهالي حي الشيخ جراح لسياسة الاحتلال وتهجيرهم من بيوتهم، رافعة لانطلاق هبة مقدسية فلسطينية، استطاعت أن تفرض نفسها على أجندة الجميع وتعيد قضية القدس إلى الواجهة وجاء التحول الأبرز في هذه الأحداث بتدخل المقاومة في غزة، واعتبارها الانتهاكات بحق المقدسات وأهل القدس دافعاً ومبرراً للدخول في جولة من القتال مع الاحتلال، خاصة بعد مناشدات المقدسيين لها وإصرار حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على فرض سياساتها على المسجد الأقصى. منذ هذه اللحظة بدأ الفلسطينيون تسجيل جملة من الإنجازات على صعيد قضيتهم، أهمها:

- **دخول سلاح المقاومة في غزة على خط التأثير على الاحتلال في القدس، وقد يتطور ذلك في مشاهد أخرى ليشمل الاعتداءات الإسرائيلية في الضفة الغربية، وربما بحق فلسطينيي الداخل المحتل. هذه المعادلة، وبشكل مجرد، تمثل تحولاً استراتيجياً تبنّته المقاومة، وقد يُعد بمثابة مسار نضالي جديد**

يعيد القضية الفلسطينية - التي حاولت صفقة القرن واتفاقيات أبراهام تصفيتها- إلى مربعها الأول، وتثبيت رواية الشعب الفلسطيني التاريخية المتمثلة بأحقيته في هذه الأرض، وأن دولة الاحتلال هي مشروع إحلال لمجاميع سكانية مكان شعب له هويته وأرض.

- الوحدة الفلسطينية النضالية في مواجهة الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل المحتل، شكّلت بديلاً عملياً لمسار "المصالحة" أو مسار "الانتخابات الفلسطينية" الذي تبنّته السلطة الفلسطينية والفصائل، ومضت سنوات دون إحداث اختراق حقيقي فيه. بل إن مسار الانتخابات قد فوت على الفلسطينيين فرصة الانتفاضة في وجه صفقة القرن وخطط الضم والتطبيع، وجاءت هذه الجولة من المواجهات لتعيد للفلسطينيين اعتبارهم.
- استطاعت هذه الجولة بشموليتها في القدس وغزة والضفة والداخل تثبيت الحق الفلسطيني في القدس، وتفنيد رواية الاحتلال بأحقيته في تهويد القدس وأحيائها.
- قدّمت المقاومة في غزة نموذجاً قتالياً محترفاً، وقدرة عالية على مواجهة العدوان الإسرائيلي والتعامل مع خطط الاحتلال، بما يحد من قدرته على إطالة أمد عدوانه ضد الفلسطينيين.
- يُضاف لذلك هبّة فلسطينيي الداخل المحتل التي برهنت بما لا يدع مجالاً للشك أن دولة الاحتلال أضعف مما تحاول تقديم نفسها به، وأن لدي الاحتلال خاصرة رخوة وحساسة لم تعد بمنأى عن الفعل الفلسطيني المقاوم والتأثر به.
- أثبتت هذه الجولة قدرة الفلسطينيين على إسقاط مشاريع "الأسرلة" الثقافية والديمغرافية في هذه المواجهة.

لعل من أبرز سمات هذه الجولة:

- أحدثت هزة كبيرة في نظريته الأمنية، فتداعيات هذه الجولة شملت معظم عناصر النظرية الأمنية الإسرائيلية، كالردع، والحرب الاستباقية، والقتال في أرض "العدو"، والتنبؤ الاستراتيجي، وتماسك الجبهة الداخلية.

- وقد استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تثبت للاحتلال ألّا وجود لمعادلة ردع استراتيجي أو تكتيكي، وعاجلته بالاستعداد للدخول في مواجهة قتالية، وبدأت الجولة بقصف "القدس" والعديد من المستوطنات في أرض الخصم.
- كما عجز الاحتلال عن التنبؤ بقرار المقاومة في غزة، وطبيعة وحجم قدراتها العسكرية، بما في ذلك مدى الصواريخ وأعدادها، ورافقت هذه الجولة هبّة شعبية فلسطينية في مدن الداخل المحتل، التي يعتبرها الاحتلال جزءاً من جبهته الداخلية.
- واستطاع الفلسطينيون تقديم نموذج لحالة الاستنزاف التي قد يخضع لها الاحتلال بتعدد ساحات المواجهة معه في كل فلسطين المحتلة.

والسردية السياسية التي قامت عليها "معركة سيف القدس" الأخيرة في قطاع غزة، تُعد تغييراً جوهرياً لقواعد الاشتباك بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينية، حيث قالت هذه السردية على أساس أن المقاومة المسلحة في غزة قررت - بشكل واضح- أن يأتي ردّها علي اعتداءات الاحتلال في القدس والضفة الغربية، والاستجابة لهتافات المقدسين وأهالي الضفة لقيادة المقاومة في غزة بضرورة التدخل.

وقد أظهرت هذه الجولة أن هناك تحوّلات بنيويّة وفكرية لدى الفلسطينيين، وتأثير ذلك على الشباب الفلسطيني في القدس والضفة الغربية على وجه الخصوص، يتجاوز تقديرات أجهز الاحتلال الأمنية. وأدّى تماسك الرواية الفلسطينية في قضية القدس وحي الشيخ جراح والعدوان على غزة لتنامي المساندة والتعاطف على مستوى الفعاليات الشعبية والنقابية الدولية، وأظهرت الاحتجاجات الواسعة في عواصم عالمية حجم تنامي التعاطف مع الفلسطينيين وتجاوز رواية الاحتلال. كما كان لهذه الجولة تداعيات متعدية للصراع بين دولة الاحتلال والفلسطينيين والوضع الداخلي الإسرائيلي، ليمس بمكانة وصورة دولة الاحتلال الإقليمية والدولية. فقد هدفت سياسات الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالدفع نحو التطبيع بين دول عربية ودولة الاحتلال وتوقيع تفاهمات أبراهام، إلى تعزيز مكانة "إسرائيل" الإقليمية وتشكيل حلف استراتيجي المواجهة قوى إقليمية أخرى. ويشمل هذا التحالف مشاريع استراتيجية عسكرية وأمنية، ومشاريع متعلقة بقضايا الأمن السيبراني والطاقة والمياه وأمن البحار، إلّا أنّ قدرة المقاومة

غير المسبوقة على تجاوز القبّة الحديدية واستهداف مشاريع الطاقة -مثل حقل تمار وغيره من المشاريع- يضع كل هذه الاستراتيجية تحت تحدٍّ حقيقي سيدفع الجميع لإعادة النظر في صورة "إسرائيل" التي تصدرها عن نفسها، وحاولت إدارة ترامب تسويقها.

ما زال الاحتلال يكرر أخطاءه باستهداف المدنيين والمؤسسات والأبراج السكنية والمؤسسات الإعلامية، ممّا شكّل حالة من الضغط من قوى دولية وغربية على وجه الخصوص، حيث يرصد تقرير معهد الأمن القومي الإسرائيلي التابع لجامعة تل أبيب، تنامي دعوات مقاطعة إسرائيل والخطاب الرافض لسياساتها الاحتلالية ويعتبرها أحد أهم المخاطر التي تواجه دولة الاحتلال.
واذا كان السؤال كيف يمكن للفلسطينيين استثمار هذه المواجهة، فما زالت كل مسببات العمل المقاوم موجودة في كل فلسطين المحتلة، وبصورة مكثفة منذ صفقة القرن وخطط الضم وتهويد القدس. حيث أظهرت هذه الجولة من المواجهات أن هناك جيلاً فلسطينياً جديداً تجاوز فكرة اللامبالاة والانهزامية التي حاول الاحتلال فرضها عليه عبر العقدين الماضيين، وقدمت غزة نموذجاً للمقاومة المجدية التي تحقق إنجازات وتراكم نقاطاً على حساب الاحتلال.

ونختم بالقول:

لدى فصائل المقاومة والقوى الشعبية فرصة حقيقية لتحويل الوحدة النضالية في الميدان إلى برنامج فلسطيني جامع، يجعل من مقاومة الاحتلال مرتكزاً أساسياً في توحيد الموقف الفلسطيني. وأكثر ما يقلق الاحتلال وداعميه أن نظرية الفلسطيني الجديد التي تبنّاها الجنرال الأميركي كيث دايتون أضحت سراباً، وأنّ هناك فلسطينياً آخر يؤمن بالمقاومة ويثق بجدواها ويسعى لتحويلها إلى فعل على الأرض ما استطاع لذلك سبيلا. فمن المتوقّع أن تُعطي هذه الجولة دفعة معنوية وفكرية كبيرة للشباب الفلسطيني في الضفة الغربية والداخل المحتل والشتات الذي يملك كل مبررات الثورة ومقاومة الاحتلال.

لن يعود سيف القدس إلى غمده

د. صابر فلحوط
رئيس اللجنة الشعبية العربية السورية
لدعم الشعب الفلسطيني ومقاومة المشروع الصهيوني

هل تصدق العيون رؤية العلم الفلسطيني في - عاصمة - الصهيونية - النيويورك يرفرف فوق رؤوس الشرفاء والأحرار في تلك البؤر التي صنعت الأعاجيب، وقدمت كل وسائل الدعم والإسناد للعصابات الصهيونية ودفعت بها إلى الأرض (الخالية من السكان) فلسطين قبل حوالي ثلاثة أرباع القرن !!

لقد استطاع سيف القدس، عندما جرده الرجال المقاومون من غمده، أن يزلزل صخرة النسيان التي أناخت على الضمير العالمي، وأحدثت الرضّ في أعصاب الأجيال التي أسكرها - النفط - ومواعظ علماء الفتنة واليأس، حتى كاد المناضلون في الدار العربية الواسعة، أن يتبادلوا - أنخاب - الحزن على القضية المركزية - فلسطين، والتي صرفت الأمة من أجل قدسها وما حولها، الدم الطهور، وقوافل الشهداء الغوالي على مديد عمر النكبة..

صحيح أنّ الأمة هُزمت خلال النكبة عام 1948 لأسباب - نذكرها كي تعرفها الأجيال القادمة على سلم الزمن فتدمر السلبيات في مسيرتها، وتعمّر على الإيجابيات التي هي من جوهر شعبنا، وطموحاته المشروعة، وأول هذه الأسباب، هي مواجهة العدو الصهيوني المدجج بإبداعات الموت والفناء (بأسلحة نصفها خطب هادرة ، والنصف الآخر يطلق للخلف) !! كما كانت بعض قيادات الجيوش العربية التي هبّت - يومها للمواجهة – تستعرض الجيوش الزاحفة للقتال صباحاً، ويقضي ليله مع قادة العدو لوضع خطط مواجهة هذه الجيوش في اليوم التالي ؟!! وكان البون شاسعاً، والمسافات هائلة بين إيمان الجندي العربي الذي حمل دمه صادقة وتطوّع للقتال في فلسطين في الخامس عشر من أيار 1948،

وبين بعض قادته الذين - أشفقوا - على العدو الصهيوني واستصدروا - الفتاوى - لمعاملته كشقيق وشريك لنا في دوحة ابراهيم - الروحية !!.

وتوالت الانكسارات العربية في ميدان الصراع طوال سنوات المواجهة التي لم يكن فيها لحظة عز، وشموخ قبل -سيف القدس- باستثناء حرب تشرين التحريرية أمجد أيام العرب في القرن العشرين - والسادس من تموز 2006 الذي شهد هزيمة العدو الصهيوني في لبنان أمام المقاومة الوطنية اللبنانية، إضافة إلى سنوات البطولات الأسطورية في الحرب الكونية على سورية خلال ما سُمّي (بالربيع العربي) .

وقد جاءت هبة القدس، وسيفها البتّار ليحيي الموات من الآمال، ويشد أعصاب الجماهير وهممها وكبرياءها، ويزرع الشمم والشموخ - في الجباه المتعطشة للاستشهاد من اجل فلسطين، ودرة تاجها القدس العظيم . ولا اعتقد أن تاريخ الحروب في منطقتنا التي تعد نقطة البيكار في صراعات الأمم، وساحة التنافس الحضاري أمس، واليوم، وغداً، على امتلاك عظمة الماضي وطموحات المستقبل، يمكن أن ينسى هبّة القدس - التي مرّت كعرس أسطوري لدى شعبنا، وأجيالنا التواقة لساعة نصر، ووقفة عز، وصرخة تمرد بعد ليل بهيم، وإغفاءة مدانة من الأسئلة الحائرة، واليأس القاتل.

ومن يصدّق أن الذين خدعتهم الصهيونية من – اليهود- فجاؤوا من موسكو، وفرنسا، وأميركا وشتى بقاع الأرض على أجنحة الحلم الصهيوني المزيف والمزيّن، بأرض خالية من السكان، ومترعة بالعسل والشمس، والنعم تقودهم أطماعهم، ودعاوى الصهيونية إلى أن يناموا في عتمة الأقبية مع الجرذان طوال أحد عشر يوماً غداة جُرّد سيف القدس من قرابه، وهدرت صواريخ أبطال فلسطين تحطم آمال العدو، وتملأ قلوب الأحرار من أبطال المقاومة في محورها العظيم، فرحاً، وثقةً، وكبرياء وتطلعاً إلى مواصلة الشوط مهما تعالى منسوب نهر الدم، وغلت التضحيات، وهم ينشدون مع الشاعر العربي بدلاً من (أصبح عندي الآن بندقية) أصبح عندي اليوم صواريخ دقيقة، تملأ السماء وتستعجل يوم التحرير من البحر إلى النهر.

خلال الهدنة - المفروضة - دوليا بهدف إعادة - سيف القدس - إلى غمده ماذا سنفعل نحن وماذا سيفعل العدو؟.

علينا أن نعلم - وذلك من طبيعة الصراع - أنّ العدو الصهيوني سوف يجدّد ويطوّر أسلحته تلافياً لتكرار فشل – القباب - الفولاذية التي تصوّر أنّ صواريخ المقاومة لن تتجاوزها، كما أنه سيحدّث الأسلحة التي أثبت فشلها في المعركة، إضافة إلى زيادة تكديس الأسلحة الجديدة على ضوء ما تتطلبه المعركة القادمة مستفيدة من -سلبيات- سيف القدس، والتي أنهت إلى الأبد أسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يُقهر!!

ولنتذكر ما قاله وزير خارجية العدو في افتتاح سفارته في – أبو ظبي- (الشرق الأوسط بيتنا، ونحن وُجدنا لنبقى).

أمّا دورنا خلال –الهدنة- واستعدادنا لما بعدها، فلا بدّ من تأمين وتعضيد السلاح الأقوى، والأقتل والأفعل وهو وحدة المقاومة الفلسطينية مسنودة بمحورها ونواته الأصلب سورية، التي رهنت كل ذرة من ترابها، وكل قطرة من دماء شبابها، للعروبة وقضية فلسطين، والاستعداد على مدار الثواني والدقائق والساعات للمعارك القادمة، والتي نرى أنها ستكون الأشرس والأخطر، مؤكدين على الدوام مقولة الرئيس الخالد حافظ الأسد في ختام الكتاب الذي أصدره الصحفي الشهير باترك سيل (سورية والصراع على الشرق الأوسط) يوم رجا السيد الرئيس أن يختم له هذا الكتاب بجملة واحدة فقال - رحمه الله (ويستمر الصراع) ويقيني أن ختام هذا الصراع ـ إما نحن أو نحن...)

عشرة أيام من انتفاضة شعبنا هزّت العالم

أبو علي حسن
عضو المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

علمنا شعبنا أن صبره بلا حدود، ونضاله وهبّاته بلا حدود؛ صبور على معاناته ومآسيه جراء الاحتلال الصهيوني وقمعه وقتله وحصاره، وجراء الخذلان العربي على مدار سبع عقود هي عمر النكبة، وجراء الهبوط السياسي لقيادته الفلسطينية التي أقدمت على الاعتراف بالكيان وتقديس التنسيق الأمني معه.
لم يكن صبره ضعفاً، أو يأساً، أو قبولاً بالأمر الواقع، إنما هو انتظار للملء الكامل لطاقته المتجددة بعد كل جوله من الصراع، وقد عوّدنا بمفاجآته في مراحل التراجع والنكوص كيف يعيد الأمور إلى نصابها، ويعيد الروح مجدداً في أوصال أمة بكاملها، هكذا كان شعبنا الفلسطيني ممسكاً بناصية التاريخ، وهكذا هو اليوم صانعاً للتاريخ ومفجّراً طاقاته الوطنية عبر هبّاته الشعبية في كل مدن فلسطين، ويرسم الصورة الحيّة والحقيقية لإيمانه المطلق بقضيته الوطنية وحقه في أرضه وتاريخه وتراثه، ويرسم لوحة كفاحية جديدة بدم أبنائه تتجاوز المألوف من الصور الكفاحية على مستوى العالم.

مقدمات سياسية كامنه وصانعة للهبّات الشعبية

لقد مورس على شعبنا كل أشكال الترويض والتدجين السياسي كي يقبل الأوهام المتجددة ومشاريع التسوية التي تتحدث عن إمكانية تحقيق بعض الحقوق الوطنية أو المطلبية، وفي الوقت ذاته؛ تم حصاره سياسياً وأمنياً واقتصادياً في غزة والضفة والقطاع والشتات، كي لا يجدد هبّاته وانتفاضاته الشعبية، وكي لا يلحق الهزيمة بخيارات التسوية التي لم يزل يراهن عليها أصحابها عرباً وفلسطينيين. وبرغم من خيارات التسوية وانخراط العرب والقيادة الفلسطينية في دهاليزها، إلا أن الكيان الصهيوني كان أكثر حضوراً وصلفاً في رفضه لأية حقوق وطنية للشعب الفلسطيني، حتى الفتات من الحقوق لم يمنحها للإنسان

الفلسطيني؛ فأقدم على المزيد من الاستيطان وتهجير الأهالي من أراضيهم وبيوتهم، والمزيد من ابتلاع الحقوق الوطنية في سياق سياساته العنصرية وقوانينه وتشريعاته؛ فأقدم على اعتماد قانون القومية اليهودية العنصرية الدينية الذي وضع شعبنا في مناطق 48 في مكانة لا ترتقي بأي حال إلى مرتبة المواطن اليهودي، كما قام بضم مدينة القدس واعتبارها العاصمة الأبدية للكيان الصهيوني، بعد أن أعلنت الإدارة الأمريكية بشرعية ضم القدس إليه في سياق ما سمي بصفقة القرن؛ الأمر الذي يترتب عليه لاحقاً العمل على إنهاء الوجود الفلسطيني من مدينة القدس، بعد إغراقها بالمستوطنين، والعمل على مصادرة بيوتها ومرافقها وأراضيها، وطرد أهلها عنوة، تساوقاً وتنفيذاً لروايته الاستراتيجية في محو أي أثر جغرافي أو تاريخي أو إنساني، يثبت وجوداً تاريخياً للشعب الفلسطيني في القدس.

ثمّة مقدمات سياسية وعملية على الأرض قد أدركها شعبنا الفلسطيني؛ تهدف إلى إنهاء وجوده كلياً من الجغرافيا الفلسطينية، كما أدرك أن كل الخيارات السياسية التي فرضت عليه عربياً وإقليمياً، ومن ثم فلسطينياً، لم تؤتِ ثمارها بالرغم من كل التنازلات الأكثر إيلاماً وعلى رأسها الاعتراف بالكيان الصهيوني دون أن يسبق ذلك أي اعتراف منه بأي كيان فلسطيني على الأرض!

لم يكن ممكناً قراءة الهبّات الشعبية في مدن فلسطين وعلى رأسها القدس، دون لحظ ووعي المقدمات السياسية التي شكّلت وعياً مضاداً لحملات محو الوجود؛ فالأحداث في القدس والمسجد الأقصى وحي الشيخ جرّاح وباب العمود، لم تكن إلا شرارة أحرقت سهلاً من السياسات الضارّة لشعبنا في مدنه وقراه وفي حياته ومستقبله، وعليه فإن أحداث القدس شكّلت ذروة التحدي لأسباب متراكمة منذ سنوات، كما أحدثت نقلة نوعية في الوعي الشعبي ونخبه الوطنية باتجاه رفض الرضوخ لخيارات التسوية الفاشلة من هنا فإن الهبّات الشعبية التي بدأت شرارتها من القدس واتساع نطاقها في المدن الفلسطينية؛ شكّلت وتطورت إلى انتفاضة سياسية بامتياز، ولم تكن هبّات شعبية بعيدة عن جذرها وأسبابها السياسية، ولم تكن ردة فعل عفوية على حدث بعينه، إنما هي هبّات وطنية سياسية، وردّات فعل واعية ومنظمة في آن؛ ترفض الاحتلال وسياساته، وتتمرّد على واقع السلطة

الفلسطينية العاجزة عن حماية المواطن الفلسطيني من جهة، ومنع الاحتلال من تنفيذ سياساته الاستيطانية من جهة أخرى.

الاشتباك المسلح ضرورة تاريخية

وبالمحصلة نحن أمام ضرورة تاريخية تواجه الواقع المجافي، وتواجه انسداد الأفق لأي حل سياسي، وتواجه فشل السلطة الفلسطينية التي اعتادت على سياسة الانتظار والاستجداء دون صنع الحدث وتحمّل تبعاته. ولم يكن ممكناً إدارة الظهر لهذه الضرورة التاريخية، وإضاعة الفرصة المواتية لتصعيد الحدث الانفجاري، سيما وأنه ليس حدثاً عفوياً؛ الأمر الذي جعل خيار الدعم والمساندة المسلحة لهذه الهبّات الشعبية خيار الضرورة وخيار الفرصة التاريخية، بل أن خيار المقاومة المسلحة واستخدام العنف الثوري عبر الصواريخ والقذائف يعطي هذه الهبّات الشعبية قوة انفجارية شعبية جديدة، ليس في الضفة فحسب وإنما في كافة مدن فلسطين. ولم يكن ممكناً أن تمتلك حركة المقاومة هذا الكم من الأسلحة والبارود، ولا تستخدمه في لحظات الاشتباك الشعبي وحماية الشعب من القتل المتنقّل من مكان إلى مكان في الضفة؛ إذ أن وظيفة السلاح قد آن أوانها، في الدفاع عن المواطن الفلسطيني، وليس من الحكمة السياسية أو الوطنية أن تأتي اللحظة المناسبة لاختبار وظيفة السلاح، ولا يتم استثمارها، فالسلاح ليس وظيفته الاستعراض أو التخزين حتى يصدأ كما هو سلاح الأنظمة العربية، وإذا لم تكن هي الفرصة التاريخية لإثبات جدارة السلاح المقاوم، وجدارة الإنسان الفلسطيني في المقاومة، فمتى تكون الفرصة التاريخية!! فالسلاح ليس للمباهاة إنما هو قوة للردع ورسم معادلات الاشتباك مع العدو في كل مرحلة من مراحل الصراع.

ومن المنطقي أن يكون قرار الاشتباك المسلح مع الاحتلال قراراً صائباً ودفاعياً وهجومياً في آن، وله وظيفة سياسية ومعنوية وتثوير الحالة الشعبية الفلسطينية، وهذا ما ميز انتفاضة اليوم (بجمعها الشكل الشعبي والعنفي في آن لمواجهة الاحتلال) عن سابقتها من انتفاضة الحجارة السلمية، وانتفاضة الأقصى العنفية، وبمعزل عن إضفاء اصطلاح الانتفاضة على الانفجار الشعبي اليوم وتكامله مع الاشتباك المسلح من عدمه، فإن الأهم هو جوهر الحدث الانفجاري في الداخل والخارج، ونتائجه الفورية والبعيدة المدى؛ إذ لم يكن ممكناً دون توفّر الإرادة

الشعبية الواعية في مواجهة الاحتلال في القدس أن تتطور الأمور إلى استخدام سلاح المقاومة لمناصرة الهبّات الشعبية، فهما مظهران متكاملان يفضيان إلى الحاجة الموضوعية لدور الجماهير في التحضير السياسي والبيئة الشعبية لعناصر الثورة واستخدام السلاح.

كما لا بد من إظهار التطور النوعي في أداء المقاومة بانتقالها من حالة الدفاع في مواجهة الاحتلال، إلى حالة الهجوم وأخذ القرار والمبادرة، وهذا في العلم السياسي والعسكري من أصعب وأدق القرارات التي يمكن أن تأخذها هيئات الأركان أو المرجعيات السياسية، لأنها تحتاج إلى قراءة واعية لميزان القوى العسكري والسياسي والشعبي، حتى يمكن أخذ القرار بحسابات الربح المباشرة والاستراتيجية، ومن الأهمية بمكان أن يكون قرار الحرب مُسيّجاً بالحالة الشعبية المؤيدة والمحفّزة لقرار دخول الحرب.

الانتفاضة والمقاومة المسلحة إنجازات تاريخية

إن هذه الانتفاضة الشعبية المسلحة قد حققت الكثير من الإنجازات النوعية/ الانتصارات لصالح القضية الفلسطينية، وهي انتصارات تتجلّى في إعادة بناء الوعي الوطني الفلسطيني والعربي من جديد، وترميم ما تهّدم من الوعي الوطني طيلة عقود غلبت عليها ثقافة خيارات التسوية الموهومة، والانتقال من وعي الهبوط السياسي وثقافة أوسلو إلى وعي الخيارات الوطنية واستحقاقاتها، عبر الهبّات الشعبية، والمقاومة المسلحة في مواجهة الكيان، وهذا انبعاث جديد للهوية الوطنية في ظل الظروف المجافية عربياً ودولياً، وهو النصر الأكبر والأهم في معركة الاقتدار. ومن نافل القول أن هذه الانتفاضة الشعبية والمسلحة قد أعادت القضية الفلسطينية إلى موقع الصدارة في سلم الاهتمام العالمي، وأعادتها إلى مكانتها المركزية، وانتشلتها من أدراج النسيان المتعمّد، وأعادتها قضية مركزية عالمية لا يستطيع العالم أن يدير الظهر لها، وهنا الانتصار الآخر، أن تنتصر أولاً لقضيتك وعلى ذاتك المترهلة وتعلو بوعيك الوطني كي تحقق الانتصار الدولي لقضيتك، والمفارقة التاريخية أن الأنظمة العربية على مدار عقود تجاهلت مركزية القضية وأهالت عليها التراب، غير أن الفلسطينيين بثورتهم في غضون أسبوع من المنازلة مع الكيان يعيدون للقضية وهجها عربياً ودولياً، ولم يبقَ بيت في العالم إلا ودخله

الصوت الفلسطيني والعلم الفلسطيني والإرادة الفلسطينية، وخرجت الملايين من الشعوب متضامنة ومناصرة للشعب الفلسطيني في كل مدن العالم.

إن الدرس الفلسطيني المستخلص من تضامن الشعوب مع الحق الفلسطيني هو أن ثلاثين عاماً من فعل التسويات والاتفاقات والاستجداء وقرارات الشرعية الدولية المنقوصة؛ لم تستطع أن تحرك مدينة واحدة أو مظاهرة واحدة لنصرة الحق الفلسطيني في حين أن أسبوعاً واحداً من المجابهة مع الاحتلال حرّكت شعوب الأرض من أقصاها إلى أقصاها لنصرة القضية، برغم الثمن العالي الذي يدفعه شعبنا، وحرية الشعوب وكرامتها واستقلالها، لا تمنح ولا تستجدى، إنما تنتزع انتزاعاً بالدم والمقاومة.

سقوط النظرية الأمنية والحرب خارج حدوده

إن هذه الجولة من الصراع مع الكيان الصهيوني؛ تقتضي من حيث المسؤوليات الوطنية لدى المحللين والسياسيين والباحثين أن يقفوا أمام هذا الحدث الانفجاري بالعمق، وليس بمظاهر الحدث، أي البحث عما هو غير مرئي والنوعي في المتغير، فلأول مرة في تاريخ هذا الكيان تتعرض عاصمته إلى هذا الكم من القصف الصاروخي من قطاع غزة؛ الشريط المحاصر؛ جواً وبحراً وبراً، فهذا متغير استراتيجي في قدرات المقاومة من جهة، ومن جهة أخرى، فهو متغير لجهة قصور أمن الكيان وضرب نظريته الأمنية التي على مدار عقود وهو يتفاخر بها، ويعمل على تطويرها ويضع خبراته البشرية والتقنية والتسليحية في خدمتها لتوفير الأمن لكيانه، فإذا بها تتهاوى في لحظات معدودة أمام إرادة المقاومة وسلاحها الخفي، كما تسقط نظريته القائمة على أن حربه يجب أن تكون خارج حدود كيانه! وتتحول حربه إلى قلب عاصمته تل أبيب وكل أماكن استيطانه في المدن الفلسطينية، وهذا هو المتغير الاستراتيجي الأمني.

إن هذه الجولة من الصراع هي جولة صراع على الوعي، ومن يكوي وعي الآخر؛ فمعيار الخسارة لدى الكيان اليوم تتعدّى خسائره البشرية والمادية على أهميتها؛ فالقصف الصاروخي أصاب بناء الوعي الصهيوني ومنظوماته الأمنية والسياسية والفكرية، وأحدث هزّة عميقة في مستودع الوعي الصهيوني، وتخلخلت يقينيات وروايات العدو أمام هذا المتغير في طبيعة الصراع في جولة واحدة من جولاته

القادمة؛ فالاستقرار والأمان الذي عاشه المستوطن الصهيوني على مدى عقود هو العنوان الأهم في تفكير خبرائه وسياسييه ومفكريه في مؤتمرات هرتسليا لم يعد متاحاً، حيث الخوف والرعب والهلع من المستقبل الآتي قد أحدث ضرراً هائلاً في الوعي الاسرائيلي، مما يدفع المجتمع الصهيوني بعوامه ومفكريه، أن يعيدوا بناء التصورات والروايات الصهيونية وحتى التوراتية حول فلسطين، كأرض الميعاد وأرض الأمان للشعب اليهودي. وإذا كان الكيان يستطيع أن يرمم ويعيد بناء ما تهدّم من خسائر مادية غاية في الكبر والاتساع، فإنه حتماً غير قادر على ترميم ما تهدّم من الوعي الاسرائيلي، وما تشوّه أو تكسّر في أيام. وعلى عكس المجتمع الفلسطيني وفصائله وقواه الحية، فقد أعاد الاعتبار لوعيه الوطني بمجرد أن أخذ قرار المعركة مع الكيان، وبمجرد أن أعلن الشعب الفلسطيني فرحته العارمة بعد وقف إطلاق النار، واعتبار ما حصل هو انتصار بكل المعايير، هنا كشفت جولة الصراع هذه المعادلة وسؤال من يكوي وعي من؟ لقد أولى ما سمي "مركز النظم البيني – مؤتمرات هرتسليا" الأهمية القصوى للتحدي الديمغرافي باعتباره من أهم الأخطار التي تواجه الكيان الإسرائيلي في المدى الاستراتيجي، وعلى مدى عقود أفاض المركز في البحث والتحليل والتوصيات لتجاوز هذا الخطر هذا الخطر المرتقب على مستقبل الكيان. إن هذه الجولة من الصراع المكشوف، والتي تحول فيها شعب فلسطين على امتداد الأرض الفلسطينية إلى مشارك حقيقي، وليس افتراضي، وتحولت المدن الفلسطينية المستولى عليها في عام 48 إلى قنبلة موقوته، حيث تجاوز شعبنا هناك المألوف من التضامن والمساندة والتقط اللحظة التاريخية ليعلن المشاركة الفعلية في المواجهة مع الكيان، وتتحول الهوية الفلسطينية واستحقاقاتها النضالية إلى قنابل جديدة في وجه المحتل، حيث كاد أن يفقد سيطرته على مدن فلسطينية كاللد الثائرة، وحين انتفضت أم الفحم عن بكرة أبيها وهي تودّع ابنها البار محمد كيوان، فهي تسجل ان القادم أعظم، ولا أسرلة ولا تذويب، ولا سلام مع الاحتلال. إن هذه الجولة من الصراع قد أسقطت كل توصيات مراكز بحثه ومؤتمراته على عقود، ومن الأولى على مراكز البحث الفلسطيني أن تعيد البحث في معنى انتفاضة شعبنا في مناطق 48 وعلاقته الاستراتيجية بعناوين التحرير وزوال المغتصب.

«سيف القدس» أطاح الغطاء عن النظام السياسي الفلسطيني

معتصم حمادة
عضو المكتب السياسي
للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

مقدمة:

■ لعل من أهم تداعيات انتفاضة فلسطين، ومعركة سيف القدس، انعكاسها الواسع على مجمل الحالة الفلسطينية حين قدمت نفسها، وإلى الرأي العام العربي والدولي، بصورة جديدة، أذهلت وأربكت، ليس فقط دوائر العدو الصهيوني، بل وكذلك بعض الدوائر الفلسطينية نفسها خاصة السلطة الفلسطينية وقيادتها السياسية.

لم تأت أحداث انتفاضة فلسطين ومعركة سيف القدس في سياق معزول عن سلسلة من التطورات الكبرى التي شهدتها الحالة الفلسطينية، وبالتالي، لم تكن تداعياتها على هذه الحالة معزولة عن السياق السياسي الذي قاد إلى المجابهة الواسعة مع دولة الاحتلال، بكل أشكال المجابهة وأدواتها المتوفرة.

كذلك لا يمكن قراءة تداعيات الأحداث الكبرى التي رافقت انتفاضة فلسطين ومعركة سيف القدس، دون التوقف أمام الأزمة المستعصية والمستفحلة التي يعانيها النظام السياسي الفلسطيني، والتي تجد تعبيراتها الصارخة في سلسلة من التطورات، كان من أهم خلاصاتها أن هذا النظام، وبعد أكثر من ربع قرن على ولادته على يد اتفاق أوسلو، وصل إلى الطريق المسدود، وبدأ يفقد قدرته على الفعل والتأثير، ولم يعد بإمكانه أن يقدم للقضية الفلسطينية ولشعبها في المناطق المحتلة وفي الشتات، ما يوفر القدرة على السير إلى الأمام، هذا إذا لم نقل أن بنية هذا النظام، وآلية عمله بدأت تتحول، دون مبالغة إلى قوة شد عكسي، تعيق تقدم الحركة السياسية الفلسطينية في الاتجاه الذي من شأنه أن يخدم المصالح العليا للشعب الفلسطيني وأهدافه الوطنية.

ويمكن، بجلاء واضح أن نقرأ حالة التخلف والإعاقة التي يعانيها النظام السياسي الفلسطيني إذا ما توقفنا أمام سلسلة من المحطات، كل منها تعكس استخلاصاً خاصاً.

أولاً: العجز عن إعادة بناء نفسه

يعاني النظام السياسي الفلسطيني من فراغ مؤسساتي صارخ، ألحق به أضراراً وتشوهات كبرى، حولته من نظام برلماني- رئاسي، إلى نظام رئاسي مشوه، لا يملك من صفة النظام الرئاسي إلا واحداً من مظاهره الأكثر نفوراً، وهو استئثار الفرد بالقرار وتسلطه على الأوضاع العامة دون رقيب أو حسيب، بما في ذلك قمع المنظمات الأهلية وترهيبها، لتقلص الدور المنوط بها في رقابة المؤسسات الرسمية، أو حتى الضغط على هذه المنظمات لتستقيل من دورها.

فالمجلس التشريعي تمّ حله بمرسوم رئاسي والمجلس الوطني الفلسطيني عقد آخر جلساته في العام 2018 وقراراته ما زالت معطلة والمجلس المركزي معطل هو الآخر، واللجنة التنفيذية جردت من صلاحياتها. والحكومة الفلسطينية تتشكل بمرسوم رئاسي دون أن تخضع لمساءلة السلطة التشريعية الأمر الذي شجع هذه السلطة على تجاوز القوانين وارتكاب العديد من المخالفات السياسية والدستورية منها على سبيل المثال ارتكاب جريمة حرمان الموظفين العموميين، الإدلاء برأيهم في الأوضاع السياسية والمعيشية لكمّ الأفواه، وتعطيل دور نقابات الوظيفة العمومية، خاصة نقابة المعلمين العموميين، ونشر أجواء الترهيب بالحرمان من الوظيفة.

فشل النظام السياسي الفلسطيني في إعادة بناء نفسه وإعادة بناء مؤسساته. فلقد دعا مؤخراً، بعد حوار وطني شهدته القاهرة على جولتين إلى انتخابات شاملة بالتتالي والترابط لاختيار مجلس تشريعي جديد، بدلاً للمنحل، وانتخاب رئيس جديد للسلطة بعد أن انتهت ولايته منذ العام 2010، وانتخاب مجلس وطني جديد، يعيد تفعيل مؤسسات منتف

الدعوة لانتخاب مجلس تشريعي كانت هي السادسة على التوالي، وبذريعة عدم رفض إسرائيل تنظيم الانتخابات في القدس المحتلة، صدر مرسوم منفرد من رئيس السلطة «أجل» فيه الانتخابات، «مشترطاً» موافقة إسرائيلية على تنظيمها

في القدس، في الوقت الذي يدرك فيه النظام أن بالإمكان تحويل مسألة الانتخابات في القدس إلى معركة سياسية من الطراز الأول ضد الاحتلال ولفرض إرادة الشعب الفلسطيني على محتليه.

لكن استراتيجية التسليم بأوسلو، تتناقض مع استراتيجية الصدام مع الاحتلال لذلك وقف النظام السياسي الفلسطيني عارياً، فاشلاً، مهزوماً، يرهن تطبيق مراسيمه، وقراراته، بموافقة الاحتلال ورضاه عاجزاً عن إعادة بناء نفسه، مغلباً توافقاته ومصالحه الطبقية مع دولة الاحتلال على المصالح العليا لشعبه. وهكذا يستمر النظام السياسي الفلسطيني، حتى إشعار آخر، بلا مؤسسات، يدير الشأن العام بالمراسيم، فتتعمق أزمته السياسية، ويزداد تآكله وضعفه، وتتراجع هيبته أمام الشارع، بما في ذلك الشارع الذي يوصف بأنه موالٍ له، ما يدفعه لتغطية ضغطه إلى المزيد من إجراءات القمع والترحيب تحت شعار «استهلك حتى الرمق الأخير ـ الدفاع عن الشرعية».

ثانياً: العجز عن توفير الأمن الغذائي والاجتماعي لشعبه

تمثل ذلك في محطتين كبريين الأولى حين فشل في مقاطعة أموال المقاصة والثانية حين فشل في مقاطعة اللحم الحي واستيراده من دولة الاحتلال.

في المرة الأولى، كانت حكومة دولة الاحتلال قد قررت استقطاع رواتب الأسرى والجرحى وعائلات الشهداء من أموال المقاصة.

في خطوة بينت على رد الفعل غير المحسوب، أعلنت السلطة رفضها استلام أموال المقاصة منقوصة، وأصرت على استلامها كاملة بما في ذلك أموال «الشؤون الاجتماعية»، واستمرت السلطة «على حدودها» سبعة أشهر كاملة، حاولت خلالها أن تستعيض عن أموال المقاصة بدعم مالي عربي ففشلت. وحاولت أن نستعيض عنها بقروض من المصارف المحلية ففشلت لأن ديونها إلى المصارف المحلية وصلت إلى الحد الأقصى، ثم لجأت إلى معاقبة الموظفين، بالامتناع عن دفع رواتبهم، أو دفع أجزاء منها، وتحولت قضية الرواتب إلى القضية الأولى على حساب باقي القضايا الكبرى التي أهملت ووضعت على الرف، بما في ذلك قضية الاستيطان والضم. وأحدث الخلل في دفع رواتب الموظفين العموميين، وأجهزة الشرطة والأمن شللاً في الحركة التجارية والأسواق، بسبب افتقار الموظفين إلى القدرة الشرائية،

وهم الشريحة الأوسع والأكبر في تحريك الاقتصاد، كذلك امتنع الموظفون عن تسديد أقساطهم إلى الشركات والمصارف، مما أحدث خللاً أوسع في الحالة التجارية والمصرفية وحركة رؤوس الأموال بما في ذلك القدرة على الاستيراد لتوفير حاجات المواطنين.

حاولت السلطة بقرار مقاطعة أموال المقاصة أن تستعيد بعضاً من هيبتها أمام الشارع الفلسطيني، لكن فشلها في تأمين البدائل، أدخل الحالة الفلسطينية في مأزق، ما أكد أن سياسات السلطة، لا تملك بديلاً لبروتوكول باريس الاقتصادي، وهي لا تملك القدرة على التحرر من قيود أموال المقاصة. من هنا، رضخت السلطة للضغوط المختلفة، وأبرمت صفقة مع دولة الاحتلال، رضخت لها وقبلت بمصادرة رواتب الشهداء والأسرى والجرحى، مقابل استعادة أموال المقاصة، على أن يلي ذلك تسوية تقوم على حل السلطة إلى المؤسسة الاجتماعية المعنية بشؤون الشهداء والأسرى، وأن تحيل رواتبهم إلى وزارة الشؤون الاجتماعية أسوة بحالات العسر الشديد وتنزع عنهم صفتهم النضالية، الأمر الذي اعتبره الرأي العام الفلسطيني إهانة، وأصدرت الجهات المعنية بالجمعية (انتصار الوزير) موقفاً حاداً ما اضطر السلطة للتراجع عن موقفها، لكنها لم تتردد في إلغاء وزارة شؤون الأسرى، تحت ضغط الإدارتين الأميركية والإسرائيلية، وتحويلها إلى مجرد «هيئة» رسمية، وحتى اللحظة ما زالت سلطات الاحتلال تصادر أموال الأسرى والشهداء، وما زالت السلطة الفلسطينية ترضخ للقرار، وتتسلم أموال المقاصة منقوصة في تواطؤ مكشوف مع دولة الاحتلال، على حساب مصالح الشعب الفلسطيني ودافعي الضرائب من أبنائه.

في المرة الثانية حين نشبت ما اتفق على تسميته بأزمة العجول بين السلطة الفلسطينية وسلطات الاحتلال، رداً على سياسات التوسع الاستيطاني، قررت السلطة التوقف عن استيراد العجول من داخل إسرائيل. علماً أن 94٪ من هذه العجول، ليس إنتاجاً إسرائيلياً بل هو مستورد من الخارج عبر وسطاء إسرائيليين وفلسطينيين شركاء في تدمير الاقتصاد الوطني الفلسطيني.

قرار التوقف عن استيراد اللحم الحي (العجول) قوبل برد فعل سلبي من طرفين: الأول إسرائيل وتجارها المستفيدون من الصفقات. أما الطرف الثالث فهم التجار

الفلسطينيون الذين كانوا يتوسطون بين السوق الفلسطينية والمستورد الإسرائيلي وهكذا تلاقت مصالح كبار سماسرة تجارة اللحوم في مناطق السلطة مع مصالح كبار مستوردي اللحوم في إسرائيل.

سلطات الاحتلال ردت على هذه الخطوة بمنع إدخال العجول عبر جسر الكرامة، وفرضت على مناطق السلطات حصاراً أدى إلى نشوب أزمة لحوم في المدن الفلسطينية كما أغلقت سلطات الاحتلال بوابات تصدير الإنتاج الزراعي الفلسطيني إلى الخارج، ما قاد إلى أزمة تصريف إنتاج لدى المزارعين، ودخل الاقتصاد الفلسطيني في أزمة، وقفت معها السلطة الفلسطينية حائرة، وقد تبدى واضحاً أنها لا تملك استراتيجية لصون الإنتاج الوطني، ولا تملك استراتيجية لصون الأمن الغذائي للشعب وأخيراً رضخت السلطة للقرار الإسرائيلي وعادت المنافذ الإسرائيلية لتكون هي مصدر استيراد اللحوم، وعاد الإنتاج الزراعي الفلسطيني يجد طريقه إلى الخارج عبر المنافذ الإسرائيلية وغيرها. وهكذا فشل النظام السياسي الفلسطيني في واحدة من معاركه التي أراد منها أن يبرز اعتراضه على السياسات الأميركية، فوجد نفسه مكبلاً بقيود الاتفاقات الموقعة في أوسلو وباريس، عاجزاً عن حماية شعبه ومصالحه التجارية وأمنه الغذائي، مؤكداً مرة أخرى أن النظام يفتقر إلى القرار الفلسطيني المستقل، وأن قراره بات رهناً بالموافقة الإسرائيلية، وأن حديثه عن السيادة، فارغ من مضمونه، وأن السيادة في الأراضي المحتلة هي سيادة الاحتلال الإسرائيلي. وأن النظام السياسي الفلسطيني يستعيض عن انتقاده للسيادة على أرضه، إلى البهرجة الإعلامية على أشكالها الهزلية، وإلى قمع المواطنين لتأكيد هيبته المفقودة.

ثالثاً: فشل النظام في توفير الحماية الأمنية لشعبه

تمثيل عجز النظام السياسي الفلسطيني، بفعل قيود أوسلو الأمنية، في توفير الحماية الأمنية لشعبه فالاجتياحات الليلية للمدن والقرى والبلدات الفلسطينية في عموم أنحاء الضفة الغربية على قدم وساق، وأرقام الأسرى في سجون الاحتلال في تصاعد دائم. وعمليات الإعدام اليومي للمواطنين الفلسطينيين على حواجز جيش الاحتلال باتت ظاهرة يومية، وكأن هناك نية لدفع الفلسطينيين للتعايش معها كظاهرة طبيعية، وعمليات مصادرة الأراضي وضمها للمستوطنات لا تتوقف

أما المستوطنون فقد انتقلوا إلى مرحلة هجومية، عبرها يستولون على الأراضي، والجرارات الزراعية والمركبات، وقطعان الماشية، وينابيع المياه، ويقتحمون الأقصى، ويطلقون النار على المزارعين، ويحرقون الأشجار، ويتلفون المزارع والمحاصيل، دون أي رادع. في وقت تكتفي فيه السلطة الفلسطينية بإصدار بيانات الاستنكار، وكأن وزارة الخارجية قد تحولت إلى مجرد مكتب إعلامي، وكأن الناطق باسم الرئاسة تحول إلى حائط مبكى، وتحولت بذلك السلطة الفلسطينية إلى شاهد على جريمة الاحتلال، دون أن تتخلف بالمقابل عن أداء واجباتها والقيام بالتزاماتها كاملة نحو استحقاقات التنسيق الأمني مع سلطات الاحتلال.

الجديد في الأمر، أن السلطة الفلسطينية لم تعد تكتفي بموقف المتفرج، بل انخرطت هي الأخرى، في سياق نزعة فاشية، في أعمال قمع دموي للناشطين السياسيين، على غرار ما وقع، على سبيل المثال لا الحصر، مع الناشط نزار بنات الذي استشهد تحت الضرب والتعذيب على أيدي جهاز مخابرات السلطة. ويقول المراقبون إن انخراط السلطة في عمليات القمع التي وصلت إلى مستوى فاشٍ غير مسبوق، هو احساسها العميق بانزياح الأرض من تحتها، وتراجع شعبيتها وشعبية فتح إلى الحد الأدنى؛ واتساع دوائر النقد في وسائل الاتصال المختلفة، وعلى لسان الناس العاديين، الذين باتوا يتلمسون، بقناعة راسخة، أن النظام السياسي القائم لم يعد بإمكانه أن يقدم لهم سوى المهانة، والحاق الأذى بالكرامة الوطنية، في ظل عجز مالي ملحوظ، انعكس تراجعاً كبيراً في فرص العمل، ما دفع السلطة للجوء إلى دولة الاحتلال، تستنجد بها، لرفع أرقام العمال الفلسطينيين في المشاريع الإسرائيلية، ما يعزز الدور الاستعماري لدولة الاحتلال، وما يعزز ويعمق تبعية الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، وإذا ما عدنا إلى استطلاعات الرأي التي نشطت إبان التحضير للانتخابات، فإننا نلاحظ بوضوح تراجع شعبية السلطة ورئيسها ورئيس حكومتها، لصالح أطراف أخرى، الأمر الذي أشعل نار الخوف والهلع في نفوس الطبقة الحاكمة، التي باتت ترى أن السبيل الأسلم لها هو المزيد من الارتماء في أحضان الاحتلال والإدارة الأميركية من جهة، ورفع وتيرة القمع الدموي ضد المواطنين من جهة أخرى. وهذه علامة فاقعة من العلامات

التي تعيد التأكيد أن النظام السياسي الفلسطيني، تحت سقف أوسلو، وفي ظل القيادة الحالية للسلطة، قد وصل إلى أرذل العمر.

رابعاً: فشل في تعبئة الصف الوطني وتخلى عن موقعه القيادي

شكلت هبة القدس، ومعركة حي الشيخ جراح، وانتفاضة فلسطين، ومعركة سيف القدس، في رمضان الماضي، الذروة في حالة العجز التي يعانيها النظام السياسي الفلسطيني، متمثلاً بقيادته السياسية في رام الله.

ففي الوقت الذي اتجهت فيه أنظار العالم كله نحو الشعب الفلسطيني، في جميع أماكن تواجده، وفي الوقت الذي تغيرت فيه معادلات سياسية عربية وإقليمية ودولية لصالح الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، وفي الوقت الي صارت فيه المقاومة بكل أشكالها، الشعبية والمسلحة، العنوان الرسمي لشعب فلسطين، في هذا الوقت عانى رأس النظام السياسي الفلسطيني حالة من العزلة السياسية، فرضها على نفسه، من خلال تخليه عن واجباته بحق شعبه، وتقاعسه عن أن بشكل الغطاء السياسي لثورة الشعب الفلسطيني، وأن يستجمع عناصر القوة السياسية والميدانية في دعمها، وأن يبادر إلى استعادة عناصر الوحدة الداخلية، ويطور صيغة الاشتباك مع الاحتلال، وصولاً إلى تثمير الانتصارات الشعبية والمسلحة وتحويلها مكاسب سياسية تصب في مصلحة شعب فلسطين في مواجهة المشروع الإسرائيلي اكتفت القيادة السياسية الفلسطينية الرسمية بعقد اجتماع «قيادي» مفبرك بعد يومين من اندلاع المواجهة مع دولة الاحتلال، انتهى إلى تشكيل لجنة لتصوغ الخيارات السياسية المطلوبة، في خطوة بدا واضحاً أنها عملية تهرب من تحمل المسؤولية الوطنية. اللجنة لم تجتمع، ولم تقدم أية خيارات بديلة لخيارات السلطة التي أعلن عنها رئيسها في خطابه أمام اجتماع البرلمانيين العرب في ذروة المواجهة مع الاحتلال. إذ دعا لتشكيل «حكومة وفاق وطني» مقبولة دولياً (أي أميركياً وإسرائيلياً) وإلى استئناف المفاوضات الثنائية تحت رعاية الرباعية الدولية وإلى «حل متفق عليه لقضية اللاجئين» (أي توافق عليه إسرائيل).

وهكذا بدا واضحاً أن الشعب الفلسطيني في مقاومته يسير باتجاه، وأن النظام السياسي الفلسطيني يسير باتجاه آخر. ففي الوقت الذي اختار فيه الشعب الفلسطيني المقاومة بكل أشكالها سبيلاً إلى الخلاص من الاحتلال، اختار النظام

السياسي العودة إلى اتفاق أوسلو، بتطبيقاته الأمنية والتفاوضية، وتوغل بعيداً في الارتباط بالاقتصاد الإسرائيلي وعاد إلى خياره الرئيس (عودة إلى ينابيع أوسلو) اعتبار المفاوضات خياراً وحيداً للحل مع الجانب الإسرائيلي.

من هنا نلاحظ التالي:

1) أن الجانب الإسرائيلي أعاد تنظيم صفوفه في حكومة جديدة تمضي أعمالها العدوانية بالتنسيق مع الولايات المتحدة.

2) أن الجانب الأميركي، لم يلتفت إلى القضية الفلسطينية، رغم كل ما قيل عن نجاح السلطة الفلسطينية في إقحام القضية على جدول أعمال إدارة بايدن. حضر بلينكن إلى المنطقة، وأحال ملف غزة إلى الجانب المصري، وأحال ملف الضفة إلى الجانب الإسرائيلي. وعاد بلينكن إلى واشنطن يدير شؤونه وفق أولويات إدارة بايدن، وليست القضية الفلسطينية في عدادها، أي لا مفاوضات في المدى المنظور.

3) السلطة الفلسطينية تستميت لتبقى رقماً في المعادلة السياسية الإقليمية (الأميركية – الإسرائيلية) لذلك اختصرت العملية التفاوضية بما سمي «خطوات بناء الثقة» مع الجانب الإسرائيلي. أي المزيد من التقارب، وخطوات التطبيع، وتعميق التبعية الاقتصادية، وتعميق آليات التعاون مع سلطات الاحتلال، بما في ذلك توزيع الأدوار في قمع رموز الحركة الشعبية واعتقال النشطاء أو إعدامهم.

4) في الوقت نفسه تتصاعد أعمال المقاومة الشعبية ضد الاستيطان.

5) أما غزة فعادت إلى همومها القديمة: من المنحة القطرية، إلى ملف إعادة الإعمار، إلى توفير الطاقة الكهربائية، إلى البطالة، والغلاء.

كل هذا يضعنا أمام أسئلة تحتاج إلى إجابات واضحة:

1) إلى متى هذا الفراغ السياسي الفلسطيني وغياب الاستراتيجية الوطنية الموحدة، لاستنهاض القوة مع معركة تحرير الأرض، ودحر الاحتلال.

2) إلى متى يستطيع النظام السياسي الفلسطيني أن يعتاش على الفتات، وأن يطيل بعمره، بما في ذلك اللجوء إلى كل أشكال القمع، من جهة، واستجداء الحلول تحت سقف أوسلو، من جهة أخرى؟

3) هل ما زال هذا النظام قابلاً للتحديد، بعد أن فشل لست مرات في إعادة بناء مؤسساته وتحديدها بالانتخابات؟

4) أخيراً، وليس آخراً، إلى متى سوف يمتد هذا الانقسام الذي ما زال يشكل جرحاً نازفاً في الجسد الفلسطيني، يعطل عليه نهوضه الثوري؟

أسئلة، نعتقد أن الإجابة عليها، تحتاج، فيما تحتاجه إلى حوار وطني جديد، على أعلى المستويات فالخسارة الوطنية، خسارة للجميع، وتهالك النظام السياسي الفلسطيني، خطر على الجميع، ومن واجب الجميع، دون استثناء، إطلاق صفارة الإنذار، لأن السفينة إذا ما غرقت، سيغرق معها ركابها، أياً كانت ميولهم السياسية

الشعب ينتصر
(هبّة القدس وسيفها .. نتائج وأبعاد)

المهندس مصطفى الهرش
عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني

شهدت الثورة الفلسطينية على طول عمرها ارتفاع وانخفاض من حيث المناوشات ومقاومة الاحتلال الصهيوني المغتصب، مع الحفاظ على رتم واحد وهو استمرار حالة الاشتباك بالأشكال والحجوم المختلفة، وبطبيعة الحال وكون الصراع يتمثل مع محتل واحد يحمل صفة الاحلال والقتل ويطورها، فإن في كثير من الأحيان تاريخ الفداء يعيد نفسه كون السياسة نفسها والمقاومة أيضاً نفسها.

وإذ نستذكر التاريخ وربطه بهبة القدس وسيفها فيما بعد فإننا نستذكر سبباً من أسباب اندلاع يوم الأرض الذي كان عماده عدد من الرفاق الأوائل، حيث كان هناك تحد خطر واجه الجماهير العربية في تلك الأيام وهو إقرار استملاك الأملاك غير المنقولة، هذا القانون جاء ليقر نهب الأراضي العربية ويتمم عملية اغتصاب أراضي الفلاحين التي بدأت بقانون الأموال المتروكة واستمرت بقانون مناطق الأمن (وبموجبه استولت على أراضي المواطنين العرب في البلاد بحرمانهم من الوصول إلى أراضيهم بحجة صيانة الأمن)، ثم القانون الأراضي البور، لتتكامل هذه القوانين مع تنفيذها والاستفحال في عمليات القتل والسرقة والتفرقة لتكون الخلاصة في الختام ثورة شعبية خالدة سجلها التاريخ باسم يوم الأرض.

ليعاد السابق اليوم وتأت هبة القدس، فنظراً إلى تمتعها برمزية سياسية وتاريخية ودينية لدى الفلسطينيين، ظهرت القدس بوصفها بؤرة احتكاك بين السكان الفلسطينيين وقوات الاحتلال تقود إلى تفجّر حالة الاحتقان والغضب الشعبي ضد الانتهاكات الصهيونية المنهجة فيها، والتي شكلت عامل استفزاز لمشاعر الفلسطينيين طوال سنوات نضالهم ضد الاحتلال، وبرز ذلك تحديداً في هبّة النفق احتجاجاً على حفر نفق أسفل المسجد الأقصى في أيلول/ سبتمبر 1996،

والانتفاضة الفلسطينية الثانية أو انتفاضة الأقصى في أيلول/ سبتمبر 2000. كما اشتدت هذه المواجهات في السنوات الخمس الأخيرة، وذلك في هبّة القدس، أو "هبّة أكتوبر" في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، وهبّة البوابات الإلكترونية حول المسجد الأقصى في تموز/ يوليو 2017، وهبّة باب الرحمة في المسجد الأقصى في شباط/ فبراير 2019.

ومع بدء شهر رمضان في نيسان/ أبريل 2021، تصاعدت انتهاكات سلطات الاحتلال بحق القدس والمسجد الأقصى، بغرض تنفيذ مخطط التقسيم الزماني والمكاني، وبرز ذلك بوضع حواجز حديدية لمنع الفلسطينيين من المكوث في ساحة باب العامود، واعتقال شبان وأطفال مقدسيين كانوا في المسجد الأقصى، واقتحام المسجد وإخراج المصلّين منه، والاعتداء على كل من يحاول الوصول إلى كنيسة القيامة للاحتفال بسبت النور في نيسان/ أبريل 2021، وحماية مستوطنين متطرّفين دعوا إلى اقتحام المسجد الأقصى. وقد تزامن هذا التصعيد مع دخول قرار المحكمة العليا الصهيونية الصادر في أيلول/ سبتمبر 2020 حيّز التنفيذ في أيار/ مايو 2021، والقاضي بطرد سبع عائلات فلسطينية من حي الشيخ جراح في القدس الشرقية، وتسليم بيوتهم لصالح شركة "نحلات شمعون" الاستيطانية، وهي جمعية استيطانية يهودية تتألف من نحو 40 عائلة يهودية مهاجرة من جورجيا، تدّعي ملكية الأرض المسماة "كرم الجاعوني".

وبالتالي إن قرار الطرد بالتزامن مع اقتحام المسجد الأقصى المتكرر، والصدامات اليومية في القدس تحت عنوان هبة، شكلت مقدمة لدخول المقاومة المسلحة في غزة وبدء معركة الصواريخ، التي بدورها عملت على تكملة السيف الذي يدافع عن القدس مع المقاومة التي تمارس نشاطها في الضفة والقدس والأراضي الفلسطينية التي احتلت عام 1948.

إن تشكل المعجزة الفلسطينية من جديد التي كانت في الواقع متجددة ومبدعة عند كل مفصل تاريخي، وبالضرورة ستكون نتائج النصر تاريخية، تأخذ سياق

التفحص والتدقيق للعمل والبناء عليها، كمرتكزات رئيسية في سبيل التحرير والنصر الكامل.

ولعل الحديث عن النتائج أخذ صدى واسع من حيث التحليل والتي يمكن أن نورد أهمها فيما تمثل بما يلي:

أولاً: إظهار قدرة الشعب الفلسطيني على الرد بالحجم والقوة المناسبة عند كل اعتداء: حيث كانت هذه الجولة من المعارك مع الاحتلال الصهيوني تعتبر نقلة جديدة رسمت خارطة الصراع من جهة وذلك بتشكيل معرفة جديدة لدى المحتل أن الخطر لا يقتصر فقط على حيز جغرافي واحد في الأرض الفلسطينية "على اعتبار أن الخطر هو بالمواجهة المباشرة"، حيث كما ذكرنا أن الاشتباك بالسلاح وبغيره كان في قلب منطقة المحتل الأمنية، وإننا إذ نتغنى بتحرير مدينة اللد لساعات فإننا ندرك تماماً أن هذا التحرير لا يقتصر فقط على بعده الزمني وهو هام، وإنما أيضا على بعده الدلالي الذي يقول أن كل مستوطن هو في قلب البركان وأن هذا البركان لا يركد.

ومن جهة أخرى فإن التطور الهائل في المقدرات العسكرية للمقاومة الفلسطينية، شكل عاملاً حاسماً في الانتصار، كونه اخذ طابع المفاجأة، على الرغم من أن هذه المقدرات كانت تتجدد بين المعركة والأخرى ولكنها الآن تطورت بقفزة أسرع وأعمق إلى الأمام.

ثانياً: اعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية كقضية العالم الأولى: إذ أنه لا يخفى على أحد خلال السنين الفائتة، أنه بدأت محاربة القضية الفلسطينية كفكرة أيضاً بالإضافة للحرب الأولى الوجودية في الأرض، ونقصد بذلك أن من جملة العوامل المقصودة من تغييب الأثر الفلسطيني في بيئته الحاضنة (تلك التي تصب في مجملها أصلاً في مصلحة الكيان الصهيوني) هو تهميش حضور فلسطين ومسألتها في الساحات الدولية والإقليمية، مرافقةً مع تغييبها في الإعلام، وباندلاع سيف القدس وما سبقها في هبة القدس وما لحقها في استمرار عمليات المقاومة الشعبية، جعلت اسم فلسطين مردد في كل نقاش، وذلك بتحضير داخلي يبتعه خارجي بشكل مزدوج، فكما أسلفنا أن المعادلة تغيرت ومرتكزات القوة أصابها نوع من الشك بعدما جابهت قوة فلسطينية غير متوقعة ومنتشرة، وبالتالي فإن

النظرة إلى فلسطين لم تعد ينظر إليها كشيء محسوم بفعل التفاوت الواضح بين آلة القتل الصهيونية والشعب الفلسطيني، وبالتالي هي في حالة جدلية لا يمكن الغائها بحلول نهائية ناتجة عن قرار، خصوصاً بعد ما انتصر الشعب الفلسطيني ليس فقط بحربه المباشرة في المعركة الاخيرة وإنما أيضاً حقق نصراً مجتمعياً كون أن الشعب الفلسطيني ازداد تماسكاً والشرذمات الصهيونية ازدادت تفككاً.

أما خارجياً، فإن المظاهرات التي هزت عواصم ومدن دول صديقة كانت أم غير ذلك، أعطت طابع لدى حلفاء الكيان والمؤسسات الدولية، أن تلك القضية (القضية الفلسطينية) لا يمكن أن تخرج من وجدان الشعوب ونفسها الإنساني، ولعل المظاهرات الحاشدة في معقل الإمبريالية العالمية "الولايات المتحدة الأمريكية" شاهد على تصدر القضية الفلسطينية إلى الواجهة مجدداً، بزخم جماهيري جديد، هذا الذي بمجمله شكل روافع ودواعم للأحزاب التقدمية التي عرفت بدعمها لفلسطين داخل تلك البلدان ذوي الحكومات المؤيدة للصهاينة، وغيرت بالتالي اللعبة السياسية هناك

في الواقع تعددت النتائج والتي لا يستطيع الإطار النظري أن يشملها، ولكن هناك غير النتائج البارزة تلك ذات الطابع المباشر في الصراع، هناك أيضاً انتصارات تحققت وهي:

أولاً: إفشال مخطط كي الوعي: بسبب اختلاف أنواع الصراع مع الكيان الصهيوني سواء بالشكل أو بالزمن، أي أن هناك صراع يمتد لزمن طويل من خلال المرور بمراحله التخطيط والتنفيذ والحصد، وبالتالي فإن للوعي الجماهيري ساحة معركة، يُخلق من خلالها المنتصر ويَخلق روايته الخاصة بالانتصار في الميدان ومن هنا أدرك الكيان الصهيوني أهمية هذه الساحة، ليس فقط استهداف الوعي الفلسطيني وإنما أيضاً وعي الشعوب المحيطة، حيث عمل الكيان الصهيوني على الهجوم على القواعد من أجل ترسيخ فكرة أن هذا الكيان السرطاني هو كيان سليم يمكن التعايش معه، وبناء طموحات وأحلام مشتركة، وبهذا فقط بدأت فتح قنوات وانفاق بطرق افعوانية، تهدف إلى الدخول في العقول العامة من بوابات مألوفة ومحببة مع اختيار عدد من قادة الرأي للترويج لهذا النوع من الأفكار، ما يشكل بيئة سهلة وخصبة للحكومات الرجعية لكي تقوم بفعل التطبيع دون أن

يكون هناك نزاع داخلي وتناقض مع شعوبها، وذلك بعد إدراك صناع القرار من مراكز الدراسات والأبحاث الصهيونية فشل إسقاط الكيان الصهيوني على عقول الشعوب من خلال قرار أو اتفاق رسمي، وإنما يحدث هذا الشيء عكس المرجو منه، أي أن الشعوب تبقى على تناقض مع فكرة الكيان ومع الحكومة التي وقعت الاتفاق معه.

ومع الأسف استطاع الكيان في مرحلة ما ترجمة خططه الاستراتيجية في السياق السابق، وبنى لنفسه أسساً فكرية في بعض المجتمعات العربية (الخليج خصوصاً)، ما مهد لتمرير التطبيع بين بعض من الدول بشكل مريح على الرغم من أصوات واعية ناهضت التطبيع ولكن الطابع العام بقي ساكناً في أفضل أحواله.

لتأت القدس وهبتها وسيفها وتقلب الطاولة على هذا المخطط الذي طال زمن الإعداد له، وشكلت ذهنية جديدة قديمة مفادها أن هذا الكيان هو كيان عدو وقاتل، وتم نبذ وفضح بعض الرموز المجتمعية التي كانت تروج لوجود الكيان الصهيوني داخل عقول الشعوب.

ثانياً: تسليط الضوء على النضال الوطني في الأراضي التي احتلت عام 1948:

لم يكن من المعقول أن يتم تجاهل نضالات شعبنا في الأراضي التي احتلت عام 1948، وما زاد الموضوع سوءاً أن هناك من كان ينكر وطنيتهم بشكل أو بآخر عبر محاربة رموز المقاومة هناك، وبالتالي عانى الشعب الفلسطيني في تلك المنطقة من صراعين الأول هو الصراع الأساسي مع الاحتلال الصهيوني، الذي يحاول في كل يوم أن يلغي وجودهم بأبشع الأشكال الممكنة، دون أن يفلح بأن ينتزعهم من عمقهم الحضاري الفلسطيني، والصراع الثاني هو صراع الشك والتشكيك الذي تمارسه عن جهل ربما فئة من أبناء شعبنا رغم ادعاء بعضها بأنها تقدمية.

وبفضل وحدة الصراع وتحقيق نتائج ميدانية على الأرض وصفت أنها استثنائية، دون أن يكون لهذا الوصف أي تحيز، فقد تم إبعاد الأفكار المشوهة عن أبناء شعبنا هناك، لا بل زادت الأفكار حول ضرورة دعمهم بكافة الأشكال ومد يد العون لهم، وبالأخص بعدما اختل توازن الاحتلال بدخول قوة شعبية كبيرة في معركة القدس الأخيرة.

ختاماً، فإن الخوض في هذا الموضوع بما يحمله من محاولة لاستشفاف المستقبل، يتطلب منا ومن رفاقنا وأخوتنا في القيادة الفلسطينية وكل المراقبين الحذر واليقظة لارتباط الانتصار بالسياق الذي ولد به سيف القدس كنموذج فريد من نوعه، إذ إنه في أحدى مستوياته قد أفرز نتائج مدهشة وأنجز حقائق بقدرة عامله الذاتي، فاقت كل التوقعات مقارنة مع جبروت الاحتلال وقدراته مما دفع الكثيرين، لربطه بطموحات ورغبات وثمار لا يمكن قطفها مباشرة وهي حتماً ستتحقق بالنفس الطويل، الامر الذي يتطلب المزيد من البحث والتفكير المتروي ودراسة عملية للعامل الذاتي والموضوعي، وميزان القوى المحلي والدولي والمؤثرات العربية والعالمية التي قد تلعب دوراً إيجابياً أو سلبياً في الصراع. وإذا كان سيف القدس استطاع الوصول لحالة من التوازن عدم النهائي (أي عدم تمكن العدو من ممارسة سيطرته)، فلا بد غداً أن يتمكن الشعب الفلسطيني من إجبار العدو على الانسحاب وبالتالي التحرير.

معركة سيف القدس واستراتيجية محور المقاومة

المهندس كمال الحصان
عضو القيادة العامة لمنظمة الصاعقة

بدايةً، مقالتنا هذه، بداية قد تبدو للوهلة الأولى غريبة عن الموضوع، والذي هو" معركة سيف القدس واستراتيجية محور المقاومة"، ولعل مسألة "النهج الاستراتيجي" هي من اثار فينا الرغبة بالعودة الى اساسيات وبدايات الاستراتيجية المعادية للعرب وللمنطقة بأكملها، منذ الاف السنين، ولكننا اخترنا ان نبدأ من نقطة تاريخ قريب نسبيا، وهو الربع الأول من القرن الماضي، حتى لا يتّهمنا البعض باننا من أنصار عقلية المؤامرة!

سَنَتَحدّث عن وثيقة هامة جدا وخطيرة جدا أيضا، وهي تعد اساسا لفهم خلفيات انشاء المشروع اليهودي الصهيوني في فلسطين، من قبل القوى الإمبريالية الغربية في حينه، والوثيقة تحتوي على نتائج المؤتمر الاستعماري الذي عقد في لندن، في الفترة من عام 1905-1907 م وبدعوة من حزب المحافظين البريطاني آنذاك، وقد حضره مجموعة من كبار علماء التاريخ والجغرافيا والزراعة والبترول والاقتصاد، وللضرورة، ومع ان نتائج المؤتمر وحيثياته كانت كبيرة وواسعه الخطورة، إلا ان ما يهمّنا في هذا السياق هو النتيجة الخطيرة والمُدَمّرة التي تمخض عنها المؤتمر بالنسبة لمنطقتنا وكما جاء في وثائق المؤتمر وبالنص:

"إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل – في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس-قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها، وهذا يعني وفق الوثيقة، انشاء كيان غريب (هو الكيان الصهيوني في فلسطين) كقلعة متقدمة ترعى المصالح الغربية، وتضمن ضعف المنطقة وتمنع وحدتها وقوتها"، وأن الوسيلة الأنجع لتحقيق ذلك هو استعمال الأسلحة الثلاثة

ضد المنطقة وهي: تجزئة، تخلف، تناحر. وهذا هو سرّ السياسة الغربية والأمريكية تجاه المنطقة الذي لا زال معمولا به حتى الآن!

لقد حاولت جاهدا، ألّا أبحث في هذا الموضوع، بالارتكاز فقط على مشاعر النشوة الصادقة والحقيقية، بالنصر الكبير الذي تحقق من خلال معركة سيف القدس، بل سأجهد ان اتلمس وبدقة ملامح المستقبل القوي بحق القوة وقوة الحق، والمنتصر لهدف تحرير فلسطين من البحر الى النهر، بعد أن حولت معركة سيف القدس، شعار تحرير فلسطين من البحر الى النهر، من شعار "حالم" (كما كان يزعم بعض المتخاذلين والمتصهينين) إلى جحافل نصر واقعي مؤزر، من صفوف المقاومين المحررين من محور المقاومة، وإلى حقيقة رسخت في عقول أجيالنا في الداخل والشتات، كما في اللد وحيفا وعكا والقدس وغيرها، وان كل شبر من ثرى فلسطين، هو قدسٌ ومُقدّس ، جريح وجراح، لا يلتئم جرحه الا بالتحرير الكامل حتى اصبح المقاومون يستعدون لاستقبال اخوتهم العائدين من أماكن اللجوء في اليرموك والبداوي والوحدات وغيرها.

لا بد من القول كذلك، بان بعضاً من "أبناء جلدتنا"، وهم يعتلون كراسيّ السلطة، بدلا من تسلّحهم بثقة اللاجئ الفلسطيني وأحلامه وحقوقه المشروعة، وقفوا متفرجين، ولم يشاركوا في المعركة، قد يكون ذلك، حرصاً على عدم جرح مشاعر ما يسمونه، الشرعية الدولية، أو التنسيق الأمني، أو السيء الذكر "دايتون"! واكتفوا ببعض المواقف والعبارات المحايدة، والتلطي خلف شعار الوحدة الوطنية!، بالكلام فقط وفقط ؟!

والحقيقة إن الكل الذي شارك هو الكل الشعبي مقاوماً ونصيراً.وكفى، فنحن لا نريد ان نجرح بل نريد ان نصلح. وعسى ان يكون الإصلاح ممكنا!

إن النهج السياسي والعسكري الذي قامت عليه معركة سيف القدس الأخيرة في فلسطين، هو نهج يعد تغييرا أساسياً وجوهرياً لقواعد الاشتباك مع العدو الصهيوني، وذلك يتمثل بحقيقة صارخة، يبدو أن العدو تفاجأ بها، حيث ان الشرارة التي انطلقت من غزة، قوبلت فورا وتلقائيا وبتجاوب عفوي ومقاوم، لتكتب بالدم، ان الشعب الفلسطيني واحد، وان الأرض الفلسطينية واحدة، كما لتوكد ما كان يسخر منه الأعداء، وبعض منظري السلام(الاستسلام)! بأن فلسطين هي

قضية العرب والمسلمين، فها قد جاء الأوان، للرد بلسان صواريخ الحق، السورية والإيرانية، واضحا كالشمس، لمن كاد الظلام ان يطفئ بصره وبصيرتهبعد ان كتب شبابنا في القدس والضفة وغزة وعكا واللد والخليل، هذه الحقائق التي حاول العدو اخفاءها من خلال "انتصاراته" المؤقتة المزعومة السابقة.

لقد انتهت معركة سيف القدس الظافرة، بين الاحتلال والمقاومة، بعد أحد عشر يوما من المواجهة العسكرية والشعبية، محققة نصرا مكملا ومتوجا لنصر المقاومة في جنوب لبنان عام 2006 م حيث أن هذين النصرين، قد جاءا في سياق استراتيجي واحد، وان اختلفت الظروف الموضوعية لكل منهما، لأن السياق الاستراتيجي هو سياق يتعلق بالأهداف والنتائج، وهذه هي منهجية محور المقاومة.

لقد كانت معركة سيف القدس، تحولاً اساسياً في حالة الصراع الوجودي المستمرة منذ أكثر من مئة عام مع العدو الصهيوني، وستكون كما نعتقد في المستقبل القريب، مثلاً يحتذى به، في مسار معركة التحرير والعودة، وربما كان التحول الاستراتيجي التالي، هو الانتقال من المعارك التكتيكية، الى المعارك الاستراتيجية، التي تستهدف تحقيق الهدف النهائي لمحور المقاومة، وهو تحرير فلسطين من البحر الى النهر.

نحن نرى، أن المعارك التكتيكية التي خاضها محور المقاومة حتى الآن، كانت بلا شك، عاملا أساسيا ومؤثراً، في تحقيق الانتصار الكبير في المعركة الأخيرة، بل وفي التحول النوعي الذي حدث في هذه المعركة مع العدو، الامر الذي جعل من صورة فتح معركة واحدة في غزة وجنوب لبنان وبالدعم الكامل من محور المقاومة في آن واحد، يشكّل رعباً قاتلاً ونهائياً للعدو الصهيوني.

كما كان من أبرز نتائج هذه المعركة، ان الحرب البرية التي كان العدو يستقوي بها في حروبه السابقة، صارت نقطة ضعفه وخشيته، وهذا بحد ذاته من اهم التغييرات التي ادخلتها المعركة الأخيرة في قواعد الاشتباك مع العدو الصهيوني.

ومن نتائج هذه المعركة ايضاً، انها القت جانبا بما كان يسمى (القرار الوطني الفلسطيني المستقل)، بعد أن أثبتت عقيدة (القضية المركزية) جدواها دون سواها، بل وضرورتها، حيث لا تحرير بدونها، وأن الفلسطينيين ليسوا سوى طليعة معركة،

وتسندهم وتشاركهم ، كل قوى المقاومة والتحرير، والواقع انه الآن، وعربيا لم يبق سوى القطر العربي السوري، وقيادته الحكيمة والمقاومة، ركيزة للتحرير، والتاريخ يقول ان موقف سورية، هو موقف يمثل الشارع العربي، وكل قوى التحرر في العالم، كما أن المشاركة والدعم الإيراني المفتوح، يمثلان قمة الوقوف مع الحق والعدالة، بل إن إيران تعتبر أن فلسطين والقدس قضيتها المقدسة، كما أي أرض إيرانية، وفي هذا، تعبير واضح اخلاقياً وإيمانياً، وبقوة الشريك المؤمن والمقاوم، الذي لا حدود لمشاركته.

بالمقابل، فان نهج التفاوض مع العدو الصهيوني، والذي لا يزال البعض يراهن عليه، وحتى كخيار وحيد! مع أنه لا يعني سوى التفريط والاستسلام في أحسن حالاته، فقد لاذ هذا البعض بالصمت، خشية ان تؤدي ثرثرتهم خلال قصف صواريخ المقاومة للعدو، الى صحوة ضمائرهم!، وهذا ما لا يريدونه إطلاقاً، لذلك فقد رأيناهم يخرسون، بعد أن سمعوا قول الرئيس المقاوم بشار الأسد وبالفم الملآن، اخوتنا وحلفاؤنا فقط هم المقاومون.

إن القيادة الوطنية المخلصة والصادقة، هي التي تعرف كيف تستثمر وتوظّف وتستفيد من أي نصر مرحلي، لخدمة وتحقيق النصر النهائي على العدو. بينما ما فعلته القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير في أعقاب انتصار معركة سيف القدس، هو أنها قدمت مخططا تفريطياً جديدا، للتفاوض والتنازل لصالح العدو من جديد، بل ومن نقطة الصفر، وذلك حسبما جاء مؤخراً في وثيقة تحتوي على ثلاثين بندا، قدمتها "السلطة" لاستئناف المفاوضات مع العدو لأمريكا، وبشروط أكثر تنازلا وانحرافا وتسليما من تلك التي تلت هزيمة أوسلو عام 1993.

إن الدلالة الكبرى لانتصار معركة سيف القدس هي أن غزة أصبحت من القوة بحيث أنها أصبحت قادرة على الدفاع عن نفسها بجدارة، وبالدعم الكامل والمباشر من قبل محور المقاومة، بل وعلى ردع أي عدوان عليها، ولكنها بالتأكيد غير قادرة على تحرير فلسطين من البحر إلى النهر، وهذا تأكيد جديد، على أن من قالوا بما سمي في حينه "بالقرار الوطني الفلسطيني المستقل"! قد ابتعدوا كثيرا عن فهم جوهر الصراع مع العدو الصهيوني، وعن أن القضية الفلسطينية هي قضية عربية واسلامية، بل هي أوسع من ذلك، فأصبحت قضية محور المقاومة، وليتذكروا

جيدا كما يقول التاريخ، من عادى جلدته، فقد عادى قضيته، وسوف يسجل التاريخ المشرف، هذه الوقفة البطولية لإيران مع فلسطين بأحرف من نور وحق.

إن الجديد الذي كان منتظرا وقد طال انتظاره، والذي أضيف إلى معادلة معركة التحرير، هو دخول ما اصطلح على تسميتهم بفلسطينيي 48 إلى هذه المعادلة، وفلسطينيي 48 هو اصطلاح يطلق على أكثر من مليوني عربي فلسطيني ظلوا بعد نكبة عام 48، يعيشون داخل مدنهم وقراهم في فلسطين المحتلة، وتحت سيطرة عصابة ما يسمى الكيان الصهيوني، والذين كان هذا الكيان، يعتبرهم خارج معادلة الصراع معه، وقد فوجئ بانخراط هؤلاء العرب الفلسطينيين في معركة سيف القدس، المعركة بقوة وايمان ومقاومة، لم يكن هذا العدو يتوقعها في يوم من الأيام.

نتائج معركة سيف القدس

من أبرز نتائج معركة سيف القدس، هو أن الشعب العربي الفلسطيني، قد تحول مباشرة في هذه المعركة، إلى كتلة واحدة من الصمود والمقاومة، مُنهياً بذلك، عشرات السنوات التي مرت تحت قهر العدو وبطشه وعصريته، كما كان الدخول النوعي لبعض سلاح المقاومة والاعلان عن مصدرها امداداً وتصنيعا ومشاركة، نعني بذلك دخول سلاح محور المقاومة إلى المعركة بالصواريخ الغزاوية والإيرانية والسورية، تأكيدا جديداً، على أن محور المقاومة هو محور التحرير الحقيقي شاء من شاء وأبى من أبى، وهو المقاوم وليس غيره، عاجلاً أم آجلاً.

إن انتصار الجغرافيا الفلسطينية وهبتها الصارخة، قد اكدت بالصواريخ والبندقية والمقاومة والانتماء، إن فلسطين، ومنذ آلاف السنين، ملك صاف ومقدس لشعبها العربي الفلسطيني، وأن دولة الاحتلال هي مشروع استعماري غربي أمريكي، هدفه زرع رأس حربة له في المنطقة، على غرار ما فعلت الحروب الصليبية والتي ذهبت منذ قرون الى مزبلة التاريخ ولم يبق لها أثر.

مؤسف القول، إن جهات فلسطينية! تدّعي " الرسمية" وتمثيل الكل الفلسطيني، قد اتخذت موقف المتفرّج في هذه المعركة، حتى لا نقول أكثر من ذلك! بل وقدمت

نموذجا لرؤيتها في هذه المسالة، من خلال خنق بل وقتل صوت وطني مقاوم هو الشهيد نزار بنات.

إن معركة سيف القدس الأخيرة، بمكوّنها الرئيس، محور المقاومة، قد تُطَوّر المعارك المستقبلية مع العدو، بسيوفها الحادة في غزة ولبنان وسورية وإيران وحتى المقاومة في الضفة، إلى مواجهة عسكرية شاملة، لا بد أن تحقق النصر النهائي على العدو.

نعتقد أنه، واحتراماً وتقديراً لهذا الانتصار الكبير، فقد آن الأوان، للعودة إلى ما حدده وقرره الميثاق الوطني الفلسطيني، وبالتالي الابتعاد عن التنظيرات والرؤى السياسية العليلة والمريضة، والتي تستند إلى الخرافة المضللة "العين والمخرز"- والتي لن تؤدي إلا إلى المزيد من إضعاف الإيمان بالقضية المركزية، والتسليم باتباع مفاهيم ومقولات سياسية مغلوطه ومدمره.

ولمن يعلنون دائما، عن ضرورة الاتفاق على "مشروع وطني فلسطيني" موحد، لجميع الفصائل والقوى نقول، إننا نفهم أن هذا المشروع هو بالتأكيد، ليس "مشروع الدولة" على جزء من أرض فلسطين التاريخية، وليس طبعا المشروع المستند إلى المفاوضات أو ما يسمى بالشرعية الدولية، والتي لن تكون سوى مفاوضات عبثيه ومضيعة للوقت لصالح العدو، أي أنه ليس مشروع تسوية، وإنما مشروع استسلام على حساب شعبنا وحقوقه الثابتة والتاريخية بأي حال من الأحوال.

الزمن لا يُضَيع الحق، وكما يقول المثل الشعبي، (لا يضيع حق وراءه مُطالب)، فكيف إذا كان هذا الحق يسنده ويقف معه محور المقاومة وصواريخه، فالهزيمة حتما، في هذه الحالة، لمحور الشر، وللشيطان الأكبر، ولأتباعه وعملائه وأذنابه.

هل ستكون (سيف القدس) الحرب قبل الأخيرة؟

د. وليد القططي
عضو المكتب السياسي
لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

مرت ذكرى النكبة الثالثة والسبعين وفلسطين كلها موّحدة تقاوم خلف القدس وسيفها، غزة بالصواريخ، والضفة بالحجارة، والساحل والمثلث والجليل والنقب بالمظاهرات، في لوحة عز وشرف وكرامة، مرسومة بالدم والعرق والدموع. ذكرى النكبة المحفورة في عمق الذاكرة بحروف من ألم وحسرة ومهانة، تضرب في الوعي الجمعي للشعب والأمة بسؤال ليس له جواب مقنع : كيف استطاع كيان ناشئ بجيشه الصغير أن ينتصر على جيوش عربية عديدة، ودول عربية كبيرة، ويتمدد ليحتل كل فلسطين والجولان وسيناء، ليضع قدمه الأولى على هضبة الجولان وقدمه الأخرى على مياه قناة السويس، في غضون أقل من عشرين عاماً على قيام الكيان الصهيوني، ليكتب جيش الكيان لقب " الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر". فما باله يُقهر في حرب (سيف القدس) فيعجز عن وقف صواريخ المقاومة الفلسطينية المنهمرة كحجارة السجيل فوق رؤوس مستوطنيه في مستوطنته المركزية تل أبيب ومعظم مستوطناته المُقامة على أنقاض أرضنا المغتصبة، فتنقلب الصورة لتصبح المقاومة الفلسطينية التي لا تُقهر، وما بين المشهدين شيء ما تغير. لم يتغير الكيان الصهيوني أو الجيش الإسرائيلي، ولكن الذي تغير هو الإنسان العربي الذي يُحارب الكيان وجيشه، فقد انتهت حروب الجيوش النظامية لأنظمة حاكمة غير جادة في مواجهة الكيان الصهيوني، وكان آخرها حرب أكتوبر عام 1973 م، التي خرج بعدها الجيش المصري من الصراع، مقابل استعادة سيناء منزوعة السيادة لمصر، ثم لتكون حرب لبنان الثانية عام 1982 م، مرحلة فاصلة بين حروب الجيوش والمقاومة، فيهزم فيها قوات المنظمة شبه النظامية، وتنتصر فيها قوات حزب الله المقاومة بعد ثمانية عشر عاماً من المقاومة العنيدة، تُوجت

بانسحاب الجيش الإسرائيلي مدحوراً تحت ضربات المقاومة عام 2000 م، لتبدأ في نفس العام الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعد فشل المرحلة الانتقالية من اتفاقية أوسلو في تحقيق وعودها، وانتهت بأول إنجاز للمقاومة على الأرض الفلسطينية عندما فككت المشروع الاستيطاني في غزة، وأجبرت جيش الاحتلال على الانسحاب إلى حدود القطاع، وبعد ذلك بعام حققت المقاومة اللبنانية إنجازاً جديداً في حرب لبنان الثانية عام 2006م، عندما أجبرت الجيش الإسرائيلي الغازي على الهروب مذعوراً تحت ضربات المقاومة ومن ثم وقف الحرب دون أن تحقق هدفها، لتبدأ حروب غزة العدوانية الثلاثة وعشرات المعارك وجولات التصعيد، دون أن يستطيع الجيش الإسرائيلي تحقيق النصر في ميدان المعركة، أو إنجاز صورة النصر في ميدان الإعلام، وهذا شيء قريب من الهزيمة

حقيقة العجز عن تحقيق النصر أو صورة النصر عّبر عنها وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق أفيجدور ليبرمان، بقوله: " إنّ الحكومات الإسرائيلية توّقفت عن الانتصار منذ حرب لبنان الأولى"، ولكن ليبرمان لم يُدرك سبب توقف الحكومات الإسرائيلية عن الانتصار، وحاول رئيس أركان الحرب الإسرائيلي أفيف كوخافي معرفة السبب عن طريق عقد ورشة عمل من كبار ضباط جيشه سّماها (ورشة النصر)؛ لحل لغز مأزق النصر، لتجيب على سؤال : كيف يُمكن لإسرائيل أن تحظى بنصر نظيف حاسم غير قابل للشك في حروبها المقبلة؟!، ورشة العمل لم تستطع الإجابة عن هذا السؤال، لإدراكهم استحالة تحقيق النصر بالمفهوم التقليدي القديم، كاحتلال الأرض، أو تحقيق الأهداف السياسية للحرب، أو إخضاع المقاومة لإرادة الكيان، فذهبت الورشة إلى تغيير مفهوم النصر ليكون أكثر تواضعاً، يتركز حول زيادة المدة الزمنية بين جولات المواجهة، أو تقليل أمد كل جولة ومواجهة ضررها وردع العدو عن مهاجمة (إسرائيل)، وتعبيراً أكثر وضوحاً عن مأزق النصر الإسرائيلي كتب رئيس هيئة التحرير في صحيفة هآرتس مقالاً تحليلياً عقب إحدى جولات التصعيد قبل ثلاثة أعوام : " عندما تخوض إسرائيل مواجهة انطلاقاً من هدف مُعلن فإنّ أعدائنا سينتصرون طالما أنهم لا يستسلمون". الشيء الأكثر خطورة على الكيان الصهيوني من مأزق النصر هو دور الصواريخ في تقويض أساس المشروع الصهيوني، فهذا الكيان قام على ثلاث ركائز مترابطة، هي

: الأمن والهجرة والاستيطان، فالأمن أساس جلب اليهود الصهاينة، وهجرتهم إلى (أرض الميعاد)، والاستيطان فيها، ليحقق كل يهودي صهيوني حلمه الخاص في (أرض السمن والعسل)، ويحقق اليهود مجتمعين حلمهم الجمعي في إقامة (وطن قومي يهودي)، والصواريخ تسلب المستوطنين الأمن الشخصي والجماعي، وبدلاً من أن تكون (إسرائيل) أكثر مكان آمن لليهود في العالم، تصبح أكثر مكان خطراً على حياة اليهود في العالم، فلا يُهاجر يهود جدد إليها، بل تتحوّل إلى مكان طارد لليهود فتتزايد الهجرة العكسية، فيتأثر الاستيطان سلباً، وهو جوهر المشروع الصهيوني، وفي ذلك الخطر الأمني خطراً وجودياً على دولة (إسرائيل)، وهذا ما عبّر عنه مؤسس الدولة العبرية ديفيد بن جوريون بقوله :" إنّ جوهر مشكلتنا الأمنية هو وجودنا بالذات، وهذا هو المعنى الفظيع لمشكلتنا الأمنية".

المأزق الأمني والوجودي الذي سببته صواريخ المقاومة للكيان الصهيوني في تصديها لحروب ومعارك الكيان العدوانية السابقة، تعّمق بشكل كبير وسريع في الجولة الحربية الحالية (سيف القدس)، بسبب تطور صواريخ المقاومة كما ونوعا ومسافة، ومراكمتها لعناصر القوة المبنية على كل جولات الصراع السابقة، وإصرارها على إرادة النصر رغم ضخامة الخسائر البشرية والمادية، وإيمانها بأهمية نتائج المعركة على مسار الصراع مع الكيان الصهيوني، وما لها من تأثير هائل على الكيان في كل المجالات، أهمها: تغّير صورة (إسرائيل) القوية وجيشها القادر، أمام العرب والعالم، لتصبح (إسرائيل) الضعيفة، وجيشها العاجز. وفقدان ثقة المستوطنين اليهود في دولتهم لتصبح مكاناً غير آمن للعيش فيه، وفقدان ثقتهم بجيشهم ليصبح مؤسسة غير قادرة على حمايتهم، وفقدان ثقتهم بقيادتهم السياسية لتصبح قيادة لا تستطيع قيادتهم لبر الأمان.

وهذه النتائج المتعلقة بالجبهة الداخلية للكيان مهمة، والتي ستُساهم في تفكيك الكيان من الداخل، ككيان أوهن من بيت العنكبوت، والتي ستجعلهم ((يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ))، ولكن الأهم منها هو تكملة الآية القرآنية الكريمة ((وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ))، وهي النتيجة التي سيخرج بها أعداء (إسرائيل) في محور المقاومة وكل أحرار الأمة والعالم، عندما يرون عجزها أمام جبهة غزة منفردة، فكيف إذا ما انهمرت الصواريخ على الكيان من كل الجبهات مرة واحدة؟، وهذه النتيجة ستُعجل

في الإعداد لحرب وعد الآخرة الفاصلة، فبعد أن صدق الله العظيم وعده بمجيء اليهود جماعات مُهاجرة من كل أنحاء العالم إلى فلسطين ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا))، وبعد أن بعث الله تعالى جيل النصر ممن يمتلكون شرطي الإيمان والقوة بقوله تعالى ((عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ))، لم يبق إلا تحقيق وعدة الآخرة حيث المعركة الكُبرى الفاصلة ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا))، فهل ستكون معركة (سيف القدس) الحرب قبل الأخيرة؟!

سيف القدس.... دروس تعلوها العبر
«القدس أقرب، تل أبيب تحت النار وغزة تنتصر للقدس وأبناء الـ 48 ينتفضون»

عبدالله منيني
أمين سر مؤتمر الأحزاب العربية

مقدمة:

ثقافة المقاومة، فعل حياة..

لم تكن المعارك المتواصلة التي شنها الاستعمار الجديد على امتنا منذ عقود مضت، مجرد معارك عشوائية أو عبثية دون أجندة واضحة أو خطة استراتيجية بائنة الأهداف والأدوات، وهي التي انتهجت كأساس نفسي لها على نظرية تيئيس المواطن العربي من ثقافته ومجتمعه وحقه في أرضه، تحضيراً لتقبل الهزيمة والرضوخ للأمر الواقع الذي أراد اعداؤنا فرضه بالقوة والتآمر، فسارت هذه المعركة في خطا متسارعة للنيل من انساننا وقوانا الحية وأرضنا وفصائلنا واحزابنا مستخدمة الوسائل غير المشروعة، مزورة للتاريخ وسارقة للأرض.

وقد واجهت الأمة تلك المخططات بردة فعل طبيعية تحاكي نبض الأمة وضميرها الحي وايمانها بحقها التاريخي الذي لا يقبل المساومة أو النقاش، وقابلنا جميع مشاريع التيئيس، بزرع بذور الأمل والإرادة الحرة بتصميم منقطع النظير مقروناً بعزم المقاومين وصولاً للنصر الأكيد الذي لا مفر منه إلا إليه. إننا باختصار نعيش في أتون حرب متواصلة، لم يوفر العدو فيها أي معركة يستطيع افتعالها باستخدام أساليبه الدنيئة، وجرائمه الكبرى التي يندى لها جبين الانسانية، كما وخرق القانون الدولي والمواثيق الدولية في محاولة الانتصار بها. إلا أن المقاومة واجهت هذه المعارك ببسالة واقتدار، وحققت انتصارات متتالية، واعادت الثقة بالنفس وجعلت المواطن العربي يشعر بذاته الموجودة والمتحررة من خلال قناعته

بعناصر ثقافاته الفاعلة هذه الثقافة الانسانية المثلى نحتاج وبشدة إلى بلورة مقولاتها وقيمها الموحدة في عقولنا واستلهام رموزها المجاهدة ضد ظلم الاحتلال في سلوكنا وتجربتنا.

لقد تدبرت المقاومة المظفرة الخلفيات التاريخية والقيمية لثقافتها وطوعتها بمنهجية عملية ثابتة، وحملتها للحاضر والمستقبل بعقل منفتح وضمير متقد. إن المقاومة مكنت الانسان العربي من تأطير قوه الذاتية واعطته الفرصة ليكون مبدعاً وقادراً في ساحات المعركة مع الاعداء كما مكنته من التصالح مع نفسه ومجتمعه.

إن تحرير فلسطين والجولان عدا أنه المهمة الاولى للمقاومة الفلسطينية والعربية فإنه أيضاً إيمان ومسؤولية يجب أن تعيش في نفوسنا ووجداننا وسلوكنا وخطابنا ومشاريعنا الفردية كانت أم الجمعية.

إنه وعلى الرغم ما حمله التاريخ من تباينات حاصلة بين فصائل المقاومة في فلسطين من حيث المرجعيات العقائدية والمنطلقات النظرية والعملية والفكرية، إلا أن ذلك يجب أن لا يقلص حدود الإرادة والحماس للهدف وهو عودة القدس وفلسطين والجولان إلى أصحابها الحقيقين والشرعيين، حيث يجب أن تتضافر جميع الجهود المقاومة العربية والفلسطينية لتصب في خندق التحرير والبناء، وكما أنها استطاعت أن تنتصر في المعارك كافة مع العدو الصهيوني كذلك يجب أن تكون ساحاتنا العربية قوة لهذه المقاومة ونقطة ارتكاز لنضالها وملهم لجهادها في معركتها المستقبلية الحاسمة، حيث نراها اقرب مما يتخيله احد.

سيف القدس أصدق أنباء من السلام..

شهد شهر أيار/مايو لعام2021 حدثاً بارزاً وانجازاً تاريخياً صنعه شعبنا في فلسطين تجلى بإطلاق معركة سيف القدس في مواجهة معركة الكيان الصهيوني التي أسماها "حارس الأسوار" أحد عشر يوماً شكلت تحولاً استراتيجياً في جوهر الصراع العربي الصهيوني، وأكدت قوة وتكافل محور المقاومة وأن الزمن هو زمن المقاومة والتحرير. وبإقرار صهيوني وعالمي سجلت معركة سيف القدس انتصارها التاريخي في صفحات خالدة من عمر الصراع العربي الصهيوني وقد رأينا عدونا

الأول والأخير، المتبجح بقوته التي لا تقهر نراه ذليلا خائفا مهزوماً بفعل مقاومة أهلنا الأبطال على أرض فلسطين.

معركة سيف القدس لقنت قوات الاحتلال الصهيوني ضربة قاسمة أدت إلى فشل غالبية أهدافهم المعلنة منها والخفية من هذه الحرب التي شنت على قطاع غزة، وشكلت المقاومة الفلسطينية الباسلة نقطة تحول وعلامة بارزة من علامات النهوض التي نشهدها في هذا الشأن.

لقد كانت القدس وما زالت بوابة التحرير الأولى وقبلة المقاومين وكل التواقين للحرية والكرامة والعزة، وأخطأت عصابات بني صهيون حين ظنت أنه بإمكانها المساس بالقدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة. واستطاعت القدس وسيفها نسف فكرة السلام المزعوم وتكريس فعل المقاومة كمشروع جامع لأبناء فلسطين والامة، وتجذرت قاعدة أن لا تحرير دون مقاومة، وتغلغلت هذه المقاومة في الانفس العطشى الى الحرية فأبدعت وانجزت، لأنها جاءت كاستجابة للعقيدة الثابتة في نفوس المؤمنين بفلسطين وحريتها.

لقد شاهد العالم أجمع هبة أهلنا في القدس دفاعاً عن الأقصى، كما صلابة وتمسك أهالي حي الشيخ جراح بأرضهم. بالتوازي مع صواريخ العز والكرامة والكبرياء والإباء أطلقها المجاهدون في غزة العزة لتدك مضاجع الصهاينة المجرمين وتزلزل عروش أنظمة الخيانة والتطبيع. وانتفض أهلنا في أراضي الـ 48 ليعلنوا تضامنهم مع القدس والأقصى، كما انتفض أهل الضفة، وبهذا تكون فلسطين كل فلسطين من نهرها الى بحرها قد وقفت صفاً واحداً في وجه الكيان الصهيوني المجرم. هي مشهديه تجلت معلنة بأن زمن الهزائم قد ولى، وجاء زمن الانتصارات، وانتصارنا اليوم ليس كأي انتصار فهو انتصار الحق والقوة والمقاومة والارادة والعمل الجماعي.

لقد أثبت شعبنا الفلسطيني وقواه المقاومة مرة جديدة جدارتهم وقدرتهم الفريدة في تحطيم مخططات العدو ومواجهة ترسانة الحرب الصهيونية البرية والجوية والبحرية، وإلحاق الخسائر الجسيمة في صفوف جيشها وتدمير آلياتها واستهداف المدن والمستوطنات بوابل من الصواريخ وقتل وجرح عشرات الجنود والمستوطنين الصهاينة ما أدى إلى إلحاق الهزيمة بالعدو، واظهار هشاشة وجوده

في مجتمعه وعلى مستوى العالم ومنعه من تحقيق أهدافه ورسم معادلة توازن الرعب مع الكيان الغاصب ما اضطره إلى المطالبة بوقف إطلاق النار، كل ذلك قد تحقق رغم الحصار والتآمر ومحدودية الإمكانيات.

إن هذا الفشل الذريع للعدو ما كان ليحصل لولا الوحدة الميدانية التي جمعت فصائل المقاومة في غرفة عمليات مشتركة وإرادة القتال والمواجهة لدى المجاهدين ولدى الشعب الفلسطيني واستعدادهم لتقديم أغلى التضحيات للدفاع عن أرضهم ومقدساتهم وعن كرامتهم وعزتهم، لقد حقق المقاومون الأبطال نصراً مؤزراً أضيف إلى سلسلة الانتصارات التي حققتها قوى المقاومة في لبنان وفلسطين وسورية والعراق واليمن وايران.

لقد استطاع أبطال المقاومة الفلسطينية تمريغ أنف الصهاينة في التراب ودحرهم وهزيمتهم شر هزيمة رغم تواطئ بعض الأنظمة العربية الغارقة في مستنقع التطبيع مع هذا العدو استجابة للإملاءات الولايات المتحدة الأميركية.

انتصار معركة سيف القدس دلالات استراتيجية وعبر وطنية:

شكل هذا الانتصار التاريخي والاستراتيجي للمقاومة الفلسطينية في معركة سيف القدس على جحافل العدو الصهيوني بارقة أمل جديدة تضاف الى انجازات سابقة حققتها المقاومة في لبنان وسورية والعراق واليمن وفلسطين وايران لتؤكد أن متتالية الانتصار والتحرير هو حقيقة علمية راسخة، وأن أي انتصار حالي هو أساس متين لانتصارات لاحقة .

- استطاع هذا الانتصار إعادة فتح آفاق رحبة على جماهير الأمة وقواها الحية لتستلهم من خلالها الدروس والعبر من أهمية هذه المعارك التي تخوضها مقاومتنا ضد اعداء الامة، وتحقق فيها الانتصارات ضد آلة الحرب الصهيونية والتي تلقى دعماً امريكياً مباشراً عسكرياً وسياسياً.
- سيف القدس وفي ضوء التطبيع العربي والتآمر الغربي، ساهمت بإعادة الاعتبار إلى نهج المقاومة كخيار استراتيجي غير قابل للمساومة عليه ونهج مضمون النتائج تسير عليه قوانا الحية في الامة جمعاء بمختلف توجهاتها وبرامجها السياسية، واضحت سبيلاً ناجعاً وقادراً لوضع حد

لكل مشاريع التسوية والاستسلام ولنسف المخططات والمشاريع الاستعمارية الجديدة التي خطط لها المحافظون الجدد لإعادة تشكيل المنطقة وتحديد مستقبلها المتوافق مع هذه المخططات.

- إن هذه المعركة ساهمت في عملية الفرز بين إرادة الأنظمة العربية المتواطئة وبين إرادة الشعوب الحرة وقد أكدت معركة سيف القدس أن لا مستقبل للعرب إلا بالتضامن الحقيقي والفعلي على مبدأ المقاومة وتسخير مقدرات الأمة وقواها الحية لمشروع قومي جامع. فالشعوب الحية لا يمكن أن تقبل الضيم والاستسلام والتطبيع وتدنيس الاوطان والمساس بالكرامة الوطنية والقومية.
- لقد وضعت هذه المعركة الجميع من دول واحزاب وفصائل وهيئات أمام مسؤولياتهم التاريخية وأثبتت أنه لا يمكن لأحد أن يتنصل من مسؤولياته الوطنية والقومية فمواقف الاستسلام والتطبيع للقوى الرسمية العربية هي من سمحت للكيان الصهيوني وأمريكيا التمادي في الاستيطان والتهويد ومواصلة اعتداءاتهم البربرية وممارسة كافة انواع الحصار والضغوط سعياً لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية والتقسيمية والاحتلالية في المنطقة.
- اكدت معركة سيف القدس أن الطريق الأمثل للمواجهة، في ظل التحولات والمتغيرات العالمية غير الرامية لحقوقنا ومصالحنا هي حرب المقاومة الشعبية، أي حرب الشعب باعتبارها وسيلة ممكنة على مستوى الإعداد والمواجهة للانتصار، على نظيرة التوازن الاستراتيجي التي فرضت على منطقتنا منطق الرضوخ والاستسلام.
- فرضت هذه المعركة أولوية وضرورة تعزيز الجوانب الإيجابية للتجربة النضالية الفلسطينية وضرورة الدفع في مسار الحركة الوطنية المقاومة لتحقيق الانجازات الميدانية على العدو ومشاريعه التهويدية.
- تبين أهمية التمسك بوحدة الخطة والأهداف والأدوات، والتي كان لها السبب الرئيسي في الانتصار الذي تحقق، والاتفاق على أجندة كفاحية ونضالية واحدة على المستوى السياسي والنضالي (المقاومة)، اذ لا يحق

لأي طرف وطني التذرع بالخلافات للهروب من المساهمة الفعلية في تعزيز هذا الدور.

- إن ترتيب البيت الفلسطيني وتعزيز الوحدة الوطنية بكل الوسائل المتاحة هو أساس نجاح أي خطة وطنية وتطوير الشكل ووسائل النضال العسكري والسياسي والجماهيري.
- علينا تطوير أشكال الصلة مع قوى المقاومة العربية والاسلامية وتعزيز التعاون معها لمصلحة تمكين استراتيجية المقاومة وترسيخ نهجها كأحد السبل الأساسية لاستعادة الحقوق والكرامة.
- نحن مطالبون بتعزيز العلاقة بين قوى المقاومة الفلسطينية وحركة الجماهير الفلسطينية ومغادرة كل أشكال العمل الضيق لمصلحة العمل الوطني الجامع والشامل، بما يساهم في تعزيز العلاقة وحل مشكلات الجماهير.
- ومعنيون أيضاً بتعزيز العلاقة المقاومة مع البعد الاقليمي والدولي بما يعزز من قدرتنا على تشكيل حاضنة عربية ودولية لنضال شعبنا الفلسطيني ومشروعيته التي تقرها كل الأعراف والمواثيق الدولية.
- إن هذا الانتصار لم يكن ليتحقق إلا بصدق المجاهدين المخلصين وتضحياتهم الكبرى، وصمود شعبنا في فلسطين كل فلسطين، وبفضل توحيد الجهود على قاعدة المقاومة المسلحة، وهي حق مشروع لأبناء شعبنا في سبيل التحرير والاستقلال ودحر الاحتلال الصهيوني من كل فلسطين.
- إن معركة سيف القدس أنهت مشاريع التطبيع الخبيثة، وأنهت كذبة السلام المزعوم، وأسقطت صفقة القرن وكسرت هيبة العدو الصهيوني ومن خلفه دول وأنظمة، ورسمت قواعد اشتباك جديدة، الكلمة العليا فيها للمقاومة المسلحة ورسمت استراتيجية سياسية ومجتمعية جديدة بالغة الأهمية والتأثير المباشر على مستقبل الصراع.
- كشفت هذه المعركة عن الإمكانيات والأسلحة النوعية التي تملكها المقاومة وقدرتها على فرض الشروط على العدو. وقد فرضت معادلات

جديدة على العدو في القدس وحي الشيخ جراح، وأثبتت وحدة الموقف لأهلنا في الـ 48 وغزة وكامل الضفة والقدس على قاعدة التمسك بالمقاومة خياراً وحيداً.

- إن انتصار اليوم أثبت أن حماية القدس، ومقدساتها، ليست مسؤولية المقدسيين وحدهم بل هي مسؤولية كل فلسطيني وعربي هي مسؤولية الأمة جمعاء وكل حر في العالم، ونحن اليوم أمام معادلة جديدة عنوانها أن أي اعتداء على أي أرض فلسطينية سيواجه برد موحد من محور المقاومة ومن كل أحرار العالم.
- علينا الوقوف أمام الالتفاف الشعبي العربي والعالمي حول القدس وفلسطين، وتوحيد المواقف المشرفة التي تابعها العالم وكل ذلك ما هو إلا تأكيد أن أمتنا، كما العالم، يرى الحقيقة التي يحاول الأعداء طمسها، وأن جميع الأحرار يعترفون بحقنا في المقاومة حتى تحرير أرضنا من أي محتل وهذا يحتاج البناء عليه وتوسيع قاعدة التنسيق العالمي وقيام وسائل الإعلام بتكثيف الخطاب المقاوم الجامع والذي يحظى بتأييد جماهيري كبير.
- إن البناء على هذا الانتصار هو ضرورة ملحة لا تقبل المساومة والتأجيل فالانتصار رسم خارطة طريق أقرها شعبنا الفلسطيني وهي المقاومة كخيار وحيد، وعلى كافة الفصائل والقوى أن تلتقط هذه اللحظة التاريخية وتضع برامجها الموحدة لقيادة مقاومة شعبية لتحرير فلسطين.

الخاتمة:

لقد استطاعت معركة سيف القدس، وبشكل مجرد، أن تثبت أن هناك تحولا استراتيجياً تنتهجه المقاومة، تحولاً كشف هشاشة ما يسمى باتفاقات "أبراهام" و"صفقة القرن" كما كشفت في ما سبق كذبة اتفاقات أوسلو ووادي عربة وكامب ديفيد. وأظهرت أن الدعوات الصادقة بأهمية الوحدة الفلسطينية النضالية في

مواجهة الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل المحتل، هي البديل العملي والحقيقي لمسار المفاوضات العبثية والرضوخ للأمر الواقع.

استطاعت هذه المعركة الغراء بشموليتها في القدس وغزة والضفة والداخل، تثبيت الحق الفلسطيني في القدس، وتفنيد رواية الاحتلال بأحقيته في تهويد القدس وأحيائها. وأظهرت المقاومة الوطنية في غزة نموذجا قتالياً محترفاً، وقدرة عالية على مواجهة العدوان الإسرائيلي والتعامل مع خطط الاحتلال، بما يحد من قدرته على إطالة أمد عدوانه ضد الفلسطينيين متجاوزة تداعيات الحصار الخطيرة والاعتداءات الصهيونية المتكررة التي لم تستطع أن تحد من قدرة المقاومة كما إرادتها.

يضاف لذلك هبة فلسطينيي الداخل المحتل التي برهنت - بما لا يدع مجالا للشك- أن رهان سلطات الاحتلال على إخضاع أهلنا في الداخل وتدجينهم في مسارات التطبيع وفرض ثقافة الاستسلام هو رهان خاسر.

إن انتصار معركة سيف القدس هو انتصار لسورية وايران كما للمقاومة الاسلامية في لبنان والعراق واليمن. وقد تبينت حقيقة الترابط الوثيق بين بلدان محور المقاومة بقوة وثبات في معارك الدفاع عن بلادنا ضد الغزوة الاستعمارية الصهيونية، وقد استطاع هذا المحور بثباته ووعيه أن يقيم معادلات قوة، وأن ينسّق الجهود ويتشارك الخبرات في سحق هذه الموجة العاتية من الارهاب المنظم، التي أراد بها المخطّطون الصهاينة والغربيون أن يثأروا من حلف المقاومة الإقليمي بعد ما ألحقه من الهزائم بالكيان الصهيوني، خصوصاً بعد علو معادلات الردع، التي كسرت الغطرسة الصهيونية، وقطعت يد العدوان.

إن تناغم قوى المقاومة رغم كل المؤامرات التي تحاك ضدها في المنطقة وترابطها وتطوير أسلحتها وصناعاتها المختلفة والسير نحو الاكتفاء الذاتي، وهذا التطور الكبير يقابله صوت مجلجل بالموت لإسرائيل، هو أيضاً يدل على أن ارضنا في فلسطين والجولان ستتحرر. إننا ومن قلب دمشق نبارك هذه الانتصارات التي حققتها سورية ومحور المقاومة من العراق وسورية ولبنان وفلسطين حتى اليمن، ونقول لأهلنا في فلسطين إن كل انتصار يتحقق في سورية هو انتصار لقضيتنا، وكلما ابتعدت سورية منتصرة عن مؤامرات الاعداء هذا يعني أنها الأقرب اليكم.

هبة القدس في الموروث الثقافي الفلسطيني

د. نجلاء الخضراء
باحثة في التراث الشعبي

حظيت مدينة القدس ولا تزال، بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، وتميزت بخصوصية الزمان والمكان فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الحضارة الكنعانية، أما خصوصيتها المكانية فقد شملت الموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم وتعاقبت عليها الحضارات وأمتها الجماعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، دلالة على عظمة وقدسية المكان ولا بد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين رغم كل ماحل بها من نكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثماني عشرة مرة عبر التاريخ، وفي كل مرة كانت تخرج أصلب وأقوى وأعظم وأكثر رسوخا من سابقتها، ما يدل على إصرار أهلها على الحياة والبقاء.

- القدس في التاريخ القديم:

كانت القدس عبر العصور على مرّ الأزمان مكاناً خصباً للحياة وحصناً منيعاً أمام الأعداء ومكاناً مقدسّاً لكل الديانات، ولجميع الأقوام التي عاشوا فيها وسكنوها وتوارثوها، ومنهلاً للثّبات والصمود. ومنذ بداية تاريخها إلى اليوم تعرضت مدينة القدس للكثير من الهجمات والحملات، وبقيت صامدة في وجه كل من حاول السيطرة عليها واحتلالها بسبب صمود شعبها وسكانها الأصليين وذودهم عن مدينتهم ودفاعهم عنها وعن مقدساتها وعروبتها. وفي كل مرة كان الحق يعود لأصحابه الذين لم يتخلوا عنها ولم يتركوها ولم يهجروها يوما.

- الفتح الإسلامي:

حمل المسلمون رسالة الإسلام بحماسة بالغة بعد أن لفت القرآن الكريم أنظارهم إلى عالمية الدعوة وكلّفهم تبليغها فقامت حركة الفتوحات الإسلامية لتمهيد

الطرق أمام الإسلام كانت فلسطين آنذاك تحت حكم الدولة البيزنطية وبحكم مجاورتها لبلاد الإسلام كانت أول البلاد التي تطلع اليها المسلمون، إذ بدأت هذه التطلعات في عهد النبي محمد عليه الصلاة والسلام

- الحروب الصليبية:

الحملات الصليبية اسم يطلق على مجموعة الحملات والحروب التي قام بها الأوروبيون من أواخر القرن 11م إلى الثلث الأخير من القرن 13م ، وسميت بهذا الاسم لأن من خاضها من الفرسان كانوا يخيطون على صدور ألبستهم وأكمامها الصليب من قماش أحمر، كما كانت غايتهم نصر الصليب المقدس واستعادته.

كان الحكام الفاطميون يحكمون القدس حكماً رحيماً وكانوا قد سمحوا للمسيحين إقامة طقوسهم الدينية وحجهم المسيحية بكامل الحرية وبكل رحابة صدر. في تلك الفترة بدأ الزحف السلجوقي التركي.

تجمعت قوات الصليبين في القسطنطينية، إذ تم اعداد الجيوش هناك لتعبر البسفور إلى الشام، وفي انطاكية قامت معركة بينهم وبين السلاجقة هناك انهزم فيها السلاجقة واستولى الصليبيون على انطاكية، ثم توجهوا لمدينة القدس وحاصروها شهراً كاملاً ودخلوها في 15 يوليو 1099م وأقاموا فيها مذبحة واستباحوا المدينة المقدسة.

بدأ صلاح الدين يعدّ العدة للهجوم على الصليبين في القدس بقطع الطريق على أي امدادات تأتي من المسالك التي يسيطر عليها الصليبيون كشمال الشام، وجزء من انطاكية، ومملكة طرابلس. وصل صلاح الدين الأيوبي قرب أسوار القدس من جهة جبل الزيتون، وضرب حولها حصاراً قوياً ثم بدأ يضرب أسوار المدينة بالمنجنيق.

يتضح لنا مما سبق تعرض القدس في تاريخها الطويل للعديد من الهجرات والحملات والهجمات، فدمّرت مرّات وأسقطت واستردّت مرّات ومرّات، ومع ذلك أقيمت حضارات كثيرة كان لها أسبابها ومسوّغاتها التي كانت سرّ خلودها واستمرارها ألاف السنين، على الرغم مما مرّ بها من تحالفات وما حلّ بها من نكبات أدّت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها من جديد، وفي كل مرّة كانت تهدم، كانت تعود من جديد لتكون أقوى وأصلب وأرسخ من السابق، فهي محطّ أنظار البشرية

منذ أن بناها الكنعانيون، وبدأت فيها حضارات ما قبل التاريخ مروراً بالحضارة البيزنطية والإسلامية والعصر الحديث حتى يومنا هذا.

- الاحتلال البريطاني:

احتلت مدينة القدس من قبل الجيش البريطاني ودخلت القوات البريطانية بقيادة اللنبي في ديسمبر بعد انهيار الاحتلال العثماني وانسحاب القوات التركية منها 1917 ، وذلك بعد شهر من اصدار وعد بلفور وفي عام 1922 منحت عصبة الأمم المتحدة لبريطانيا حق الانتداب على فلسطين وكانت القدس عاصمة فلسطين طيلة فترة الانتداب، استمر الانتداب حتى اعلان انتهائه عام 1948 وفي حينه كانت أعداد اليهود قد تزايدت بشكل ملحوظ وازدادت قوتهم، وفور انتهاء الانتداب أعلنت العصابات الصهيونية قيام "الكيان الإسرائيلي" والقدس عاصمة له، وبذلك تم احتلال 84٪ من المدينة[1].

- الاحتلال الصهيوني للقدس:

أعلنت بريطانيا عزمها الانسحاب من فلسطين يوم 14 مايو1984م، بعد أن أمنت الظروف وصنعتها لولادة دولة احتلال يهودية، فأخذت المنظمات الإرهابية في تصعيد حرب الإبادة وأعمال العنف واستخدام كافة الأساليب النفسية لبث الذعر في نفوس الفلسطينيين، واجبارهم على الفرار من بيوتهم والاستيلاء على الأراضي الخالية من السكان.

وبعد الانسحاب البريطاني من فلسطين ودخول الجيوش العربية للقتال إلى جانب سكان فلسطين، أسفرت الحرب عن وقوع القسم الغربي من القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي، بالإضافة إلى مناطق أخرى تقارب أربعة أخماس فلسطين باتفاقية 30 نوفمبر 1948 وتحولت الاتفاقية لهدنة عقدت تحت اشراف الأمم المتحدة[2].

---

[1] حكاية القدس تحت الاحتلال، الجزيرة، 8ديسمبر2017

[2] القدس عبر التاريخ، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا

ظل القسم الشرقي من المدينة المقدسة تحت الحكم الأردني إلى عام 1967م عندما بدأت الحرب صباح الخامس من حزيران يونيو. وفي 7 يونيو في العاشرة صباحا دخلت قوات العدو إلى مدينة القدس وجابت في ساحات المسجد الأقصى واحتفلت بهذا النصر وعربد الجنود وشربوا الخمر في ساحات الأقصى المبارك احتفالا بدخوله. ولا يزال المسجد الأقصى يزرح تحت هذا الاحتلال، يطأه الجنود ويمنعون المصلين من دخوله ويسمحون لليهود وللسياح والعراة الدخول إليه والتجول في ساحات المنطقة الأثرية التاريخية، إضافة على ما يجري من حفريات تحت أرضيته وما تم من حرق للمسجد عام 1969 والتهديدات المتكررة والمتواصلة بهدمة وإعادة بناء الهيكل المزعوم وغير ذلك من الاعتداءات[3].

شهدت سنوات التسعينات تصعيدا آخر ضد الوجود العربي والإسلامي في الأقصى فقد احتشد المرابطون الفلسطينيون في أكتوبر 1995م في المسجد لصد المستوطنين الذين أعلنوا نيتهم وضع حجر الأساس لبناء الهيكل الثالث داخل المسجد وفتحت الشرطة نيرانها على الفلسطينيين بكثافة فقتل حينها 21 فلسطينيا فيما بعد عرفت هذه الجريمة بمذبحة الأقصى الأولى. أما مذبحة الأقصى الثانية فكانت في 25 سبتمبر 1996عندما أعلن فتح نفق في محيط المسجد الأقصى. وقد اندلعت على اثر ذلك هبة النفق استشهد فيها 63 فلسطينيا[4].

اقتحم رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي الأسبق أرائيل شارون المسجد الأقصى في 28 أيلول 2000م برفقة قوات كبيرة من جيش الكيان المحتل وتجول شارون آنذاك في باحات المسجد الأقصى وقال "إن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية مما أثار استفزاز الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين والجنود الإسرائيليين". وشهدت القدس حينها مواجهات عنيفة اسفرت عن إصابة العشرات

[3] قصة احتلال القدس عام 1967، مدينة القدس، 4 يونيو2008

[4] القواسمي. هنادي، المسجد الأقصى تاريخ من الانتهاكات الإسرائيلية 21يوليو2017

وسرعان ما امتدت إلى كافة المدن في الضفة وقطاع غزة وسميت بانتفاضة الأقصى[5].

دأب المستوطنون اليهود والمستعربون على اقتحام باحات المسجد الأقصى المبارك وآداء طقوس تلمودية فيه فبلغت ذروة تلك الاعتداءات في أول يوم من ايام رمضان لعام 2021م إذ شرعت شرطة الكيان الصهيوني بنصب الحواجز في ساحة العامود واغلاقها أمام الفلسطينيين ليلا في مسعى لإغلاق الساحة التي يتجمع فيها الشبان الفلسطينيين كتقليد رمضاني في كل عام في محاولة لفرض واقع تهويدي جديد في منطقة باب العامود (باب دمشق) لانتزاعه من المسلمين وفرض السيطرة اليهودية عليه أسوة بباب المغاربة ولاحقا قد يكون الهدف باب الرحمة وغيره من أبواب المسجد الأقصى[6]. وتزامن هذا الاعتداء لاقتحام إسرائيلي لمئذنتين من مآذن المسجد الأقصى وقطع أسلاك مكبرات صوت الآذان بزعم تشويش صوت الآذان على احتفالات الإسرائيليين بذكرى قتلى جيشهم في ساحة البراق وقد خرج الشبان الفلسطينيون للذود عن مدينتهم وعن مقدساتهم ولم تنههم جرائم العدو عن المقاومة كما لم ترعبهم آلياته العسكرية.

وتدرك سلطات العدو بأن المقاومة الفلسطينية وأن الشعب الفلسطيني لن يتراجع وان الوضع الراهن سيستمر وهو ما يخشاه الصهاينة اذ كلما انتهت موجة من المواجهات والتحدي تبعتها موجة جديدة على الطريق ومهما بلغت درجة غروره فانه سيدفع ثمنها باهظا في هذه المعركة الوجودية التي تهدد مستقبل الكيان الصهيوني في فلسطين[7].

- المقاومة الشعبية الفلسطينية:

تعددت أشكال المقاومة الشعبية الفلسطينية عبر تاريخها بتغير الظروف السياسية والعسكرية، فبعضها اكتسب صفة مسلحة، سواء على المستوى الشعبي متمثلا في صورة انتفاضات تندلع شرارتها في القدس، ثم سرعان ما يمتد لهيب الغضب إلى

---

[5] عطا الله. علا، الانتفاضة الفلسطينية الثانية. انتفاضة الأقصى، وكالة الأناضول، 28سبتمبر2019

[6] قنيطة. أحمد سمير، هبة القدس وجدلية صواريخ غزة، الجزيرة، 29ابريل 2021

[7] المحرر السياسي. باب العامود عنوان المواجهة بين القدس والاحتلال الصهيوني، طريق القدس، جمعية الصداقة الفلسطينية الإيرانية صفا، ع36، ص11

معظم الأراضي الفلسطينية أم على مستوى العمل العسكري المنظم، كالذي قامت به الجيوش العربية عام 1948م وأسفر في نهايته عما اصطلح على تسميته بالنكبة الكبرى، واتخذ بعضها شكل المقاومة السياسية إما عن طريق عقد مؤتمرات جماهيرية أو تكوين أحزاب سياسية وانشاء جمعيات أو بعثات دبلوماسية والظهور في المحافل الدولية للمطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني وبالأخص حقه في تقرير مصيره وعودة لاجئيه إلى ديارهم. واتخذت المقاومة الشعبية أشكالا اقتصادية كإنشاء بنوك وطنية كالبنك العربي 1934 وشركة التجارة الوطنية، والدعوة إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية سواء في داخل فلسطين المحتلة أو خارجها في العالم، وهي تعد خطوة تدق مسامير ها في نعش الاحتلال لأنها تلحق الضرر باقتصاد الاحتلال وتحول دون افادة المحتل من أموال ومقدرات ضحيته، وتعمل على تشجيع المنتج المحلي الذي يعد أحد أركان استمرار المقاومة، ما يحتم ضرورة نشر الوعي الوطني الذي يرسخ المسؤولية الفردية والجماعية لدى أبناء هذا الشعب المنكوب، لتغليب القيم الوطنية على القيم الاستهلاكية والتي تتوارى معها مبررات شراء المنتج الصهيوني.

وفي خطوة مبدعة للمقاومة الشعبية الفلسطينية إقامة قرية باب شمس التي لم يطل عمرها عن 48 ساعة لمنع تنفيذ مخطط احتلالي يقضي ببناء 4000 وحدة استيطانية استعمارية، هدفها عزل مدينة القدس عن محيطها الفلسطيني وفصل شمال الضفة عن جنوبها. كانت قرية باب شمس اسطورة غير مسبوقة ورمزية جديدة وحقيقية في المقومة الشعبية السلمية في مواجهة الاحتلال، فتسابقت وكالات الأنباء العربية والعالمية في عناوينها لإبراز القرية كأول تجمع سكاني مهدد بالتدمير والمصادرة بعد ساعات من اقامتها. وقد أظهرت هذه الخطوة شجاعة المقدسيين المقاومين الذين اختاروا المكان المناسب لإقامتها فأقاموها على مشارف أراضي القدس المحتلة المهددة بالمصادرة، ما شكل ضوءاً يظهر بحجم المعاناة التي يلقاها شعبنا الفلسطيني جراء النهج الاحتلالي الإسرائيلي القائم على سرقة الأرض وابتلاعها. وقد دقت هذه المحاولة ناقوسا نبه العديد من الضمائر في العالم وهدد الدعاية الإسرائيلية التي تدعي التحضر والديمقراطية

فقد أراد هؤلاء المبدعون المدججون بسلاح الإرادة والصبر تحت البرد القارس أن يقولوا اننا هنا نقاوم وندافع ولن نرحل لأننا أصحاب الأرض ولن تخيفنا تهديداتكم وبطشكم وبطش قوتكم العسكرية، وأن باب الشمس ولدت لتعزز الحق الفلسطيني في إقامة دولته وعاصمته القدس. وسرعان ما أبصرت النور قرية جديدة أخرى وهي باب الكرامة وتقع شمال غربي القدس قرب قرية إكسا وهي أيضا أراضي مهددة بالمصادرة لصالح بناء جدار الفصل العنصري. ولعل حالة الالتفاف الشعبي حول الموقف الرافض لأي تغير قامت به سلطات الاحتلال بعد 14تموز 2017 تجاه المسجد الأقصى وتناغم الموقف الرسمي مع الموقف الشعبي والمرجعيات الدينية كان له الأثر الواضح في تحقيق هذا الانتصار[8].

ظهرت المقاومة الشعبية من جديد بأسمى صورها وبعفويتها في كل الأراضي الفلسطينية بوحدة وطنية واحدة لأول مرة منذ عقود، بين أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة وأراضي 1948 رغم كل المحاولات الإسرائيلية لتقسيمهم ديمغرافيا وجغرافيا. هبة القدس في أيار/مايو 2021م أظهرت عدم اعتراف هذا الشعب بالأمر الواقع الذي يحاول الاحتلال فرضه منذ سنوات، وعلى هذا الأساس لا يمكن فصل الهبة والمقاومة الشعبية عن مجمل الحالة الفلسطينية، لأنها هبة ضد الممارسات القمعية لشرطة الكيان الصهيوني في المسجد الأقصى، وهي ضد ممارسات الكيان الإسرائيلي الذي يعبر عن نفسه ومنطقه من خلال تعامل شرطته، واستخدامها للسلاح في مواجهة الشعب الأعزل وتواطئها وتخاذلها في موضوع الجريمة، لتغرق الشعب الفلسطيني فيها ومثابرتها على قمع العمل السياسي والحراك الشعبي الاحتجاجي .هذا هو جوهر نظام الكيان الصهيوني الذي خرجت الشعوب الفلسطينية ضده.

الخاتمة:

إن ما يجري اليوم في مدينة القدس من جرائم وعدوان إسرائيلي يستهدف الوجود الفلسطيني على أرضه هو امتداد للحملات اليهودية على المدينة المقدسة،

[8] هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، المقاومة الشعبية الفلسطينية، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا،2021

منذ فترات ما قبل التاريخ واستمرار لمحاولات اثبات الوجود اليهودي في المدينة، بالرغم من أن التاريخ وآثاره ومخطوطاته اثبتت ان اليهود كانوا دوما على حدود المدينة بل وحرموا في كثير من الفترات دخولها أو الاقتراب منها، وحتى في الحضارات الرومانية والفارسية نلاحظ ان هناك دوما محاولات يهودية لانتزاع تلك الأرض المقدسة ومحاولات تحريضية وأنواع مختلفة من المساعدات والاتفاقات والالتفافات، لتسهيل عملية الاستيلاء على المدينة والسيطرة عليها بحكم تواجدهم دوما حول المدينة ومعرفتهم بالطرق الواصلة لها وأماكن الضعف فيها.
أما فيما يخص العصر الحديث فكانت ممارساتهم امتدادا للنكبة الفلسطينية ولايزال الفكر اليهودي إلى اليوم مسكون بهاجس نفي الشعب الفلسطيني والاستيلاء على أراضيه ودفعه للهجرة والتشريد، من خلال قوانينه العنصرية وتعقيد ظروف حياته اليومية واستمرار القمع والعدوان والحصار اليومي.
لقد كانت هبة القدس عاملا محرضا للجماهير الفلسطينية في كل الساحات، للتحرك بشكل جماعي لدفع عجلة المقاومة الشعبية ثم العسكرية كي تعود لقضية فلسطين حيويتها وحضورها في المشهد العربي والعالمي ، فالشعب الفلسطيني يقع تحت الاحتلال والأصل في علاقته مع المحتل هو الاشتباك والاستثناء هي التهدئة لذلك فإن على الشعب الفلسطيني بكل أفراده داخل الأرض المحتلة وخارجها أن يعطي لهبة القدس الفرصة لتتعاظم وتقوى ويشتد عودها، وأن تنتقل إلى ساحات أخرى بكل السبل المتاحة وبإعمال الفكر والابداع وابتكار أساليب جديدة للمقاومة الشعبية لقد كان انتصار الجماهير الشعبية الفلسطينية في كل مراحل تاريخهم جوانب متعددة أهمها وحدة النسيج الوطني الفلسطيني ومعدنه الأصيل وانتمائه لأرض فلسطينية واحدة عاصمتها القدس العربية، رغم تعدد المحاولات لتقسيمه وازالته ومحوه ووضعه في قوائم الشعوب البائدة.

انتفاضة القدس في مواجهة مشاريع التهويد والاستيطان

سحر عيسى الوهيبي
رئيسة منبر فلسطين الثقافي

منذ حلول شهر رمضان المبارك الموافق لمنتصف نيسان 2021، تشهد مدينة القدس المحتلة انتفاضة فلسطينية جديدة، حيث يواجه الفلسطينيون حملة مسعورة ضد المصلين في المسجد الأقصى، من قبل المستوطنين اليهود المدعومين بقوات الاحتلال التي تواصل الاعتقالات والاعتداءات المتكررة ضد أبناء المدينة المقدسة، بهدف إبعادهم عن المسجد الأقصى عبر مخططات استيطانية لعزل أحيائهم الملاصقة له، تمهيداً للاستيلاء عليها وجعلها ملكاً لليهود. وقد أخذ الفلسطينيون في القدس ومختلف الأراضي المحتلة عام 1948 على عاتقهم التصدي للمستوطنين وسلطات الاحتلال، وإحباط المساعي الإسرائيلية لتهويد القدس ومقدساتها، وعدم التخلي عن منازلهم التي تهددها مشاريع التهويد والاستيطان.

اعتاد الفلسطينيون في القدس المحتلة على المواجهة المباشرة للمستوطنين اليهود وقوات الاحتلال الذين يقتحمون ساحات المسجد الأقصى بشكل دائم، إلا أن هبّة القدس أو الانتفاضة التي التقت هذا العام مع الذكرى 73 لنكبة فلسطين، تميزت عن غيرها بشدتها وظروفها، فتداخلت الأحداث في بداية شهر رمضان، وأدت إلى حدوث حالة من الغضب الشعبي الفلسطيني في مدينة القدس، إذ صعّد الاحتلال من إغلاقاته واقتحاماته وممارساته الاستفزازية ضد الحرم القدسي، وضد عموم المقدسيين من أبناء المدينة وأحيائها القريبة. فبداية قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في اليوم الأول من رمضان، 13 نيسان 2021، بوضع حواجز حديدية في ساحة باب العامود، وهو ما يعني حرمان المقدسيين من حقهم في الأماكن

العامة في المدينة، إضافة إلى مخطط تهجير عدد من العائلات في حي الشيخ جراح، الذي أثار غضب المقدسيين، ودفعهم إلى التضامن مع سكان الحي، وسبقته حادثة تسريب عقارات في حي سلوان لمنظمات يهودية وما تتعرض له القدس وما فيها من مقدسات، هو السياسة الاستعمارية المتبعة في الكيان الصهيوني لمصادرة أراضيها وتهويدها، ثم استصدار تشريع في الكنيست الإسرائيلي يقضي بتقسيم المسجد الأقصى والحرم القدسي مثلما وقع في المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل المحتلة قبل أعوام، كمقدمة أو وسيلة التفافية لهدم المسجد الأقصى وإقامة "الهيكل" مكانه كما يزعمون، دون إعطاء أي أهمية لتداعيات مثل هذه المحاولة ونتائجها. فقد أقدمت الحكومة الإسرائيلية على خطوة استفزازية تؤسس لاندلاع انتفاضة ومواجهة مفتوحة، تمثلت بقيام وزير الإسكان الإسرائيلي (أوري أرئيل) الانتقال للسكن في حي سلوان بالقدس المحتلة وإعلان فرضيته «أن اليهود أكثر في كل مكان، يعني أمان أكثر» وكان أيضاً صاحب مقولة «إذا لم يستطع اليهود الوصول إلى الحرم وتلاوة كلمات عمرها آلاف السنين، فإن لا مناص من إغلاق الحرم كلياً في وجه المسلمين أيضاً». ومن هنا، فقد قامت الشرطة الإسرائيلية بالاستعدادات اللازمة في إطار الخطة المعروفة باسم (حراس الأسوار)، وهي خطة لمنع أي تحرك فلسطيني للدفاع عن المدينة وأحيائها ومقدساتها.

إنّ أهم ما تسعى إليه سلطات الاحتلال أن يصل الوضع في القدس إلى درجة من الهدوء والاستقرار وترويض السكان الأصليين وتقليصهم والتضييق عليهم حتى التهجير مرة أخرى، وسحقهم بتلك القوانين الصارمة والصامتة التي تحرمهم كل حقوقهم في مدينتهم وأرضهم، وتطبيق قانون "التوسيع وقضم الأراضي" وضمها للحرم الشريف لوضعها تحت السيطرة الإسرائيلية لتكون أكثر أماناً بالنسبة لهم. فقد ازدادت معاناة المقدسيين من جراء تعرضهم للضغوط المستمرة من المستوطنين وسلطات الاحتلال، وتجلت هذه المعاناة في فرض واقع صعب بعد دخول المستوطنين إلى أحيائها، وتعرضها للممارسات العدوانية: انتهاك الخصوصية – الضغط الاقتصادي – التحرّش اليومي بالأهالي – الاستفزازات – المواجهات العنيفة التي تقع بين المستوطنين والفلسطينيين. وكل هذا كان من شأنه استباق أيّة محاولة مستقبلية لتحدي السياسة الإسرائيلية في القدس، عدا عن

مصادرة آلاف الدونمات من الفلسطينيين من خلال المنظمات اليهودية التي تعمل لتهويد القدس من أجل خلق واقع جديد. وكل هذا الزحف المسعور على أحياء القدس ليس جديداً، فمنذ تسعينيات القرن الماضي وسلطات الاحتلال تخطط عبر جمعياتها الاستيطانية من أجل السيطرة عليها بسبب قرب المسجد الأقصى وحائط البراق والبلدة القديمة من هذه الأحياء، وهذا ما يجعلها هاجسهم الأول وتقوم الجمعيات الاستيطانية بمساعدة الحكومة الإسرائيلية من أجل إنجاز مهمتها بسهولة للاستيلاء على أراضي ومنازل الفلسطينيين، وتقديم أوامر الإخلاء والإزالة للعائلات الفلسطينية التي تسكنها منذ عشرات السنين، بادّعاءات مختلفة تعود لملكية المنازل وبمساعدة القوانين الإسرائيلية وأنواعها المختلفة، وبمساعدة قوانين تعطي حق الملكيات لليهود فقط، إذ إنّه بعد احتلال شرق القدس عام 1967 أعطى الحق لليهود الذين سحبت منهم منازل خارج حدود 1948 والموجودة في منطقة الضم، على أن يأخذوها بواسطة (الأبورتوروبوس) العام "بمثابة وقف إسرائيلي"، رغم أنّ اليهود حصلوا على أملاك غرب المدينة كتعويض من الحكومة على خسارة منازلهم. وبالمقابل لا يعُطى للفلسطينيين حق مشابه بحسب القانون، بالإضافة إلى أنّه لا يسمح للفلسطيني أن يستعيد أملاكه في غربي المدينة، وفُرضت العزلة على الفلسطينيين من خلال المستوطنات التي تُعدّ في جوهرها وسيلة لتفتيت المدن الفلسطينية وعزلها عن بعضها بعضاً، من أجل ضمان عدم قيام أي سيادة فلسطينية في المستقبل عليها.

لقد ترافقت سياسة الاحتلال هذه مع دعوة 27 منظمة صهيونية لاقتحام المسجد الأقصى في ذكرى ما يسمى لدى اليهود بـ"توحيد القدس"، أي ذكرى احتلال كامل المدينة عام 1967، وهو اليوم الذي اعتادت فيه المنظمات اليهودية على الخروج بـ "مسيرة الأعلام" للاحتفال بهذه الذكرى، التي كان موعدها في 28 رمضان الماضي، وأعلنت الشرطة الإسرائيلية أنها ستغلق باب العامود أمام العرب حتى الساعة السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم، بحجة منع الاحتكاك، وبسبب التوتر الأمني في الضفة الغربية والقدس. وفي ذات الإطار، دعت منظمة "لاهافا" الإرهابية للتظاهر في القدس، ومهاجمة العرب والاعتداء عليهم. وهي إحدى المنظمات

اليهودية المتطرفة، تأسست عام 1999 على يد المتطرف بن تسيون غوفشتاين، وتدعو باستمرار، إلى اقتحام المسجد الأقصى ومحيطه، وإقامة الطقوس التلمودية فيه، إلى جانب الاعتداء الجسدي والمعنوي على الفلسطينيين الموجودين فيه. ومن المنظمات اليهودية الإرهابية التي تدعو إلى تهويد القدس منظمة (عطيرت كوهانيم) الاستيطانية التي تعتبر ذراع "إسرائيل" غير الرسمي والمسؤولة عن تهويد البلدة القديمة في شرقي القدس ومحيطها. وتهدف هذه المنظمة إلى ضمان تحقيق تفوّق ديموغرافي لليهود في البلدة القديمة من القدس المحتلة، إذ تؤمن بأن "ليس للفلسطيني أي حق في هذه المنطقة إنما لليهود فقط". ومن أجل تحقيق أهدافها تستخدم هذه المنظمة الاستيطانية عدة طرائق للاستيلاء على منازل في القدس المحتلة، منها المطالبة بعقارات وممتلكات تزعم أنّها يهودية مهجورة منذ عام 1948، وكذلك استخدام قانون الغائبين في حال ثبت أن مالك البيت الفلسطيني يعيش في دولة معادية وفق التعريف الإسرائيلي، حتى لو كان يسكن في الضفة ويبعد عن بيته بضعة أمتار، فتُجلي السكان الفلسطينيين المستأجرين من البيت وتستولي عليه، وقد جنّدت معها وزارات وبلديات الاحتلال في القدس لمساندتها في السنوات الأخيرة، كما شرّعت المحاكم الإسرائيلية هذا الواقع بكل جوانبه، وهي توفّر بذلك غطاءً قانونياً لـ"عنف الدولة المنظّم" والهادف إلى تحقيق غاية مخالفة القانون وهي الإزاحة القسرية لسكان محميين من منازلهم في أرض محتلة.

لقد تصاعدت الاعتداءات الإسرائيلية ضدّ الأحياء في شرقي القدس التي تعرّضت لانتهاكات كثيرة، وباتت إشعارات الاستيلاء عليها تصل سكانها بصورة شبه يومية، ما يجعل مستقبلها في خطر. وتتركز الإجراءات الاستيطانية في أحياء كثيرة منها:

حي الشيخ جرّاح:

يسكن حي الشيخ جرّاح الواقع شرقي مدينة القدس المحتلة، لاجئون فلسطينيون طردتهم العصابات الصهيونية من بلداتهم وقراهم في نكبة عام 1948 بعد اتفاق الحكومة الأردنية مع وكالة الأمم المتحدة (الأونروا)، على توطين /28/ عائلة فلسطينية من هؤلاء اللاجئين في القدس وتزويدهم بالمساكن التي بنتها الحكومة الأردنية حينها، على أن يتم نقل ملكيات العقارات تلقائياً إلى أسماء

أصحابها بعد موافقتهم عن التخلي عن صفة لاجئ، وفي سنة 1959 تم ذلك وأصبحت المنازل بأسماء أصحابها.

وبعد قيام قوات الاحتلال باحتلال شرقي القدس خلال عدوان 1967 فوجئ سكان الشيخ جراح في سنة 1972 بحصول منظمات استيطانية يهودية على ملكية أرض منطقة كرم الجاعوني، وكان قانون أملاك الغائبين الصادر سنة 1950 قد مكّن الحكومة الإسرائيلية من هذه المصادرة وقاموا بإخلاء أربع عائلات فلسطينية تقطن هذا الحي، وفي سنة 2001 جرت أول محاولة استيلاء على منازل فلسطينية عندما اقتحم نشطاء من اليمين اليهودي المتطرف منزلاً ورفضوا مغادرته. وبدأت تتكرر هذه المحاولات بكثرة لإتمام المخطط.

حي سلوان:

تواجه بلدة سلوان التي تقع جنوب البلدة القديمة في مدينة القدس ويسكنها حوالي /55/ ألف فلسطيني، هجمة استيطانية شرسة تهدد سكانها ووجودها العربي الفلسطيني في القدس. ويأتي ذلك بتخطيط مشترك بين الجمعيات الاستيطانية وجهات رسمية مختلفة في الحكومة الإسرائيلية، بهدف تهويد القدس بالكامل وتوحيدها "كبلدة يهودية وعاصمة" للكيان الصهيوني.

تقع سلوان المهددة بالإخلاء إلى الجنوب الشرقي من المسجد الأقصى، وتعد من أكبر البلدات مساحة وأقدمها وأكثرها قرباً إلى المسجد الأقصى، إذ لا يفصل بينهما سوى سور القدس الجنوبي، ومن أهم أوديتها: وادي حلوة _ ووادي الربابة وباصول، ومن أحيائها المهددة بالإخلاء التعسفي حي البستان وعين اللوزة وحي بطن الهوى.

بعد احتلالها عام 1967 تم ضم بلدة سلوان إلى الكيان الصهيوني بعدما كانت تحت حكم الأردن منذ 1948، وقد أعلن القسم الشمالي منها حديقة قومية عام 1974 وأطلق عليها مدينة "دافيد" بعدما كان فيها عشرات البيوت التي يسكنها فلسطينيون.

حي بطن الهوى:

يندرج تهويد حي بطن الهوى ضمن جرائم التطهير العرقي والإخلاء التعسفي الذي يمارسهما الاحتلال بحق الفلسطينيين في القدس المحتلة وتتشابه قضية بطن الهوى في كثير من تفاصيلها مع قضية الشيخ جراح لجهة الجمعيات الاستيطانية التي تبذل جهوداً كبيرة للسيطرة على مزيد من العقارات، إذ يقع حيّ بطن الهوى، الذي يقطنه أكثر من 800 نسمة من أصل نحو 60 ألف مقدسي يقطنون سلوان وامتدادها في راس العامود، وصولاً إلى حي الشيخ جراح. وتمتد مطامع هذه الجمعيات الاستيطانية إلى قلب القدس القديمة، حيث يسيطرون على أكثر من 100 بؤرة استيطانية هناك.

وفي إطار عمليات التهويد رفعت الجمعيات الاستيطانية عشرات الدعاوي ضد /700/ فلسطيني يسكنون حي بطن الهوى الذي تبلغ مساحته /5/ دونمات منذ الانتداب البريطاني مروراً بحكم الأردن حتى عام 1967 حتى هذا اليوم، مستغلة ضعف الامكانيات للمواطنين في مواجهة هذه المحاولات لتفوقها السياسي والاقتصادي، ووفق مستندات في فترة الحكم العثماني مفبركة ومزيّفة صادرة عن الحاخاميين الرئيسيين في القدس لإدارة الوقف لمصلحة أبناء الطائفة اليهودية، حيث ادعت المنظمة الاستيطانية "عطيرت كوهيم" أنّ منازل هؤلاء تقوم على أرض تعود ليهود يمنيين منذ فترة الحكم التركي لفلسطين.

حي وادي حلوة:

يقع وادي حلوة ضمن سلسلة منحدرات بينها عدة أودية، يسكنه نحو /6/ آلاف مقدسي، ويقع قرب الأسوار الجنوبية للمسجد الأقصى، وكل هذا الزحف المسعور عليه ليس جديداً، فمنذ تسعينيات القرن الماضي وسلطات الاحتلال تخطط عبر جمعياتها الاستيطانية من أجل السيطرة عليه، بسبب قربه من المسجد الأقصى وحائط البراق والبلدة القديمة، وهذا ما يجعله هاجسهم الأول، حيث يتركز اهتمام المنظمات اليهودية وسلطات الاحتلال على الاستيلاء على المسجد الأقصى بحجة إعادة بناء الهيكل". ومن الأحياء المهددة من قبل المستوطنين وسلطات الاحتلال، حي البستان وحي اللوزة.

لقد عملت هذه الاعتداءات الاستيطانية مجتمعة، على تأجيج الأوضاع في القدس، واندلاع انتفاضة القدس المتواصلة، التي أطلق عليها في بداية الأمر "هبة باب العامود"، ولكن الاحتجاجات والمواجهات بين المقدسيين وسلطات الاحتلال ومستوطنيه، ظلت تتجدد مع كل هذه الأحداث في باب العامود، وداخل المسجد الأقصى، ومختلف أحياء وبلدات القدس المحتلة، منذ بداية شهر رمضان وحتى نهايته. وجاء الرد المقدسي على هذه الخطوات الإسرائيلية، بعد سلسلة من التراكمات التي نتجت عن سياسات التضييق والاعتداء المتواصل بحق المقدسيين، والتي دفعتهم للانفجار في وجه سياسات المحتل، ومجابهتها بصدورهم العارية. وقد جاءت انتفاضة القدس لتقدم النموذج الحقيقي للمواجهات الشعبية الشجاعة التي تظهر فيها بطولات المقدسيين أمام اعتداءات المستوطنين وحقدهم، وقوات الشرطة الصهيونية والمستعربين والعملاء، إذ أفشل المقدسيون ومن ساندهم من أهالي الضفة الغربية وفلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948، خطة تطويق البلدة القديمة، ومحاولات الاحتلال إقامة حزام استيطاني يعزل الحرم القدسي عن أحياء المدينة، كما أحبطوا مجموعة من الاقتحامات للمسجد الأقصى التي تهدف إلى إخلائه من المرابطين لتسهيل اقتحام مسيرة المستوطنين التي خططوا لها.

إنّها وحدة الشعب الفلسطيني التي تجلت في الدفاع عن القدس المحتلة وعن مقدساتها، كما تجلت في كل الميادين الكفاحية، عبر عقود النضال الطويلة التي خاضها الشعب الفلسطيني ضد الغزاة المحتلين، فلا النكبة ولا النكسة ولا مؤامرات التطبيع، ولا الحصار ولا الانقسام ولا اللجوء والتشتت يقفون حائلاً دون وحدة هذا الشعب الصامد.

"سيف القدس" وتداعياتها على القضية الفلسطينية

عارف الآغا
روائي وباحث سياسي

معركة «سيف القدس» أشبه بنقطة تحوّل دراماتيكي في مسار الصراع مع العدو الصهيوني، التي لا تتوقّف عن إبهار الصديق والعدو على السواء. فهي المعركة التي قطعت فيها المقاومة الفلسطينية شوطاً كبيراً في صراع العقول والمعلومات، وخرجت منها بأكثر الإنجازات وأقلّ الخسائر، فقد انتهت الحرب او المعركة من دون حصول الاحتلال على صورة انتصار. رغم ما ادعاه الاحتلال من إنجازات، فقد تكبد خسائر ملموسة في المواجهة الأخيرة كما أن النقاش خلالها وبعدها في دوائره السياسية والعسكرية والإعلامية دار حول الإخفاق وعلو يد الفلسطينيين، بعد المعادلات التي رسختها المقاومة وتتلخص بإيجاز فيما غيّرته من معادلات قائمة وقواعد اشتباك، واسقطت عددا من المعادلات المهمة التي ترسخت في السنوات الأخيرة من الصراع، وأسست لمعادلات جديدة مع الاحتلال. حيث بادرت المقاومة هذه المرة بالتصعيد العسكري ردا على مشاريع الاحتلال باقتحام المسجد الأقصى رفقة مجموعات المعبد وكذلك التطهير العرقي لحي الشيخ جراح في القدس، بخلاف المواجهات الثلاث الكبرى أعوام 2008 و2012 و2021. وقد مهّد ذلك لترسيخ معادلتين مهمتين للمواجهة مع المحتل، وقد كانت في مجملها لصالح المقاومة لا الاحتلال.

الأولى، أن مهمة المقاومة في غزة ودوافع استخدام سلاحها لم تعد مقصورة على قطاع غزة كما حصل في المواجهات السابقة، وهي المعادلة التي بذل الاحتلال جهدا دؤوبا لإدامتها. وما حصل أن سلاح غزة تدخل نصرة القدس والأقصى والشيخ جراح، وهو تطور جديد اعترفت أوساط الاحتلال أنها تفاجأت به.

والثانية، أن المقاومة هي التي بادرت هذه المرة ولم تتدخل فقط لرد عدوان مباشر عليها من منطلقات دفاعية وإن متغيرا من هذا النوع له تداعيات مهمة على الصراع، فهو يعبر عن الجرأة التي باتت تتمتع بها المقاومة والتي تصدر عن ثقة بالنفس والإمكانات، وتعيد التذكير بأسس القضية وجوهرها، بأن "إسرائيل" وإن لم تهاجم غزة فهي ما زالت محتلة وظالمة وعنصرية، وهو ما يجعل المقاومة واجبا وليس فقط حقا، وهي أيضا تبشر بمستقبل قد تصبح معه المواجهات -التي تطلق المقاومة طلقتها (أو صاروخها) الأولى- أمرا اعتياديا، ما يفقد الاحتلال ميزة الردع التي ظن أنه كان اكتسبها.

وأما المعادلة الثالثة التي رسختها المواجهة الأخيرة فهي معادلة قصف تل أبيب مقابل استهداف المدنيين في القطاع، وهو ما استطاعت منعه باستهدافها بمئات الصواريخ، بعد أن أصبح ذلك ممكنا ومتكررا وفق الناطق باسم كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس.

وأما المعادلة الرابعة فكانت توحيد فلسطين والفلسطينيين كما لم يحصل منذ فترة طويلة؛ فقد بدأت كرة الثلج في القدس قبل أن تتدخل غزة عسكريا، ثم تحركت الضفة الغربية وماجت الأراضي المحتلة عام 1948، وكذلك الحدود اللبنانية والأردنية، وانتشرت المظاهرات في الخارج والشتات كما تجسدت هذه الوحدة الميدانية رمزيا في الإضراب العام الذي شمل الأراضي الفلسطينية جميعها، بعد أن كان الاحتلال يقسّم فلسطين إلى وحدات ويستفرد بكل منها على حدة.

في المقابل، ورغم ما ادعاه الاحتلال من إنجازات، فقد تكبد خسائر ملموسة في المواجهة الأخيرة كما أن النقاش خلالها وبعدها في دوائره السياسية والعسكرية والإعلامية الاسرائيلية دار حول الإخفاق وعلو يد الفلسطينيين في المحصلة بعد المعادلات التي رسختها المقاومة. وعلاوة على هذه المعادلات الجديدة -التي تعدُّ بالتأكيد خسارة محققة للاحتلال- فقد سجل التصعيد الأخير خسائر أخرى لا

تقل أهمية وخطوات جديدة، وفي مقدمتها مبادرة الفلسطينيين للمواجهة العسكرية، وهو ما يعني أن استراتيجية "كي الوعي" -التي اعتمدها الاحتلال لزيادة كلفة المواجهة معه وبالتالي تصعيب هذا القرار في المستقبل- قد فشلت بالكامل هنا، لا يواجه الفلسطينيون فقط، وإنما يبادرون للمواجهة، ولأسباب لا تبدو "اضطرارية ودفاعية."

إن نظرة متفحصة الى كل ما سبق يؤكد أنها كانت حربا مختلفة وستفتتح مرحلة جديدة في مواجهة الاحتلال على عدة صعد، أي أن ما بعدها لن يكون كما قبلها

إن استثمرت بالشكل الأمثل. فقد عززت حركة حماس والجهاد وفصائل مقاومة اخرى حضورها في المشهد الفلسطيني المقاوم سياسيا وعسكريا وإعلاميا، وقدمت نفسها كقوة حامية للكل الفلسطيني، وحصل الربط الذي بات من الصعب أن ينفصم بين القدس وغزة، أو الترابط بين استهداف القدس والأقصى واستخدام القوة العسكرية للمقاومة، وهي معادلة جديدة من الصعب على غزة تجاهلها

وسيكون على الاحتلال وضعها في الحسبان قبل أي خطوة استفزازية كبيرة. وهذا أمر سيكون له انعكاساته المستقبلية على الوضع الفلسطيني الداخلي وتحديدا على سلطة عباس وتوابعها ووالى حد ما على المستوى الاقليمي والدولي. فقد عادت القضية الفلسطينية لصدارة الاهتمام العربي والإقليمي والدولي. وفي سياق تعزيز الرواية الفلسطينية ونقد البروباغندا "الإسرائيلية"، وهو أمر تخطى هذه المرة الأطر الشعبية والنخبوية لدوائر سياسية في عدة دول ربما كان أكثرها لفتا للأنظار الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة؛ وهذا كله يصب في منحنى

استمرار تراجع الكيان الصهيوني دوليا رغم بعض المؤشرات السلبية هنا وهناك. والأهم جاهزية الشعب الفلسطيني للقيام بدور فعال في دعم المقاومة وصمودها وايضا بدعم من قوى محور المقاومة .

اما فيما يتعلق بـ «سلطة التنسيق الأمني» الفلسطينية في رام الله، فقد دلت معركة سيف القدس على عجزها المطلق. وثبت أن القرار الاستراتيجي في التوجهات الفلسطينية هو بيد قوى المقاومة في غزة والضفة وليس بيد سلطة رام

الله، وقد كان لهذا التحول أثره على التفكير الإسرائيلي فقد حذر الخبراء الإسرائيليون من إضعاف موقف السلطة الفلسطينية نتيجة العجز في المواجهة في غزة، وخصوصاً الآثار المترتبة عن ذلك في مرحلة ما بعد محمود عباس ومن يدور في فلكه، وهو أمر يستوجب من وجهة النظر الإسرائيلية طرح مبادرات تساعد السلطة الفلسطينية على استعادة ما تظنه موقعها في القرار الفلسطيني، بل تدعو بعض الدراسات الإسرائيلية إلى ضرورة التعاون مع أجهزة السلطة الفلسطينية لاعتقال أنصار حماس والعناصر الحية في الضفة الغربية ولا يستبعد اغتيالها كما جرى للمناضل نزار بنات، والعمل على إضعاف قدرة المقاومة على تحديد الأجندة الفلسطينية المستقبلية، كما توصي هذه الدراسات الاستراتيجية بضرورة جعل التفاوض خصوصاً مع مصر، محصوراً في السلطة الفلسطينية، وترك الإجراءات التكتيكية لحماس. وما زالت كل مسببات العمل المقاوم موجودة في كل فلسطين المحتلة، وبصورة مكثفة منذ صفقة القرن وخطط الضم وتهويد القدس. حيث أظهرت هذه الجولة من المواجهات أن هناك جيلا فلسطينيا جديدا تجاوز فكرة اللامبالاة والانهزامية التي حاول الاحتلال فرضها عليه عبر العقدين الماضيين، وقدمت غزة نموذجا للمقاومة المجدية التي تحقق إنجازات وتراكم نقاطا على حساب الاحتلال. وشكلت نتائج هذه الجولة فرصة للفلسطينيين لاستثمارها في تحقيق المزيد من المكاسب، من خلال مسارين مهمين:

أولا: تصعيد المقاومة في الضفة الغربية، حيث تنبع أهمية الضفة الغربية في الصراع مع الاحتلال بما تمثله من قيمة استراتيجية للفلسطينيين وللاحتلال في نفس الوقت. فالضفة الغربية هي امتداد جغرافي وديمغرافي لمدن الداخل الفلسطيني المحتل. هذا التداخل والاشتباك الطبيعي مع الاحتلال يجعل من العمل المقاوم في الضفة الغربية نوعيا وحاسما. وهذا ما أثبتته الانتفاضة الثانية، وما يفسر أيضا تركيز الخطط الأمنية الإسرائيلية وجهود التنسيق الأمني على الضفة الغربية والمقاومة فيها. كما أن الضفة تحتوي على مساحة واسعة من الأهداف الاحتلالية، من قواعد عسكرية ومستوطنات ونقاط تفتيش وحواجز.

فعدد المستوطنين في الضفة الغربية والقدس يقترب من مليون مستوطن، وهذه الحقائق تشكل تحديا كبيرا للاحتلال.

ثانيا: برنامج سياسي عنوانه المقاومة والوحدة فلدى فصائل المقاومة والقوى الشعبية فرصة حقيقية لتحويل الوحدة النضالية في الميدان إلى برنامج فلسطيني جامع، يجعل من مقاومة الاحتلال مرتكزا أساسيا في توحيد الموقف الفلسطيني وأكثر ما يقلق الاحتلال وداعميه أن نظرية الفلسطيني الجديد التي تبناها الجنرال الأميركي كيث دايتون أضحت سرابا، وأن هناك فلسطينيا آخر يؤمن بالمقاومة ويثق بجدواها ويسعى لتحويلها إلى فعل على الأرض ما استطاع لذلك سبيلا. فمن المتوقع أن تعطي هذه الجولة دفعة معنوية وفكرية كبيرة للشباب الفلسطيني في الضفة الغربية والداخل المحتل والشتات الذي يملك كل مبررات الثورة ومقاومة الاحتلال.

لا شك في ان معركة سيف القدس اقد خلقت تداعيات بأكثر من مستوى وعلى اكثر من اتجاه، ولا شكّ أنّ بعض نتائجها عميقة ولا يمكن اتّضاحها خلال بضعة اسابيع من انتهائها سواء على صعيد الوعي في استثمار تداعياتها ونتائجها اكثر منه نتائج عسكرية أو سياسية من ذلك النوع المباشر، كونها تطال أبعاداً في الوعي وفي تعريف التوازنات ومنهجيات التفكير والعمل والنظرة إلى الواقع وفرصه. فوضعية الكيان اليوم لجهة المنهجيات التي أمكن لأيّ فاعل أن يلعبها ويقوم بها والتي تتمحور بالنسبة إلى الكيان الصهيوني بين منهجيات ثلاث: فهو لم يعُد قادراً على فرض الوقائع من خلال الحروب العسكرية والحسم، ولم يعد قادراً على الاستمرار في ورقة التفاوض وحلّ الدولتين أو ما يُدّعى أنّه مسار «السلام» لأسباب وظروف داخلية وإقليمية ودولية، فإنّه أيضاً لم يعُد قادراً على أن يفرض على الغرب المقيّد معطى سياسياً خارجياً باعتماد نظرية الصفقة التي تبنّتها إدارة ترامب، فالصفقة وفرضها سقطا بالضربة القاضية مع سيف القدس، والمطبعون من العرب مع نتنياهو كلّ مضطر لأن ينقذ نفسه بمفرده اليوم ولم ولن يفلح أي منهما.

ان التركيز على دراسة الآثار والنتائج ذات الطبيعة الكلّية لعملية سيف القدس ـ لا الجزئية رغم أهميتها ـ سواء على الكيان الصهيوني أم على الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج أم على محور المقاومة، يمكن أن نطلّ على بعض النتائج والآثار ذات الصلة بالمشهدية الدولية والاقليمية. فالدعامة الخارجية للكيان قد بدأت تحوم حولها الأسئلة وحول استدامتها وفاعليتها في لحظة تغيّر في تشخيص وتحديد الأمن القومي والمصالح العليا في المجتمعات الغربية، وكذلك هو الحال في العقل الإسرائيلي ـ حتّى لو سعت الحكومة الإسرائيلية للتخفيف منه لحسابات ومخاوف مفهومة ـ والمسألة التي يُفترض التوقّف عندها مليّاً هي طبيعة التحوّل في النظرة حيال «إسرائيل» عملياً وليس بإلقاء الخطب والوعود: «بين إسرائيل التي كان ينظّر الغرب لها كدولة وظيفية يُنتظر منها تطويع ما حولها، إلى كيان جلّ تفكيره التعاون مع الغرب لاستدامة بقائه وأمنه الاستراتيجي ككيان. ومما لا شك فيه أنّ العالم ونظامه الدولي في تحوّل غير محدّد الوجهة أو الصيغة حتّى الآن. فرغم تنظيرات تعدّد الأقطاب الدولي كبديل من الأحادية، تُثبت الوقائع وجود قوى إقليمية تمتلك تصميماً وإرادة جادة وحصافة سياسية وجاهزية وصبراً وجلداً وتضحية إنّ نموذجاً إقليمياً كهذا يبدو أكثر تأثيراً من القوى الدولية أو العظمى في بيئات أمنه الاستراتيجي، وعند تخوم مصالحه وقيمه كما تثبت الوقائع مع نموذج إيران اليوم. ولا شك فيان إنّ مسار بناء القوّة الذي دأب عليه محور المقاومة منذ أيار 2000 وما قبله وصولاً إلى أيار 2021، وتطّور مسارات قواعد الردع لصالح هذا المحور في قبالة الكيان الصهيوني، كلّها حفرت عميقاً في الوعي الاسرائيلي وأضعفت المناعة وهزّت الثقة وشكّكت بالثابت (المرتكز الجمعي) الذي انعقد عليه الاجتماع الصهيوني ـ الجيش والأجهزة الأمنية ـ وليس انتهاءً بالسردية التي واكبت تأسيس الكيان وتهافت فذلكتها. كل هذه المؤشرات والحقائق شكّلت أمارات كافية على أنّ عناصر تشكّل الدعامة " الداخلية للكيان" باتت فعلاً مهدّدة ومتصدّعة، ويصعب ترميمها إن لم يكن مستحيلاً ـ في ظل غياب خطاب ثقافي وقيادة ـ وربّما باتت الأجيال الصاعدة على مقلبَي الصراع تدرك أبعاد جملة الأمين العام لحزب الله في ذكرى انتصار 2000 «أنّ إسرائيل هذه أوهن من

بيت العنكبوت». فهذه الجملة التي نظر إليها البعض كعنوان تعبوي في حينه، أصبحت اليوم إدراكاً ووعياً في عقل المجتمعات المقاومة وفعلها، وأيضاً أصبحت حقيقة في وعي المستوطنين الصهاينة ونخبهم الجديد هو أنّه إلى جانب ما كرّسته وعمّقته هذه المعركة النوعية من تصدّع في الدعامة الداخلية، فإنّها فتحت النقاش وربّما للمرّة الأولى على حقيقة الرباط ومدى تماهي مصالح المشّغِل الغربي مع المشغّل أي «إسرائيل» ككيان وظيفي." ان استثمار كل هذه الوقائع أثّرت إيجاباً وستؤسّس لمدى بعيد: وهي استعادة الشعب الفلسطيني وشبابه زخم الثورة وتنامي شرعيتها وثقافتها، ولأوّل مرّة منذ عقود يلمس هذا الشعب أنّ حقه معه وقوّته أيضاً معه، فلديه قوّة حق وقوّة سيف! . وان ثقة المجتمع الفلسطيني المقاوم بنفسه ومضيّ عزيمته واستخلاصه عبر الفشل الماضي ليس أمام قواه المقاومة إلا أن تكمل مسارها. فعملياً لم يعُد هناك إلّا السير إلى الأمام خياراً متاحاً. واهمية حسمُ بعض قوى المقاومة تأرجحها أو رؤيتها بين حدَّي المقاومة وحاجتها كخيار، وبين السلطة والسعي لها لصالح الأولى كخيار وحيد. ان الفقه السياسي الذي يجمع بين الطموح إلى السلطة والمقاربة من خلالها يحتاج إلى مراجعة فعلية بلحاظ خصائص الزمان والمكان.

ختاما هل يمكن القول: إنّ الظروف التي مهّدت وساهمت في أن يأتي الصهاينة لفيفاً إلى إسرائيل ليحلّوا محل أهل الأرض باتت معكوسة بأغلبها، وتتهيأ الظروف اليوم لأهل الأرض الحقيقيين ليعودوا الى وطنهم نحن نعيش انقلاب المشهد فالظروف والعوامل التي أمّنت لـ«إسرائيل» نشأتها تتراجع تباعاً وتسارعاً في تهيؤ الظروف لذلك. والأحد عشر يوماً كانوا مصداقاً ومحاكاة في هذا السياق على طريق العودة وتقرير المصير.

هبّة فلسطينيي 1948 في مسار معركة سيف القدس

محمد العبد الله
كاتب وسياسي فلسطيني

مدخل:

لم يكن يوم العاشر من أيار / مايو الماضي، عادياً. فالأجندة النضالية التاريخية للكفاح الوطني الفلسطيني، موسومة بأيام الكرامة والبطولة والشهادة لكن لذلك اليوم سمات أخرى. في تمام الساعة 04:40 عصراً، أعطى "أبو عبيدة" الناطق الرسمي باسم "كتائب عز الدين القسام"، الجناح العسكري لحركة "حماس"، العدو الصهيوني،"مهلةً حتى الساعة السادسة لسحب جنوده ومغتصبيه من المسجد الأقصى المبارك وحيّ الشيخ جراح، والإفراج عن كلّ المعتقلين خلال هَبّة القدس الأخيرة، وإلّا فقد أعذر من أنذر". وأمام عدم استجابة حكومة العدو لما ورد في الإنذار خلال المائة دقيقة المحددة، استهدفت "كتائب القسام" في تمام الساعة السادسة من مساء ذات اليوم "الاثنين" مدينة القدس المحتلة بستة صواريخ ، لتنطلق معها معركة «سيف القدس» أحد عشر يوماً أطلقت خلالها كتائب وسرايا وألوية المقاومة المسلحة 4300 صاروخ، وصل بعضها إلى مناطق في شمال فلسطين المحتلة لأول مرة ونتيجةَ لماأحدثته تلك الصواريخ وقذائف الهاون/المورتر، اعترفت حكومة العدو بمقتل 12 شخصا من عسكريين ومدنيين، بالإضافة لإصابات مختلفة لحقت بحوالي 330 من المستعمرين. في الجانب العسكري تم تسجيل خسائر كبيرة تجاوزت 1.1 مليار شاقل، تتوزع على مختلف المعدات ، و280 مليون شاقل تكلفة صواريخ القبة الحديدية، وهذا ماأكده المحلل الاقتصادي والسياسي "جدعون ليفي" في صحيفة "هآرتس" (دقة القبة الحديدية هي من 20 إلى 30 بالمئة فقط، وكل صاروخ قيمته 50 ألف دولار ينطلق لضرب صاروخ قيمته 300 دولار ويخطيء في معظم الأحيان). و120 مليون شاقل وقود

للطائرات الحربية والمسيرة، بالإضافة إلى 25 مليون شاقل تكلفة زيادة جنود الاحتياط. كما أدت إلى خسائر اقتصادية قدرت قيمتها بـ 7 مليارات شاقل، بالإضافة لأكثر من 5300 ضرر لحق بالممتلكات العامة والخاصة.

مع تأسيس الكيان/المستعمرة عام 1948 على دماء وأشلاء وعذابات أصحاب الأرض، بعمليات ممنهجة ركزت على المذابح الجماعية، وعلى اقتلاعهم من بلداتهم وقراهم ومدنهم وطردهم خارج وطنهم ومسح أكثر من 500 بلدة وقرية عن الوجود، تكون حكومة الغزاة المستعمرين قد وفرت لمن تبقى في المدن المحتلة "المختلطة" وباقي البلدات والقرى الفلسطينية، الذين بلغ عددهم 160 ألف نسمة، الخاضعين لقانون الحكم العسكري الفاشي الذي انتهى عام 1964 التربة الخصبة التي تتجذر فيها أفكار التمرد والثورة وقد عملت حكومات العدو على عزل الفلسطينيين عن شعبهم وأبناء أمتهم، بل أن جهداً استثنائياً ظل يستهدف تفتيت وحدة الشعب الفلسطيني الخاضع للاحتلال، من خلال محاولات تقسيمه إلى "مسلمين ودروز ومسيحيين" بهدف خلق وترسيخ انتماءات مزيفة ومُتخيلة، تُفضي إلى اختراع مكون جديد، بهوية مُصطنعة وعلى الرغم من المحاولات المتعددة التي تتم تحت ستار من التضليل والتسويق الإعلامي والسياسي "المُبتذل" لسرقة الأراضي وتهويدها تحت عناوين خادعة كـ"قانون تطوير الجليل والنقب" أو " قانون برافر" أو "تحضير، مناطق البدو" فإن الوعي الشعبي المُتجذر انفجر غضباً عارماً ضد قوانين سرقة الأرض وتهويدها كما حصل في يوم 30 آذار/ مارس 1976 الذي أصبح علامة فارقة في مسيرة الكفاح الوطني "يوم الأرض الخالد " المُعمد والممهور بدماء الشهداء والجرحى.

لقد أحدثت نتائج يوم الأرض السياسية والنضالية تحولات عميقة في البنى السياسية والمجتمعية داخل الوطن المحتل عام 1948. وقد ظهرت تلك النتائج في المشاركة الواسعة التي عمت الوطن المحتل عام 1948 تزامناً مع هبات/انتفاضات غزة والقدس والضفة في محطاتها المتتالية " 1987، 1994، 2000، 2015 " ،

ومواجهات المسجد الأقصى المتعاقبة " معركة الكاميرات في تشرين الأول/أكتوبر 2015، معركة البوابات الالكترونية حول المسجد الأقصى تموز/ يوليو 2017، وهبة باب الرحمة شباط/ فبراير2019" التي ساهم فيها فلسطينيو الداخل المحتل بتحشيد واضح، ليؤكد على وحدة الشعب بكل مناطق تواجده في معاركه الوطنية مع المحتلين. وقد أضاءت دماء شهداء هبة أكتوبر/ تشرين الأول عام 2000 من خلال التزامن مع انتفاضة الأقصى، الضوء مجدداً على عمق الانتماء، والتوحد الفلسطيني في مواجهة العدو.

رمزية المسجد الأقصى والقدس

منذ عام 1919 ومعركة الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى هي عنوان الحفاظ على عروبة فلسطين، وهكذا كانت هبات وانتفاضات وثورات 1920 ، 1929 ، 1996،2000 ، 2015 ، 2017 و 2021. هذه الهبات الكبرى التي دارت في ساحات المسجد الأقصى وعلى مداخله ، وداخل القدس : البلدة القديمة وأسواقها وضواحيها، في الحيّزالخاص ؛ المكاني والوجداني للشعب الفلسطيني، كان الشباب المبادر، بالتحرك والمواجهة يحرص على صياغة أهداف المظاهرات بما يتوافق مع المهمات المحددة والراهنة؛ حماية وتحصين الوجود التاريخي لأصحاب الأرض في بيوتهم .

كان –ومازال وسيبقى- فلسطينيو الداخل المحتل، في وسط الجماهير إن لم يكن في مقدمتها دفاعاً عن عروبة القدس ومقدساتها الدينية لهذا، لم يكن مفاجئاً أن يتوجه الآلاف من المدن المحتلة " المختلطة " والبلدات والقرى العربية إلى القدس استجابة للنداء الوطني لمواجهة سياسات التهويد والاقتلاع التي تنتهجها حكومة المستعمرين والميليشيات اليهودية الصهيونية لتنظيمات المستعمرين "لاهافا" و"تدفيع الثمن" و"شبيبة التلال"، المحكومة بهوس صهيوني مُغلف بخرافات "دينية" تعمل على تفتيت وتذرية كتلة بشرية فلسطينية في القدس تُقدر بحوالي (350 ألف) مازالت عصية على الاقتلاع أوالإخضاع الكلي لمنظومة الهيمنة / التذويب، اليهودية الصهيونية. لهذا، فإن قيادات المستوى السياسي والأمني للاحتلال أدركت

الدور الوطني الذي يلعبه فلسطينيو الداخل في مواجهات القدس والمقدسات، بذات المستوى الذي أدركته قوى الحراك الشعبي في المدينة المحتلة بقناعة تامة، بأن انخراط قوى شعبية قادمة من اللد، أم الفحم، يافا، حيفا، كفركنا وسواها، لها أكبر الأثر الميداني في المواجهة دفاعاً عن أصحاب البيوت المهددين بالاقتلاع والطرد في حي الشيخ جراح وسلوان، وفي حماية المسجد الأقصى. لهذا، تقوم قوات الشرطة والجيش الصهيونية بنصب الحواجز لمنع مئات الحافلات التي تنقل أبناء الداخل لمدينة القدس، مما يدفع المئات منهم للسير على الأقدام للوصول للمدينة.

انكشاف هشاشة الكيان

مع كل صاروخ يسقط في منطقة المركز ومدن الساحل، وفي كل مركبة تنفجر بصاروخ "كورنيت،" ومع كل بيت يتعرض للقصف في مستعمرة، وكل حريق يندلع في أراض زراعية في مناطق غلاف غزة، يكتشف المستعمرون، أن هذه الأرض لم تعد مكاناً للأمان والاستقرار. وقد تحول ذلك " الاكتشاف" لدى العديدين منهم إلى قناعة راسخة، بعد نزول الشباب الفلسطيني في معظم المدن والبلدات المحتلة كـ" اللد، أم الفحم، كفر كنّا، حيفا، عكا، يافا والرملة" إلى الشوارع وهم يطلقون الزغاريد فرحاً مع رشقات الصواريخ التي تضرب عمق الكيان/ المستعمرة. كل ذلك يحصل في حالة من الفوضى السياسية والاجتماعية التي عبّرت عن ذاتها بخمسة انتخابات متتالية، وبتحالفات سياسية كشفت انتهازية الكتل السياسية وتخلي بعضها عن شعاراته التي طرحها في بداية كل كرنفال انتخابي. إن ماحصل في شوارع المدن المحتلة كان التعبير الأمثل عن التفاعلات الحادة التي ضربت في العمق مابنى عليه المُستَعمر نظامه الشمولي الذي أخضع من خلاله أصحاب الأرض لقوانينه الفاشية، بدءاً من الحكم العسكري وصولاً لقانون القومية وما بينهما، من خلال محاولات الأسرلة، وتفكيك البنية الاجتماعية والثقافية، وقطع ارتباطهم بشعبهم العربي الفلسطيني في الضفة والقدس وغزة وبلدان اللجوء.

إن ما يشهده اليوم الوطن المحتل عام 1948 يُشكل انعطافة استراتيجية كبرى، تخطت من حيث شموليتها ومضمونها وأدوات تعبيرها، هبة أكتوبر عام 2000. وإذا كانت تلك الهبة الوطنية قد أعادت بدماء شهدائها تجديد الإعلان عن وحدة

الشعب العربي الفلسطيني في كل مناطق انتشاره بوجه الاحتلال والمجازر التي يرتكبها، فإن ما يحصل الآن على الأرض يكشف عن خلل بنيوي فادح يحمل في كل لحظةٍ عوامل تفجيره التي أوجدتها سياسات المستعمر، منها :

– تعاني المدن المختلطة/المحتلة من هجمة عنصرية محمية بالقانون ومدعومة برجال الشرطة، للسطو على ممتلكات الفلسطينيين؛ البيوت والمحلات التجارية، وبالتالي، طرد وتهجير أصحابها من المكان.

–استُهدف المجتمع العربي في كل المدن والبلدات بخطة منهجية وضعتها حكومة العدو وتم إقرارها والعمل بها على إثر النتائج / الظواهر التي برزت بمفاعيل هبة أكتوبر عام 2000 . فقد بدأ تنفيذ الخطة باستهداف جيل الشباب العربي من خلال تحطيمه من الداخل، بنشر المخدرات وتسويقها، وإغراق المناطق العربية بالسلاح المُسرب من الجيش، الذي يباع بشكل منظم في السوق السوداء لعائلات وأفراد عصابات الجريمة المنظمة بهدف حل أي خلاف اجتماعي داخلي بالسلاح ونزف الدماء، وما انتشار عمليات القتل والقتل المضاد التي تتم داخل المدن والبلدات العربية إلاّ دليل على ذلك.

– ترافق كل ذلك مع استمرار العمل بالتضييق على قطاع الخدمات الأساسية في هذه المدن والبلدات؛ قطاع التعليم ،الرعاية الطبية، السكن، وتفشي البطالة.

الانتصار في معركة الانتماء وامتلاك الوعي

لقد أدت سياسات الإهمال والتهميش، والتخريب الاجتماعي والقيَمي داخل البلدات والتجمعات العربية التي نفذتها حكومة العدو، لظهور حالة هائلة من الغضب والتمرد نتيجة عقود طويلة من القهر عند جيل وُلد مع مقدمات هبة أكتوبر وانتفاضات الضفة والقدس . وقد لعبت رمزية القدس والمسجد الأقصى، اللذين تعرضا لهجمات فاشية من ميليشيات المستعمرين المدعومة بحماية أمنية وعسكرية، دوراً مركزياً في التحشيد الشعبي لفلسطينيي الداخل في غالبية المواجهات مع المستعمرين/المستوطنين، الذين يسرقون في كل يوم ممتلكات العرب بحماية قوات الشرطة والجيش. وقد كشفت الأحداث، أن آلاف الشباب من هذا

الجيل المُهمش، المتمرد على الدولة والمجتمع، أعاد اكتشاف ذاته الوطنية الفلسطينية وهو يتابع بأم العين أثر الصواريخ على المحتلين، ونتائج صمود أهلهم في غزة، مما ساهم بإنعاش الانتماء الوطني العفوي، وفي إعادة انتاج الوعي _ في مواجهة محاولات كي الوعي الذي تمارسه حكومة الاحتلال، مما أظهر لهم أن قوانين تلك المؤسسة الموجهة للعرب هي المسؤولة عن إقصائهم ودفعهم خارج التعليم والسوق الرسمية للعمل، من خلال سياسة عنصرية مُبرمجة، بهدف سحق انسانيتهم وتهميشهم. وقد أشار الكاتب "ناحوم برنياع" في مقال له في صحيفة "يديعوت أحرونوت " بمنتصف أيار/ مايو الفائت بأن "حركة حماس (قوى المقاومة المسلحة) لا تقاتل من أجل عقاراتها ولا لأجل صواريخها، بل على الوعي وهي إنتصرت بشكل كامل في معركة الوعي". لقد تحول جزء من السلاح المتفلت الذي تنشره في السوق السوداء مافيات على صلة بالجيش و" الأجهزة الأمنية" إلى أدوات نضال ثورية بيد بعض الشباب الذي أجاد توجيهة في أكثر من مكان؛ مدينة اللد، وبعض بلدات النقب، وكُفر كنّا " قانا الجليل"، باستهدافه ميليشيات المستعمرين وسيارات الشرطة.

تفاجأت حكومة العدو بانتقال المواجهة لمدينة اللد، خاصة، بعد استعمال السلاح وانتقاله من أدوات قتل داخل المجتمع العربي إلى استعماله وتوظيفه في الاشتباكات مع العدو. فالاشتباكات الواسعة والهجمات العديدة على محلات وأحياء المستعمرين وسيطرة الشباب العرب على أجزاء من المدينة أدت إلى مغادرة عائلات عديدة منهم. وقد جاءت جنازة تشييع إبن المدينة "موسى حسونة" الذي ارتقى شهيداً يوم 11 مايو/ أيار 202 نتيجة استهدافه برصاص أحد المستوطنين القتلة لتعكس درجة الالتفات والوحدة الشعبية الحاضنة للمقاومة والشهيد .وقد تكرر هذا التضامن والتكاتف الشعبي، سواء في التشييع أو في بيت الفقيد ومجلس العزاء ،مع عائلة الشهيد "محمد كيوان محاميد" من مدينة أم الفحم المحتلة، الذي فارق الحياة بأحد المشافي بعد أن أطلق النار عليه أحد عناصر الشرطة يوم 12 أيار/ مايو الفائت. الكاتب " آرون بن يشاي " في مقال نشرته صحيفة " يديعوت أحرونوت " بمنتصف أيار / مايو المنصرم أضاء على ما يحصل في الكيان

("إسرائيل" تخوض اليوم حربا على ثلاث جبهات ؛ غزة الضفة ومناطق العام 1948، لكن أخطرها جبهة الأمن الداخلي، في ظل الحرب الأهلية المستعرة بالفعل فيها، وهي تتصاعد كل ليلة، وهذه أخطر جبهة، وإذا فشلت الحكومة في الحد من تدهورها، فستكون أكثر خطورة على الأمن والديموقراطية من أي تهديد خارجي على الدولة).

من دروس الهبّة

لقد فتحت المواجهات العنيفة بين الشباب الغاضب/المتمرد وأجهزة القمع الصهيونية وميليشيات المستعمرين، الباب على مصراعية للدخول في مرحلة جديدة تختلف تماماً عما سبقها طوال العقود السبعة من عمر النكبة. وهذا مادفع رئيس كيان العدو- غادر موقعه قبل أيام - "رؤوفين ريفيلين" ليُعلن "أتوسل الجميع، افعلوا كل ما في وسعكم لوقف هذا الأمر الفظيع الذي يجري أمام أعيننا. نحن منهمكون في حرب أهلية من دون أي سببٍ أوقفوا هذا الجنون أرجوكم توقفوا. نحن دولة واحدة". كلمات " ريفيلين " عن "الجنون والدولة الواحدة" تحمل من التضليل والكذب ما يتناسب مع عقلية ونهج المستعمرين.

لقد أعادت الهبة الشاملة التي شهدتها فلسطين المحتلة عام 1948 وصواريخ المقاومة وعملياتها العسكرية، كما مواجهات الضفة والقدس، التأكيد على وحدة الفلسطينيين في كل الوطن والشتات. فقد سقطت التقسيمات والجدران النفسية كما الإسمنتية، وانهارت محاولات العدو في تفكيك الشعب الواحد الذي اجترح في كل ساحة وموقع، أشكال النضال وآليات المواجهة.

كما أن هبة مايو/أيار لم تُسقط، في المحتل من الوطن عام 1948، سطوة مؤسسات الحكم الرسمية، بل زلزلت بنية القوى السياسية التقليدية في المجتمع العربي، التي أظهرت انتخابات الكنيست الأخيرة إفلاس سياساتها وتنظيراتها، وهو ما عَبّرت عنه النسبة المرتفعة للمقاطعة، وأسقطت بالتالي، رموز "تابو" القيادات التي أتقنت التضليل لجماهيرها، والدونية في تعاملها مع المؤسسة السياسية الصهيونية.

خاتمة

إن ماطرحته هبة أيار التي تعمدت بدماء الشهداء والجرحى وبعذابات الآلاف الذين تعرضوا للاعتقال والتوقيف والتحقيق تطرح جملة من الأسئلة من بينها: كيف يستطيع جيل الغضب والتمرد والثورة بالداخل الاستفادة من كل مايحصل على امتداد فلسطين التاريخية من أجل صياغة خطة عمل المرحلة المقبلة، وأن يُشكل تراكم النضالات الوطنية بالأساس، رافعة كفاحية تعيد للتجمع العربي وحدته، وتعزز تماسكه وتكافله الاجتماعي على طريق بناء حركة سياسية تكسرأساليب وأشكال العمل التي عفا عليها الزمن؛ زمن جيل الهبات والانتفاضات. لأن "هذه الهبّة الشعبيّة عبارة عن مادّة خام والسؤال هو من منّا يعرف أن يصنع منها أفضل شكل" كما كتب الروائي، الباحث والكاتب السياسي المناضل "مجد كيّال" المقيم في حيفا المحتلة في مقالته المنشورة في السفير العربي 26 / 5 / 2021.

على المقلب الآخر، هناك أسئلة مرتبطة ومنطلقة من هذه الهبة التي بدلالاتها الراهنة، وبما كشفته عن مأزق وجودي داخل الكيان، لا تقل آثارها عما أحدثته الصواريخ. كما أن مقاومة الشباب الاستثنائية، أعادت التأكيد على المخزون الشعبي الثوري الذي يجب على قوى المقاومة المسلحة أن تُشكل لهم مظلة حماية سياسية ومادية، حتى لا تترك "ظهرهم" مكشوفاً لسياط التعذيب في مراكز الاعتقال.

مقدمات العدوان على قطاع غزة وردود الفعل الدولية

علي بدوان
كاتب سياسي/عضو اتحاد الكتّاب العرب

تقـديم

جاءت الحرب العدوانية الأخيرة ضد قطاع غزة، وعموم الأرض الفلسطينية المحتلة حتى في الداخل المحتل عام 1948، في العاشر من أيار/ مايو 2021 بمثابة الحرب الشاملة الرابعة على قطاع غزة منذ عام 2007. فتم اتخاذ قرار الحرب "الإسرائيلية" والتحضير له ضد القطاع من قبل المجلس الوزاري المُصغر في "إسرائيل" المعروف باسم (الكابينيت) بموافقة مُعظم الأحزاب والقوى "الإسرائيلية" داخل هذا (الكابينيت) وخارجه، فالقانون الأساس لـ"الحكومة الإسرائيلية" يستند إلى (الكابينيت) السياسي الأمني باتخاذ قرار الحرب "الإسرائيلي" وهو بمثابة "مطبخ القرار"، الذي أراد أعضاؤه من الحرب العدوانية الأخيرة على القطاع وعموم الأرض الفلسطينية المحتلة، تحقيق جملة من الأهداف، أولها: وأد الحركة الشعبية الفلسطينية في مدينة القدس، والفعاليات التي حظيت بتعاطف دولي كبير. وثانيها : توجيه ضربة لقدرات المقاومة والفصائل الفلسطينية، وامكانيتها للتحرك وممارسة كل اشكال العمل الكفاحي ضد الاحتلال. وثالثها: استعادة ما يُسمى بـ"الردع الإسرائيلي" تجاه القوى والفصائل الفلسطينية في القطاع. ورابعها: إعادة خلط الأوراق في المنطقة في ظل الضعف العربي العام وتراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية واستغلال هذا الواقع لإضعاف الحالة الفلسطينية. وخامسها : إفشال التوجُّه للانتخابات الفلسطينية بافتعال مسالة تصويت المقدسيين ومنعهم، وقطع الطريق على إمكانية إنهاء الانقسام الفلسطيني الداخلي من خلال إثارة الاحتراب السياسي الداخلي في الساحة الفلسطينية بين من يريد الاعتماد على الكفاح الشعبي، وبين من يريد الرد بالصواريخ على العدوان.

هذا بالرغم من إدراك مُعظم تلك الأحزاب "الإسرائيلية" الموجودة بـ"مطبخ الكابينيت" أن نتنياهو دفع أيضاً لاتخاذ قرار شن تلك الحرب في جانبٍ كبير منها، لأسباب تتعلق به شخصيًا بهدف خلط الأوراق في الساحة الداخلية "الإسرائيلية" بعد فشله في تشكيل الحكومة بعد الانتخابات الأخيرة للكنيست والمُعادة للمرة الرابعة، وتكليف (يائير لبيد) رئيس حزب (يوجد مستقبل/ييش عتيد) بتشكيل الحكومة، التي تقاسمها مع (نفتالي بينيت) رئيس حزب "يمينا" وفي اطار ائتلاف من ثمانية أحزاب.

والمهم هنا، أن الحرب العدوانية على القطاع جاءت بعد فعاليات مدينة القدس الشعبية الجماهيرية، دفاعاً عن المدينة، واقصاها، وساحة باب العمود، وحي الشيخ جراح، وحي سلوان -الخ. حين واجه ومازال يواجه أبناء المدينة جيش الاحتلال وعصابات المستوطنين المسلحين بأجسادهم. فيما أراد رئيس حكومة الاحتلال السابق بنيامين نتنياهو شن تلك الحرب من أجل عدة استخدامات، ومنها استثمارها في اللعبة الداخلية "الإسرائيلية" في مواجهة الأحزاب المنافسة له، وبعد المناورة التي قادها وأدَّت لتعطيل الانتخابات البرلمانية الفلسطينية بإخراج مدينة القدس ومواطنيها من دائرة المشاركة، باعتبار القدس عاصمة لدولة الاحتلال وفق ما أعلنه الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب.

وحشيّة العدوان

لقد ترافق العدوان على القطاع مع الذكرى الـ73 للنكبة، وتجسَّد صمود مدينة القدس ومواطنيها خلال شهر رمضان المبارك الماضي، كما تجسّدت وحدة الأرض والشعب والكفاح الفلسطيني، حيث تعانقت غزة العزة وقطاعها مع الضفة الغربية وعموم القدس، والداخل المحتل عام 1948 في مدن اللد وأم الفحم وحيفا...إلخ والشتات الفلسطيني، وخصوصاً منه الشتات المحيط بفلسطين في دول الطوق (سورية + لبنان + الأردن).

فيما لجأ الاحتلال، إلى الاستخدام المُفرط للقوة، وجحيم النيران التي أطلقت من الجو من الطائرات المقاتلة "الإسرائيلية" على قطاع غزة وعلى

عموم سكانه من المواطنين، مع تدمير الأبراج السكنية، وقد أبيدت عائلات بأكملها، وهدمت بيوتها على رؤوس أصحابها بفعل الغارات الوحشية "الإسرائيلية". وما جرى كان عبارة عن ارتكاب جرائم مبرمجة تبث على الهواء مباشرة أمام العالم بأسره، ما أدى لاستشهاد نحو 250 شهيدًا، وأعداد مضاعفة من الجرحى والمصابين، من بينهم أكثر من 65 طفلًا، ومن بينهم نحو 15 تلميذًا من طلبة مدارس الوكالة استشهدوا، و34 سيدة، إضافة إلى 1235 جريحا. بينما بلغ عدد شهداء الضفة الغربية 21 شهيداً. وتم تشريد أكثر من 47,000 شخصاً، إما فقدوا منازلهم أو سبل الوصول إلى الماء أو الكهرباء، أو أجبروا على الفرار لحماية أنفسهم وعائلاتهم. حسب بيان صدر عن وكالة الأونروا يوم 2021/5/18. وأضاف البيان أن "معظم العائلات وجد ملاذًا في مدارس الأونروا، إلا أن ذلك أصبح أكثر صعوبة هذه المرة بسبب انتشار (كوفيد-19) والصعوبات التي تواجه المسؤولين والمساعدات في سبل الوصول إلى غزة عندما تكون الاحتياجات أكبر". وتقدر منظمة الأمم المتحدة للطفولة عدد الأطفال الذين يحتاجون إلى دعم نفسي جراء الصدمات النفسية العميقة التي تعرضوا لها بفعل العدوان، بحوالي 500 ألف طفل في عموم القطاع.

لقد صمد الشعب الفلسطيني في الجولة الأخيرة المنازلة مع الاحتلال الصهيوني وتجسيداته فوق الأرض الفلسطينية المحتلة، وانتصر انطلاقًا من القدس، التي شهت طوال شهر رمضان المبارك الفائت، نهوضاً وطنيّاً عارماً في وجه جيش الاحتلال ومجموعات المستوطنين الذين حاولوا تعكير وإيذاء أداء المؤمنين لطقوس شهر رمضان المبارك في المسجد الأقصى، وعموم مساجد القدس. والأهم من كل هذا أن انتصار القدس بانتفاضتها وصمود مواطنيها من المقدسيين، استولد تلك الحالة الوطنية العارمة من قطاع غزة إلى عموم الضفة الغربية، التي انتفضت وواجه أبناؤها حواجز الاحتلال بصدورهم العارية واشتبكوا معها من النقطة صفر، ولاحقوا مجموعات المستوطنين. أما امتداد الفعل للداخل المحتل عام 1948 فكان الحدث الكبير الذي هزَّ أركان كيان الاحتلال، الذي وجد نفسه

وجهاً لوجه أمام من اعتقد بأنهم نسوا فلسطينيتهم، وأن "الأسرلة" نالت منهم وأخذت بهم إلى مساربها، فكان حراكهم الوطني بمثابة الصفعة الكبرى في اللد وحيفا وأم الفحم...

ردود الفعل الدولية

إن أبرز الدروس التي تمخضت عن معركة صمود الفلسطينيين، في القطاع والقدس والضفة والداخل، وتركت آثارها على الرأي العام الدولي وحتى على صناع القرار في الدول المؤثرة في العالم، تلخص في إعادة تشكيل وعي العالم بشأن الصراع الاستعماري في فلسطين وتجلى ذلك على المستوى الشعبي من خلال المظاهرات الحاشدة، والتغطية الإعلامية في وسائل الإعلام التقليدية في الولايات المتحدة والعديد من دول الغرب الأوروبي والعالم الإسلامي والدول الصديقة فعلى المستوى الرسمي، سارعت الحكومات الغربية والعربية للتدخل فقلبت هذه المعركة ومن خلال جحافل جيش الشباب الإلكتروني الفلسطيني، الصورة العالمية ضد المستعمر "الإسرائيلي". والحقيقة أن الحراك المدني العالمي ليس جديدًا، فحركة المقاطعة فاعلة منذ حوالي 15 عاماً، ولكنه تصاعد واتسع بصورة لافتة ومبهرة خلال معركة الصمود الأخيرة في أيار/مايو 2021.

فقد كانت ردود الفعل الدولية بشأن العدوان على القطاع ايجابية لصالح الشعب الفلسطيني بشكلٍ عام فالعديد من دول الاتحاد الأوروبي، كان لديها قناعة بأن نتنياهو أراد جر الجميع في المعادلة الداخلية في "إسرائيل" إلى مُربع (النار) للخروج من مأزق مدينة القدس، وانتفاضة أهلها التي ألهبت الشارع الفلسطيني وحاصرت المستوطنين، ونالت درجة جيدة من التعاطف والتضامن الدولي وإسنادًا دوليًا هائلًا انطلاقًا من رفض المجتمع الدولي والشرعية الدولية لقرار الضم الجائر الموقّع بالأساس من قبل الرئيس السابق دونالد ترامب بما يخص مدينة القدس نهاية العام 2017. فصوت البابا فرنسيس كان واضحاً حين دعا لوقف إطلاق النار، وحض الكنيسة الكاثوليكية بأسرها على الصلاة من أجل السلام. وبالطبع، فإن نيران الغارات والأعمال الوحشية

من قبل الكيان الصهيوني وجيشه ضد القطاع وضد عموم الشعب الفلسطيني في مختلف مناطق الضفة الغربية وخاصة على حواجز جيش الاحتلال، وحتى بالداخل المحتل عام 1948، لاقت تنديداً دولياً شبه اجماعي، في ظل الجهود الدولية التي تم بذلها لوقف (حمام الدم) "الإسرائيلي"، حيث أعطت الأمور نتيجة تكتيكية "إسرائيليًا"، لكنها لن تعطي نتيجة فعلية على مدياتها البعيدة نسبيًا. فالطرف "الإسرائيلي" يريد تحطيم الفلسطينيين تمامًا في القطاع، وكسر ظهرهم، وأن لا "تقوم قيامة" لمقاومتهم الشعبية السلمية ولا المسلحة قادم الأيام ولكن هيهات، وقد تمرَّسَ الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، ولم تَعُد تنطلي عليه تكتيكات الطرف "الإسرائيلي"، وهذا ما يدركه حتى الأوروبيون في دول الاتحاد والواقعون تحت الضغط الأميركي.

لقد التقى وزير خارجية دولة الاحتلال، و"رئيس الحكومة البديل"، يائير لبيد، مع نظيره الأميركي، أنتوني بلينكن، في روما يوم 2021/6/27، والتقى رئيس كيان الاحتلال، رؤوفين ريفلين، مع الرئيس الأميركي، جو بايدن، في واشنطن يوم 2021/6/28، وكل ذلك من أجل "لملمة" نتائج ماجرى، وتحديداً مع فشل الاحتلال في تحقيق الأهداف التي سعى لها، ووجود مناخٍ دولي رافض لكل السياسات "الإسرائيلية" التي مست الفلسطينيين بالقطاع، وأدت لوقوع الكوارث والخسائر المادة والبشرية بحق شعبٍ أعزل على يد قوى طاغية.

لقد تواصلت ردود الأفعال العربية والإسلامية والدولية إزاء العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة والقدس المحتلة والضفة الغربية، ودعت الدول الأعضاء في مجلس الأمن (الدائمة والمؤقتة باستثناء الولايات المتحدة) للتدخل لإنقاذ حياة الفلسطينيين. فيما اعترضت وزيرة حقوق الإنسان الباكستانية، شيرين مزاري، على وصف الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، العنف الدائر في فلسطين بأنه "صراع"، مؤكدة أنه "مذبحة تنفذها قوات الاحتلال". وأدانت معظم دول الاتحاد الأوروبي جرائم وعدوان الاحتلال، وعلى سبيل المثال قال وزير الخارجية الايرلندي، سيمون كوفيني "إن أيرلندا ستتحدث بقوة مرة أخرى في مجلس الأمن الدولي". وفي السياق، أعرب منسق الأمم المتحدة الخاص

لعملية السلام في الشرق الأوسط وينسلاند، عن الصدمة إزاء قتل أطفال فلسطينيين في غارة "إسرائيلية" على مخيم الشاطئ في قطاع غزة.

إن المواقف الأممية، الإيجابية، والمتضامنة مع الشعب الفلسطيني من الصين الشعبية الى أوروبا إلى القارة الأمريكية، تتطور يوماً بعد يوم، في التضامن مع الشعب الفلسطيني، بالرغم من الحالة العربية المتهالكة التي لم تَعُد تُعير القضية الفلسطينية الاهتمام المطلوب فركّزت المواقف الأممية على إدانة العدوان، ووقفه، وعلى حق الشعب الفلسطيني بدولة فلسطينية مستقلة، في إطار ما بات يُعرف بـ "حل الدولتين"، بغض النظر عن مواقف العديد من القوى الفلسطينية بشأن حل الدولتين" وقرارات الشرعية الدولية.

إن الصوت الخافت للجامعة العربية وعدم فعاليته على المستوى الدولي، كان واحدة من المثالب التي ترافقت مع الحدث الأخير في فلسطين، حيث طغى الصوت الإعلامي فقط، حين دعت جامعة الدول العربية، في بيانٍ لها ـــ وفي جانب ايجابي منه ـــ إلى محاكمة المسؤولين "الإسرائيليين" المتورطين في المجازر بحق الفلسطينيين، أمام المحكمة الجنائية الدولية. وقال أحمد أبو الغيط الأمين العام للجامعة في بيانٍ إن "إعلان التهدئة في غزة لا يعني عدم المحاسبة على الجرائم التي ارتُكبت خلال هذه الجولة الدامية، والتي شكّل الأطفال والنساء في غزة نصف ضحاياها، فضلا عن تعرض البنية الأساسية في القطاع لدمار مروع". وأكد أنه "يتعين أن تتحمل إسرائيل المسؤولية عن هذه الجرائم، وأن يُحاسب مرتكبوها وفقاً لنظام المحكمة الجنائية الدولية التي سبق وأعلنت أن ولايتها تشمل الأراضي الفلسطينية المحتلة".

وأخيراً، نجح مجلس الأمن الدولي، بعد اربع جلسات أثناء العدوان من استصدار قرار بوقف النار "الإسرائيلية" ضد القطاع، وحتى داخل مناطق وامتداد الضفة الغربية، بعد أن كان أخفق (مجلس الأمن الدولي) في الوصول إلى موقف موحد يدين الاعتداءات "الإسرائيلية" نتيجة الموقف الأمريكي داخل مجلس الأمن وعلى الضد من مواقف واجماع المجتمع الدولي.

إعادة إعمار القطاع

باتت مسألة إعادة إعمار ما دمره العدوان على القطاع محط الاهتمام والتحرك المنشود، من قبل المجتمع الدولي، وخاصة الدول المانحة، فيما وضعت دولة الاحتلال مجموعة اشتراطات، منها ما يتعلق بجنود الاحتلال الأسرى لدى فصائل المقاومة ومنها ما يتعلق بإشرافها على دخول المواد اللازمة وتفتيشها وعبر ميناء أسدود في الداخل. وعليه فإن مسالة إعادة الإعمار تراوح مكانها عملياً، ولم تنطلق كما هو مفترضٍ بزخم مناسب.

وكان المفوض العام لوكالة الأونروا فيليب لازاريني قد زار القطاع يوم 2021/5/23، للمرة الأولى بعد العدوان الأخير على القطاع. حين أكَّدَ على التزام الوكالة تجاه حقوق ورفاه لاجئي فلسطين الذين يشكلون أكثر من 70٪ من سكان قطاع غزة البالغ عددهم مليوني نسمة. وقال السيد لازاريني: "أشعر بالإحباط العميق من العنف الشديد التي أودت بحياة المدنيين، ودمرت البنية التحتية وأعادت غزة إلى الوراء عدة سنوات"، مضيفا بأن "تسعة عشرة طفلا من أصل 60 طفلا قتلوا في هذا الصراع كانوا يذهبون إلى مدارس الأونروا، وكانوا معروفين لزملائي". وزار المفوض العام فيليب لازاريني مستشفى الشفاء حيث التقى سارة، وهي طفلة في الخامسة من العمر أصيبت بالشلل جراء شظية أصابتها خلال غارة جوية على بنايتها. وهي بحاجة إلى عملية إخلاء فوري لتلقي العلاج الطبي في الخارج. كما زار أيضاً موقع المبنى الذي استشهد فيه عشرة أفراد من عائلة أبو العوف، وهناك التقى بالفرد الناجي من العائلة الذي فقد زوجته وأربعة أطفال إلى جانب شقيقته وأربعة من أطفالها". وكرر السيد لازاريني بأن "الآثار النفسية الاجتماعية المستمرة للعنف لا حصر لها. وسوف تتطلب أزمة الصحة العقلية التي تلت ذلك التمويل الكامل لخدماتنا النفسية الاجتماعية". وزار لازاريني أيضا العائلات في مخيمي الشاطئ وجباليا والتقى بموظفي الأونروا الذين يقومون بتنفيذ جهود الإغاثة الطارئة، مثل تركيب ماسورة مياه ضخمة وتنظيم المساعدة للأشخاص النازحين في مدرسة تابعة للأونروا. وتماشياً مع النداء العاجل البالغ 38 مليون دولار، دعت وكالة الأونروا المجتمع الدولي إلى تمويل

جهود الوكالة لتلبية الاحتياجات الإنسانية الأكثر إلحاحاً للسكان المتضررين في قطاع غزة والضفة الغربية سورية وبالإضافة إلى الأضرار الناجمة. واختتم المفوض العام في حديثٍ له بالقول: "أغادر غزة في مهمة عاجلة هي: ضمان استمرار الاستقرار في حياة لاجئي فلسطين في غزة من خلال وكالة أونروا قوية كما أنني أذكر المجتمع الدولي بأنه ما لم تتم معالجة الأسباب الجذرية للصراع والاحتلال والتهجير، والتي لدينا تذكير قوي بها في القدس الشرقية والشيخ جراح، والحصار ودائرة العنف، فإن هذا الإحساس بالحياة الطبيعية سوف لن يكون سوى سراب حتى الصراع القادم". وبالنتيجة، إن العدوان الأخير ونتائجه المادية على الأرض، تتطلب التحرك من اجل تقديم مساعدات عاجلة لمواطني القطاع من قبل الأمم المتحدة وغيرها من الجهات الدولية النافذة كـ(الأونروا) لتقديم مساعدة إنسانية عاجلة وهنا تأتي أهمية إصدار قرار عن الأمم المتحدة يتضمن نقاط هي "عدم شرعية كامل الإجراءات الإسرائيلية بحق أرض وشعب فلسطين"، و"أن يكون هناك إجراءات عقابية ضد دولة الاحتلال". والعمل الفلسطيني والعربي والإسلامي عموماً لتفعيل دور المحكمة الجنائية الدولية (مقرها لاهاي- هولندا) وفتح تحقيق رسمي بجرائم الحرب التي ارتكبتها دولة الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني. إن النضالات الشعبية البطولية التي اجترحتها أبناء وبنات الشعب الفلسطيني، وبصدورهم العارية في مدينة القدس وفي أحيائها وداخل المسجد الأقصى، وفي اللد ويافا وحيفا وعكا وغيرها، والتي امتدت إلى الضفة الغربية، تشكل نموذجاً مؤثراً في سيرورة التحرر والبناء، والشكل الأجمل للفعل الثوري. وهذه النضالات الشعبية المكثفة هي التي حفزت في انخراط الجزء المحاصر في قطاع غزة في المعركة، والتي ساهمت في تحويل صورة الصراع في قطاع غزة، من الادعاء بأنه "صراع إسرائيلي" مع حركة "إرهابية" تهدد "إسرائيل" إلى الصورة الحقيقية، لحركة الشعب الفلسطيني الوطنية التحررية. وكل ذلك يلقي على عاتق قيادات العمل الفلسطيني مسؤوليات تخص مهمة إنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية بين الجميع.

معركة سيف القدس تسقط مشاريع التطبيع

بسام عليّان
باحث سياسي واجتماعي

رغم ما يشوب الأوضاع الراهنة من انتكاسات وإرهاصات، تظل المقاومة الفلسطينية هي الإطار الراهن للثورة الشعبية الفلسطينية، فالمقاومة هي الحلقة الأخيرة من حلقات التحرّك النضالي للشعب الفلسطيني، منذ صدور وعد بلفور أي منذ بدء التاريخ الفعلي للقضية الفلسطينية وإذا كانت المقاومة أخفقت حتى الآن في تحقيق الآمال الضخمة التي علّق الشعب الفلسطيني آماله عليها، إلّا أنّها ستظل تمثّل إرادة جماهير الشعب الفلسطيني والشعب العربي بأكمله، لأنّ المقاومة الفلسطينية لم تنته، ورغم حالة الموت والسبات والانحسار الثوري، التي تبدو على المنطقة منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود، وبالتحديد بعد مؤتمر مدريد، إلّا أنّ المقاومة الفلسطينية تمتلك الفرصة لإعادة النظر في كل ممارساتها ومخططاتها وأساليب عملها، بما يكفي لها أن تحمي نفسها من المحاولات الهادفة إلى سحقها، وبما يمكّنها من تجاوز الواقع ومعطياته والانفلات من هيمنته والخضوع لأحكامه.

المرحلة التي نعيشها اليوم صعبة ودقيقة، والأوضاع العربية محزنة إلى أبعد الحدود، فهناك دول عربية أقامت علاقات طبيعية مع من كان يعتبر عدوّاً في السابق، وبدل أن يقفوا مع الحق والحقوق الفلسطينية، أصبحوا يقيمون علاقات شراكة مع العدو الصهيوني، ويتبادلون التحايا والتهاني والتبريكات، ويساعدون هذا الكيان الذي يغتصب أرض فلسطين على البقاء حيّاً، رغم أنّ المصير العربي واحد، فما يحدث على أرض فلسطين، وما يحدث للشعب الفلسطيني هو مصير مشترك للشعب العربي بأكمله، وهنا أود القول أنّ الذين يقفون مع القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة والذين يقفون ضدها، لا بدّ أن يواجهوا مصيراً واحداً أو متشابهاً، فالذين قاموا ببناء علاقات شراكة مع هذا العدو الصهيوني سوف ينتهون، وسيلغيهم التاريخ، لأنّ المستقبل الفلسطيني

المقاومة وبكل تأكيد سيكون مشرقاً، وستنتصر فلسطين، وستنتصر المقاومة الفلسطينية وإذا كان يحلو لبعضهم من الضالعين في لعبة التصفية أن يؤكّد على انتهاء المقاومة، فإنّ هذه الادّعاءات لا تبرر الدعوة إلى التنازل عن القضية ذاتها.

صحيح أنّ المقاومة تتعثّر وتتوقف وأحياناً تُخفق ولكن الالتزام بالقضية، وباستراتيجية التحرير، والتمسّك بالحق الكامل في تراب الوطن، والإيمان بأنّ النصر قريب، والأهم منذ ذلك ضرورة الإعداد الجاد لمواجهة احتمالات المستقبل، وكل ذلك لم يتزعزع نتيجة المؤامرات التي يكيدها أعداء الأمة ضد فلسطين وضد قضيتها وضد شعبها. بسبب ذلك بقيت القضية الفلسطينية والمقاومة التي ينتهجها الشعب الفلسطيني مخرزاً في عين أعداء الأمة، وبقي الشعب الفلسطيني المقاوم يخزي العالم في حالة الحرب مع عدوه الصهيوني، ويخزي الدول المطبّعة مع الكيان الصهيوني، وبقيت القضية الفلسطينية تفرض بأسرها حالة معينة، وهي حالة الحرب أو ما يقرب من حالة الحرب، ذلك بالرغم من أنّ مشاريع عديدة أكثر سخاء كانت وما زالت تطرح لتسوية هذا الصراع الدائم مع العدو الصهيوني وأعوانه، على أساس الإقرار بشرعية وجوده في فلسطين.

كل الذين يحاولون أن يخففوا من سلبيتهم تحت يافطة "الواقعية"، وغيرها من التبريرات، هم خانوا القضية وخانوا الشعب، ولن يفلت أحد من تلك اللعنة، من يضع نفسه في مواقع التنازل عن الحق، والمساومة على مستقبل القضية الفلسطينية، وحقوق الشعب الفلسطيني، وأي تخريج لهذه المواقف مهما أُحكم ربطه بالموقف الدولي، والظروف الراهنة، وموازين القوى، لن يكون له إلّا مفاعيل آنية ومحدودة الأثر، كذلك لن يكون للمحاولات التي يقوم بها المتنفذون في السلطة حالياً في الأوساط الشعبية الفلسطينية، معتمدين على تنمية الشعور بالغربة والضياع والعزلة لدى تلك الجماهير، وتكريس مشاعر اليأس والنزعة الإقليمية، والقرف من بقية العرب والمسلمين، وبالتالي البحث عن أي مركب نجاة حتى ولو كان سراباً، إنّ هذه المحاولات لا تلبث إلّا أن ينفضح زيفها وخداعها. فالوطن لا يمكن التنازل عنه، وليس هناك أي حق لهؤلاء المسيطرين على القرار الفلسطيني أن يكتسب حقّاً من هذا النوع.

وللعلم إنّ الكيان الصهيوني هو كيان هزيل وضعيف، وقد فوجئ في معركة "سيف القدس" بالحرب، حيث كان يتوقع أنّ الأمور تمشي كما يريد الاحتلال، وكما يريد أعوان الاحتلال من المطبعين، والمتغطرسين، فأخذ يشن عدوانه على قطاع غزة بكل ما لديه من قوة نيران، للتدمير والقتل، وبقدر ازدياد عدد الشهداء وارتفاع أعداد الجرحى، واتساع مناطق الدمار الهمجي، إلّا أنّ المقاومة لم تبدِ استعدادها لوقف هجماتها على مواقع العدو، وظلّت المقاومة الفلسطينية صامدة، مع صمود أهالي "الشيخ جرّاح" في القدس، ومع انتفاضة أهالي مدينة اللد الفلسطينية التي أقلقت الساسة الإسرائيليين، حيث أصبحت مدينة اللد خارجة عن السيطرة الإسرائيلية عليها، وهذه أول مرة تحصل في تاريخ الفلسطينيون الذي يعيشون تحت ضغوط وممارسات الاحتلال الهمجية منذ العام 1948.

كما ترافق كل هذا مع نجاح المرابطين في المسجد الأقصى، والمواجهات بين شباب القدس وقوات الاحتلال الصهيونية، التي فرضت قواعد اشتباك لا تقتصر على قطاع غزة، وإنّما شملت القدس والمسجد الأقصى وباب العامود، وهذا الأمر فضح المهرولين نحو التطبيع مع العدو الصهيوني، وأشعرهم بالخزي والعار، لأنهم كانوا قد اعتقدوا في تفكيرهم الانهزامي أنّ القضية انتهت، وأنّ الشعب الفلسطيني ضاع، وكانوا يتصورون أنّ في بناء علاقات شراكة مع الكيان الصهيوني، قد حموا أنفسهم ومناصبهم وحموا إماراتهم ومملكاتهم الكرتونية.

وللأسف بدلاً من أنّ تعود هذه الدولة المطبعة إلى رشدها وتقطع علاقاتها بالكيان الصهيوني وتطرد سفراء إسرائيل من عواصمها، بدأت وبشكل مخزي تستخدم دور الوسيط في وقف هجمات المقاومة الفلسطينية، وبدأت تستخدم ضغوطاتها على المقاومة بطلب من أمريكا وإسرائيل من وراء الستار.

فقد كشفت معركة "سيف القدس" أنّ الدول العربية انقسمت إلى ثلاث مجموعات، دول تعترف اعترافاً كاملاً بالكيان الصهيوني، وليست على استعداد لاتخاذ أي خطوات عملية ضد إسرائيل، مهما تصاعدت حدة القتال، ودول تعمل في نطاق الدبلوماسية بالإنابة، والتي تعني أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تكلف هذه الدول

العربية بالتواصل مع خصوم واشنطن في المنطقة، لنقل وجهة النظر الأمريكية لهم، ولكي تؤدّي هذه الدول هذه الوظيفة فإنّها تقوم بتقديم بعض المساعدات لخصوم أميركا في المنطقة، سعياً للوصول إلى قدر من بناء الثقة معهم، أمّا المجموعة الثالثة فهي التي أبقت تأييدها للمقاومة الفلسطينية ولكن دون إجراءات فعّالة.

ولكن المقاومة ومعركة "سيف القدس" وضعت دول التطبيع موضع الحرج أمام شعوبها والشعوب العربية بشكل عام، وهو ما اتضح في بياناتها الخجولة جداً، ومحاولاتها المساومة بين طرفي الصراع، وهو الأمر الواضح بشكل جلي في بيان دولة الإمارات العربية المتحدة، بينما انتظرت البحرين الموقف السعودي لتنسج على منواله.

وقد دلّت ردود الفعل الشعبية العربية والإسلامية على الهوّة العميقة بين توجّهات الإدارات العربية الرسمية وبين طموحات الشعوب العربية، وهو أمر تدرك القيادة العسكرية الاحتلالية في فلسطين أنّ له خطورة استراتيجية على المدى البعيد.

ومن خلال مراقبة البيانات الرسمية العربية لأنظمة التطبيع العربية القديمة والجديدة، تشير بشكل قاطع إلى أنّ هذه الدول ترى التشبّث بالعلاقة مع الكيان الصهيوني، حتى لو مسّ ذلك عمق منظومة القيم الدينية والقومية العربية، ويعود ذلك إلى أنّ منظومة القيم لدى هذه النظم السياسية في الوطن العربي هي جعل أولوية النظام السياسي تعلو على أولوية الدولة والمجتمع، وهي ترى أنّ العلاقة مع المنظومة الرأسمالية الغربية هي خير ضمان لأمن النظام السياسي، وأنّ العلاقة مع الكيان الصهيوني هي أحد الجسور الرئيسية لضمان تلك العلاقة. كما أنّ معركة "سيف القدس" دلّت على العجز المطلق لسلطة التنسيق الأمني في رام الله، وثبت أنّ القرار الاستراتيجي في التوجّهات الفلسطينية هو بيد المقاومة الفلسطينية وليس بيد شركاء الاحتلال، وقد كان لهذا التحوّل أثره في التفكير الإسرائيلي، فقد حذّر خبراء إسرائيليين من إضعاف موقف السلطة الفلسطينية نتيجة العجز في المواجهة في غزة، وهو أمر يستوجب من وجهة النظر الإسرائيلية

طرح مبادرات تساعد السلطة الفلسطينية على استعادة ما تظنّه موقعها في القرار الفلسطيني، بل جاءت بعض الدراسات الإسرائيلية لتدعو إلى ضرورة التعاون مع أجهزة أمن السلطة الفلسطينية لاعتقال المقاومين وأنصارهم في الضفة الغربية، وأقرب مثال: طريقة اعتقال نزار بنات وقتله بدم بارد أمام أهله من قبل أجهزة أمن السلطة.

مساكين هؤلاء الذين يحاولون إقناع أنفسهم والآخرين بأنّ الشعب الفلسطيني يريد السلطة وقيادة السلطة، الجماهير الفلسطينية تقر مواقفها من خلال أفراد يائسين، وأفراد يرتبطون بعلاقات شراكة مع الاحتلال. فما تزال المقاومة، والشعب الفلسطيني المقاوم يجسّد مادياً أرقى صور الرفض للوجود الصهيوني، فالشخصية الفلسطينية المقاومة ما تزال تفرض نفسها على العالم من خلال الرفض والتمرّد والتّصدي لمحاولات تصفية الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

المقاومة عند الشعب الفلسطيني فضحت المطبعين وفضحت المتعاونين وفضحت شركاء الصهيونية وشركاء الاحتلال الذين يستثمرون حالات اليأس والتمزّق والضياع التي تخيّم على شعوب الوطن العربي، بعد ما سُمّي بـ "الربيع العربي"، فهم واهمون في تمرير مواقف وتصرفات من طبيعة يائسة غير ثورية وغير وطنية، لا يمكن أن يكون لها من نتيجة غير زيادة البلبلة والتمزّق والضياع، وتفكيك وحدة المقاومة والجماهير، وهم بسلبياتهم المبرمجة من الاحتلال الصهيوني وقوة الإرهاب العالمي المتمثّلة بالولايات المتحدة الأمريكية يدفعون إلى الانقسام والتصارع واللهاث وراء أوهام سرابية يظل إقرارها بيد العدو وحده، عدا عن أنّ المقصود من التلويح بها ليس أكثر من توريط الفلسطينيين وجرّهم إلى منزلقات خطرة، تتضمن فيما تتضمن التنازل عن حقوقهم في بلادهم، ودفعهم للتسابق على فتات الموائد الصهيونية والاستعمارية التي لا تحمل لهم غير الأوهام والعار.

تُعلّمنا تجارب الشعوب المقاومة، والتي انتصرت على أعدائها، بأنّ الأزمات المصيرية الكبرى، للثورات والشعوب، لا تسمح للدفقات العاطفية أن تحل محل التحليل العلمي، ولا لنزعات اليأس أن تحل محل الإرادة الثورية الواعية. الثورات – جميع

الثورات- تضطر من حين إلى آخر إلى تراجعات تكتيكية، ولكن ما من ثورة تقبل بأن تساوم على جوهر قضيتها المركزية مقابل مكاسب وهمية رخيصة فالثورة الجادة والحقيقية هي التي تستطيع تقدير قواها وإمكاناتها، وتتمكّن على ضوء ذلك من استخدام تلك القوى والإمكانات في الوقت المناسب ولخدمة أغراض سياسية واضحة. وهنا يقع على المقاومة أن تحتفظ بقواها وإمكاناتها وقدراتها من أجل تحديد مصير القضية الفلسطينية ومستقبلها لأجيال عديدة، فليس من السهل تصوّر شعبنا يعود ثانية إلى حالة التجرّد من السلاح والتشتّت من جديد، وهو لم يحقق بعد أي انتصار مادي ملموس. فعلى المقاومة أن تبتعد عن الارتجال والانفعال، وعليها أن تمتلك نظرية المقاومة الصالحة لتحليل الواقع والظروف المحيطة، وتساعد الشعب على الفهم المنظّم وتخطيط البرامج وتحديد المواقف واليومية والتكتيكية وتجنّب الخلط بين الاستراتيجية والتكتيك، وتضع بين أيدي المقاومين مقاييس ثابتة للتعامل مع الواقع، وتقييم كافة التصرفات والمواقف في ضوء الاستراتيجية المقررة. وأعتقد أنّه من حق أصحاب الرأي من مثقفين وسياسيين ومفكرين، أن يشاركوا في مناقشة أوضاع الثورة ومواقفها وإقرار مناهجها، لكن ليس من حق الثورة أن تتنازل عن قضية الثورة، ولا أن تتجاوز المقاييس الوطنية والثورية، فتقبل بدعوة وإشراك المتعاونين مع الاحتلال العسكري الصهيوني أو مع أي جهة معادية لقضية شعبنا، الذين لا يضيرهم أن يساوموا وأن يتنازلوا عن حقوق شعبنا في وطنه. إنّ المستقبل وإلى حد كبير بيد المقاومة الفلسطينية، إن استطاعت أن تستند على حد أعلى من الثقة المتبادلة والرغبة في التعاون الجاد للانتصار، وتوحيد كافة الإطارات والنشاطات التي تمارسها الثورة العميقة التي تنطلق من عمق إرادة الشعب الفلسطيني. إنّ توفّر نوايا صادقة وتوجّهات حقيقية لدى الأطراف التي يعنيها الأمر، وإعطاء المقاومة قدراً كافياً من الاهتمام، وفي ضوء تقارب التصوّرات والمواقف السياسية العامة، سيمكّن هذه المقاومة من التغلّب على كافة المعوقات والمصاعب

تداعيات معركة "سيف القدس" على الكيان الصهيوني

إبراهيم أبو ليل
باحث وكاتب سياسي

مقدمة:

كشفت معركة "سيف القدس" حجم الجرأة والقدرة على المبادرة اللتين أظهرتهما المقاومة الفلسطينية من خلال الصواريخ التي أطلقتها على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، دفاعاً عن القدس وأحيائها التي تتعرض للعدوان المتواصل وعمليات التهويد والاستيطان المستمرة من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني. وقد أظهرت المعركة عجز قوات الاحتلال وعدم قدرتها على ردع المقاومة، في الوقت الذي ذهب الجيش الإسرائيلي إلى قصف الأحياء المأهولة بالمدنيين وتدمير المنازل وارتكاب الجرائم، دون تحديد أهداف حقيقية للعدوان، الأمر الذي انعكس سلباً على الكيان الصهيوني داخلياً وخارجياً. ولم تعد سلطات الاحتلال قادرة على إقناع شعوب العالم بادعاءاتها، على أنها تحارب الإرهاب في فلسطين في ظل السياسات العنصرية الإسرائيلية، بل إنها هي الإرهاب بعينه.

اعتادت قوات الاحتلال الصهيوني في جولاتها العدوانية المتكررة على قطاع غزة، البدء بضربات مركزة على هدف محدد مثل اغتيال شخصية من الشخصيات القيادية في المقاومة، للتغطية على جرائمها التي ترتكبها لاحقاً ضد الفلسطينيين وممتلكاتهم، بهدف ردع المقاومة ونزع سلاحها. هذه المرة، في معركة سيف القدس، لم تتمكن قوات الاحتلال من تحديد هدف معين، حيث إن المبادرة كانت بيد المقاومة التي أطلقت الصواريخ على المواقع الإسرائيلية المحيطة بقطاع غزة، رداً على اعتداءات المستوطنين وقوات الاحتلال على منطقة باب العمود ومحيط البلدة القديمة في القدس المحتلة في شهر رمضان، ولذلك اختارت القيادة الإسرائيلية هدفاً غامضاً هو «تعزيز الردع»، وربما اعتمدت على بنك أهداف عامة

مجهز مسبقاً مثل منازل أو مراكز لمؤسسات مختلفة، لعدم توفر معلومات دقيقة عن مخابئ المقاومة، كفشل استخباراتي لدى الجيش الإسرائيلي. فالواقع كان مغايراً لحسابات قادة الاحتلال ومفاجئاً لهم، وكان واضحاً منذ البداية أن العدوان لن يردع المقاومة ولن يحقق حسماً قاطعاً، وأنه لن تكون هناك صورة نصر يتفاخر بها الجيش أمام الجمهور الإسرائيلي الذي أصيب بالرعب وخيبة الأمل. ففي عدوانه الذي أطلق عليه اسم «حارس الأسوار» خرج ولم يجد أهدافاً استراتيجية واضحة، إذ أخفت المقاومة جميع قدراتها الصاروخية ووحداتها القتالية تحت الأرض، وخاضت المعركة من خلال الأنفاق التي مكنتها من إطلاق آلاف القذائف والصواريخ نحو المدن والتجمعات الاستيطانية، حيث طالت القدس وتل أبيب والمستعمرات المحيطة بقطاع غزة، فيما ظل الطيران الإسرائيلي يراوح في المكان، فاقداً الأمل بالعثور على أهداف حقيقية، فاتجه نحو تدمير الممتلكات والمنشآت والمؤسسات الاجتماعية والثقافية، وصب حقده على الأحياء المدنية للانتقام من الأبرياء العُزَّل في منازلهم، مما يزيد في تعرية الكيان الصهيوني وتعميق أزماته في وقت يواجه تحديات استراتيجية كبيرة، إضافة إلى المأزق الذي يمر فيه رئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو الذي حاول الخروج منه باللجوء إلى الخيارات الميدانية، تعبيراً عن تخبطه السياسي بعد فشله في انتخابات الكنيست الرابعة والعشرين، مشفوعاً بالغطرسة العنصرية وأوهام القيادة الإسرائيلية بأن انطلاق مسار التطبيع مع بعض الدول العربية يمكّنها من الانقضاض على الشعب الفلسطيني، وثنيه عن المقاومة، وإنهاء القضية الفلسطينية. غير أن اندفاعه نحو العدوان وضعه أمام معركة خاسرة، باعتراف الخبراء والاستراتيجيين العسكريين الإسرائيليين، كان لها تداعياتها على الكيان الصهيوني في ساحات متعددة، محلياً وإقليمياً ودولياً.

محلياً

عمقت معركة سيف القدس الشرخ بين ما يرغبه الجمهور الإسرائيلي من الجيش وبين ما يتم إحرازه على مستوى عسكري تكتيكي واستراتيجي، إذ لم يعد الجيش قادراً على إغناء وتعزيز مخيلة الإسرائيليين بردع المقاومة وتحقيق هدف الحسم، ما يشير إلى تحول في العلاقة بين الجيش الذي يحركه مستوى سياسي

آخذ في التآكل، والجمهور الذي يشعر بشكل متصاعد بأن الجيش عاجز عن الفعل والمبادرة والحسم، وعاجز حتى عن إيصال رسالة بأنه يقوم بتأمين الحماية للجمهور، لأنه في ظل عدم وجود هدف حقيقي يصبح من الصعب تسويق إنجازات وهمية للجمهور الإسرائيلي، الأمر الذي أدى إلى سقوط أسطورة "الجيش الذي لا يقهر". ففي المعركة اعتمد الجيش على القصف الجوي أسلوباً أساسياً في القتال من أجل الحصول على جدوى أكبر للعدوان، ومع ذلك فإن هذا القصف بالإضافة إلى عمل بطاريات "القبة الحديدية" لم ينجحا في منع المقاومة من إطلاق أكثر من 4360 صاروخاً وقذيفة هاون، ولم يدفعا فصائل المقاومة إلى المطالبة بوقف إطلاق النار. وقد واصلت المقاومة استهداف المواقع الحساسة في الجبهة الداخلية الإسرائيلية، حيث طالت الصواريخ مستعمرات غلاف غزة ومنطقة السهل الساحلي ومنطقة غوش دان، بما في ذلك تل أبيب ومطار بن غوريون والنقب وبئر السبع وديمونا.

لقد أخفق الجيش الإسرائيلي في تحقيق نجاعة في الأداء، رغم المراجعات الشاملة التي أجريت لمدى جهوزية الجيش والخطط التي وضعت لتحسين أوضاعه، والتي كان آخرها الخطة الخمسية (2020 - 2025) التي وضعها رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أفيف كوخافي، التي عُرفت بخطة «تنوفا»، والتي ترتكز على مضاعفة قوة سلاح الجو، وترميم القوات البرية، والدمج بين العنصر البشري والعنصر التكنولوجي بعد إحداث عمليات تطوير مهمة في الوحدات التكنولوجية، إضافةً إلى تحقيق مستوى عالٍ من التنسيق والدمج الفوري والسريع بين سلاح الجو وسلاح المشاة والاستخبارات، سعياً لتصحيح أوضاع الجيش وصياغة عقيدة عسكرية جديدة، في محاولة لتحقيق انجاز فعلي، وجبي نتائج حقيقية في وقت قصير وبثمن منخفض، من خلال ما يسمى بـ «الصدمة الكبرى»، التي يتم فيها تدمير مراكز الثقل لقوة المقاومة وتدمير القوة البشرية الميدانية الفاعلة مع تعزيز هذا التدمير بالمعركة البرية، وتفترض الخطة تخفيض مستوى التكلفة التي ستدفعها الجبهة الداخلية الإسرائيلية، كما تتطلب الخطة صمود هذه الجبهة ريثما يتحقق «النصر الحاسم». إلا أن معركة «سيف القدس» حملت مفاجآت كبيرة

وإبداعات للمقاومة أذهلت قادة الكيان الصهيوني، لتثبت أن خطة «تنوفا» ماتت في مهدها، ولتثبت عدم واقعية تصورات أفيف كوخافي التي يُسوّقها للمستوى السياسي والعسكري وللجبهة الداخلية الإسرائيلية.

إضافة إلى ذلك، أدت معركة سيف القدس إلى تقليص النشاط الاقتصادي الخارج للتو من أزمة الكورونا التي أدت بدورها الى تقليص الانتاج وزيادة كبيرة في العجز وقفزة في الدين العام وقد تركت المعركة تداعياتها الاقتصادية من خلال التكلفة العالية التي تكبدها الاقتصاد الإسرائيلي، والتي تم التعبير عنها بأثمان الذخيرة التي استخدمها الجيش الاسرائيلي (منها صواريخ الاعتراض، القذائف الدقيقة وقذائف المدفعية)، وتكلفة استخدام المنصات المختلفة (الطائرات القتالية والدبابات)، وتكلفة تجنيد القوات النظامية والاحتياط، وتشمل أيضاً تكلفة فقدان أيام عمل إغلاق أو عمل جزئي لمصانع ومحلات تجارية وانخفاض في الطلب، بسبب اطلاق الصواريخ على المستعمرات الذي يعطي المستوطنين الحق في الحصول على التعويضات من سلطات الاحتلال، حيث اتسعت مساحة المناطق التي أعلن فيها عن حالة "وضع خاص" في الجبهة الداخلية الإسرائيلية، لأن زيادة مدى صواريخ المقاومة شملت منطقة الوسط التي يتركز فيها جزء كبير من النشاط الاقتصادي في الكيان الصهيوني، ما أدى إلى إلحاق الضرر بنشاطات الاقتصاد، إضافة إلى الضرر في المرافق العامة الذي نجم عن المواجهات بين فلسطينيي الأراضي المحتلة عام 1948 والسلطات الإسرائيلية في أماكن مختلفة.

ومن الأزمات التي فاقمتها تداعيات معركة سيف القدس على الجبهة الداخلية الإسرائيلية، بروز مسألة الهوية الوطنية لفلسطينيي 1948 إلى السطح على نحو غير مسبوق، بسبب حجم مشاركة الشبان العرب وخطورة العنف الذي تميزت به، على عكس هبة تشرين الأول/أكتوبر 2000 التي اندلعت فيها المواجهات بمنطقة الجليل التي تتمركز فيها الأغلبية السكانية العربية، بينما المواجهات الأساسية في سيف القدس كانت في المدن المختلطة. وتطرح هذه المواجهات أسئلة جوهرية، ليس فقط إزاء مفاهيم قديمة مثل "التعايش"، وإنما بصورة أساسية إزاء نموذج الاندماج الذي حاولت الحكومة الإسرائيلية تكريسه بين اليهود والفلسطينيين في

العقد الأخير، من خلال بعض النواب العرب في الكنيست الإسرائيلي ضمن هذا الإطار أدت هذه المواجهات إلى خرق منظومة العلاقات بين الفلسطينيين وبين سلطات الاحتلال، إذ تبين أن قدرة النواب العرب على مواصلة التعاون وفق نموذج الاندماج محدودة. كما أن المواجهات العنيفة في القدس وطرح مسألة "المسجد الأقصى في خطر" ساهما في توفير السبيل للعودة من الخطاب الاقتصادي – الاجتماعي إلى الخطاب الوطني، والعودة إلى سياسة الهوية الوطنية ما يعني أولاً: فشل محاولات الأسرلة وتذويب المجتمع العربي ومحو هويته الوطنية والقومية، وثانياً: تحديد صورة المجتمع الفلسطيني في أراضي 1948 وكيف ستكون في المستقبل.

إقليمياً

أعادت معركة سيف القدس القضية الفلسطينية إلى موقعها الطبيعي ووضعتها في واجهة الأحداث، بعد أن تراجعت أهميتها لدى بعض الدول ولم تعد على رأس أولوياتها، إثر تطبيع العلاقات الذي شهد تقدماً متسارعاً بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية، متجاوزاً السلطة الفلسطينية ومن دون التنسيق معها. وهو ما أكده نتنياهو من خلال تصريحات أدلى بها لإذاعة الجيش الإسرائيلي "غالي تساهل" بتاريخ 2020/8/16، حول توقيع اتفاق "أبراهام" للتطبيع مع الامارات العربية والبحرين والسودان والمغرب، حيث قال: "أنا مَن تعهد توقيع اتفاقيات مع دول عربية من موقع القوة، ومن دون تقديم تنازلات، وأنا من تعهد فرض السيادة وطرح هذه المسألة، ومثلما نجحت في التوصل إلى اتفاق مع الإمارات، سأنفذ مخطط فرض السيادة. قلت في السابق إن المصالحة مع العالم العربي تسبق أي اتفاق مع الفلسطينيين، ولا يجب أن نوجه أعيننا صوب القدس ورام الله فحسب، وإنما صوب القاهرة وعمّان والرياض وأبو ظبي". يشير نتنياهو من خلال هذا القول، إلى استخدام القوة في تطبيع العلاقات مع بعض الدول العربية وإخضاعها للمصلحة الإسرائيلية تجسيداً لأفكار أحد أشهر قادة الفكر الصهيوني المتطرف فلاديمير جابوتنسكي صاحب نظرية "الجدار الحديدي" التي تقول بأن "العرب والفلسطينيين سيرفضون الاستيطان، ولهذا لا بد من إخضاعهم

بالقوة الجبارة حتى يفهموا أن بيننا وبينهم جداراً من الحديد لا يمكن قهره ولا اختراقه، ولن يهدأ لهم بال ولن تخفت مقاومتهم إلا بعد أن يدموا رؤوسهم وهم يضربونها في الجدار الحديدي، ويقتنعوا بالهزيمة بعدها، وبعدها فقط، يمكن التفاوض معهم بحسب الشروط الإسرائيلية". وكان قادة الدول العربية المطبعة مع الكيان الصهيوني، قد روجوا لقراراتهم أمام شعوبهم، بالقول بأن التطبيع هو لحماية الفلسطينيين، ولمنع ضم باقي أراضيهم من قبل سلطات الاحتلال، وهو ما أتى متناقضا مع التطورات على الأرض، وأدى من وجهة نظر كثيرين في المنطقة العربية، إلى فضح وكشف مزاعم الدول العربية التي أبرمت اتفاقيات التطبيع، وهو ما شكل حرجاً كبيراً للحكومات التي تقيم علاقات مع الكيان الصهيوني.

وجاءت معركة سيف القدس لتحطم "الجدار الحديدي" وتشكل مناسبة للتعبير عن غضب الشعوب العربية ورفضها للعدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، ووقوفها إلى جانب المقاومة، من خلال الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية التي جابت عواصم ومدن عربية عديدة، حيث طالب المتظاهرون بوقف التطبيع مع الكيان الصهيوني وتقديم الدعم للشعب الفلسطيني، ما يؤكد حقيقة التطبيع القائم مع بعض الدول العربية، بأنه يتعارض مع مصالح الشعوب في هذه الدول، وأن المساعي التي تركزت على تشكيل تحالفات عربية جديدة تُدخل الكيان الصهيوني إلى نسيج المنطقة، لا تنبع من إرادة الشعوب التي ترى في الكيان الصهيوني عدواً يهدف إلى تحقيق أطماع الاستعمار الغربي في الوطن العربي، إذ شكلت اتفاقات التطبيع مناسبة لتنفيذ مخططات الاحتلال العنصرية ضد الشعب الفلسطيني، وهو ما أثار ردود فعل ليس على المستوى الشعبي فحسب وإنما على مستوى رسمي، حيث عقدت منظمة التعاون الإسلامي اجتماعاً افتراضياً بتاريخ 2021/5/16، أكد من خلاله الوزير التركي مولود جاويش أوغلو على أن "علاقات التطبيع عززت موقف إسرائيل وشجعته على انتهاك القانون الدولي واستهداف النساء والأطفال في قطاع غزة"، فيما أدان وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان آل سعود، الانتهاكات الإسرائيلية الصارخة بحق الفلسطينيين، وعملية

استيلاء إسرائيل على منازلهم في القدس. ودعا المجتمع الدولي إلى التحرك العاجل لوقف العمليات العسكرية في غزة فوراً.

ويدرك الصهاينة أنهم إذا استطاعوا أن ينجحوا في إقامة علاقات مع الحكومات العربية، إلا أنهم لن ينجحوا في تجاوز الجماهير العربية والقضية الفلسطينية فعلى الرغم من الخطوات العملية التي حققها الكيان الصهيوني على صعيد التسوية مع كل من الحكومة المصرية (اتفاقية كامب ديفيد 1979) والسلطة الفلسطينية (اتفاق أوسلو1993) والحكومة الأردنية (اتفاق وادي عربة 1994)، إضافة إلى اتفاقات التطبيع مع عدد من الحكومات العربية، إلا أنه لم يتمكن من إقامة علاقات حقيقة على المستوى الشعبي، لا في الحقل الاجتماعي ولا في الحقل الثقافي فالشعب العربي منذ البداية رفض اتفاقات التسوية لأنها تنطوي على الاستسلام والذل، ومازال يرفض التطبيع مع الكيان الصهيوني، متمسكاً بالحقوق الوطنية والتاريخية للشعب والأمة، وداعماً للمقاومة التي باتت خياراً استراتيجياً لا بديل عنه، والتي تعمق مأزق الكيان الصهيوني بشكل يومي وعلى الرغم من انشغال العالم العربي في أوضاعه الداخلية، إلا أن القضية الفلسطينية تظل العنوان المركزي لنضال الشعوب العربية، ويظل الكيان الصهيوني عدواً أساسياً للشعب والأمة وهو ما تؤكد عليه إحدى التوصيات التي رفعها معهد القدس للاستراتيجية والأمن إلى الحكومة الإسرائيلية الجديدة (بينيت – لابيد)، والتي جاء فيها: "لا تتعامل مع شركائك الإقليميين كأمر مسلم به. عندما يتعلق الأمر بالدعم الإقليمي، فإن الجهود الدبلوماسية ضرورية لتعزيز التعاون وتقويته. وتشمل هذه الجهود، من بين أمور أخرى، محادثات التنسيق والدعوة بين كبار صانعي القرار والشركاء الإقليميين من أجل شرح وتنسيق القرارات المتخذة. إن الفشل، على الأقل ليس علنا، في الحوار مع الحلفاء الجدد، مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب، خلال الجولة الأخيرة من القتال، لا يبشر بالخير فيما يتعلق باحتمال صياغة روايات إقليمية مؤيدة لإسرائيل أو الترويج لها، والتعاون الأمني في المستقبل.

في معركة سيف القدس، تأكدت من جديد الطبيعة الوحشية والعنصرية للكيان الصهيوني، كما تأكد ضعف الأنظمة العربية أمام النفوذ الصهيوني والضغط الأمريكي، وازدادت الهوة الكبيرة بين الموقف الرسمي العربي والموقف الشعبي. وقد أثبتت معركة سيف القدس أن القضية الفلسطينية ومقاومة الشعب الفلسطيني هما العقبة أمام الهرولة العربية الرسمية نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني.

دولياً

واجهت القيادة الإسرائيلية موجة كبيرة من ردود الفعل والانتقادات على الصعيد الدولي، ضد الاعتداءات التي أقدمت عليها قوات الاحتلال في القدس المحتلة والجرائم التي ارتكبتها في قطاع غزة. ففي معركة سيف القدس، المسماة إسرائيلياً "حارس الأسوار"، تحطمت أسوار كثيرة بناها حوله، وتهشمت صورة الكيان الصهيوني الذي باتت ممارساته العنصرية مفضوحة أكثر، أمام العالم الذي لم ير إلا مشاهد الدمار للمنازل المأهولة في قطاع غزة، دون أي مبرر تستند عليه القيادة الإسرائيلية.

فعلى صعيد الأمم المتحدة، صوت مجلس حقوق الإنسان بتاريخ 2021/5/27، على "تشكيل لجنة تحقيق دولية مستقلّة بشأن العدوان وضمان احترام القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك شرقي القدس والأراضي المحتلة عام الـ48". وتم اعتماد القرار في المجلس بعد عرض مشروعه من قِبَل باكستان، وصوّت لصالحه 24 دولة وامتنعت 14 دولة عن التصويت فيما عارضته 9 دول هي الأوروغواي وبريطانيا والنمسا وألمانيا وجزر مارشال ومالاوي وبلغاريا والكاميرون والتشيك.

وعلى صعيد شعبي، شهد العالم حراكاً جماهيرياً واسعاً، تضامناً مع الشعب الفلسطيني الذي يتعرض لعدوان صهيوني إجرامي، وخرجت مظاهرات تضامن شعبية مع الفلسطينيين في العديد من دول العالم، منددة بالعدوان الصهيوني على القدس وقطاع غزة. وقد شملت المظاهرات عدداً من المدن الأمريكية والأوروبية، طالب خلالها المتظاهرون بوقف العدوان الصهيوني ووقف الدعم الغربي للكيان

الصهيوني إضافة إلى الدول الإسلامية التي طالب فيها المتظاهرون تقديم الدعم للشعب الفلسطيني وعدم إقامة أي نوع من العلاقات مع الكيان الصهيوني.

في الداخل الأمريكي، انعكست نتائج هذا العدوان على اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ ازداد حجم الكراهية للكيان الصهيوني، وتعرض عدد من اليهود الأمريكيين للاعتداء من قبل الجمهور الغاضب في عدد من المدن الأمريكية، وذلك بحسب ما أوردته صحيفة "إسرائيل اليوم" بتاريخ 2021/6/17 على لسان مندوبها إلى الولايات المتحدة أرئيل كاهانا الذي نشر في اليوم التالي 2021/6/18 تقريراً تضمن شهادات عدد من الذين تعرضوا لهذه الاعتداءات، بالإضافة إلى ردود فعل مجموعة من السياسيين. ووفقاً لمعطيات "الرابطة اليهودية ضد التشهير"، بلغ عدد عمليات المساس المؤكدة ضد اليهود في الولايات المتحدة في أيار 2021 ضعفيْ عددها في أيار 2020. وأكدت الرابطة أن "الارتفاع الأكثر دراماتيكية كان في عدد الاعتداءات الجسدية". وأوضحت معطيات الرابطة أيضاً أن عدد الحالات التي تنطوي على مظاهر ما يسمى "معاداة للسامية" تضاعف بنحو ثلاث مرات في الأعوام الثمانية الأخيرة. وبحسب صحيفة إسرائيل اليوم، تطرّق عدد من القادة اليهود في الولايات المتحدة إلى موجة الاعتداءات هذه، وأجمعوا على القول "دخلنا إلى وضع جديد". ووفقاً لما يقوله جيكوب سلومون رئيس الفيدرالية اليهودية في ميامي بيتش، والحاخام موشيه هاور رئيس الاتحاد الأرثوذكسي في نيويورك، هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها اليهود في الولايات المتحدة لهجوم جماعي في وضح النهار ومن دون أي خشية. كذلك يشير كلاهما وأشخاص آخرون إلى أن هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها اليهود في الولايات المتحدة للهجوم، ويتم اتهامهم بصورة جماعية بسبب ممارسات "إسرائيل" ضد الفلسطينيين، وهذا يجري في كل أنحاء أمريكا.

وبحسب الباحث يردين فيتكاي في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، يعاني الكيان الصهيوني من مشكلة بين الجماهير التقدمية والليبرالية والمجتمعات المهاجرة في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. ومن الأمثلة على ذلك الجمهور الأمريكي من أصل أفريقي، والإسباني، والمسلمين، والليبراليين الأمريكيين الشباب

وقد اكتسبت هذه المجتمعات في السنوات الأخيرة، قوة سياسية وإعلامية كبيرة، وازداد تأثيرها على صانعي القرار الأمريكي. وفي استطلاع لرأي الناخبين اليهود الأمريكيين أجري بتكليف من "معهد الناخبين اليهود"، وهو مجموعة يقودها ديمقراطيون يهود بارزون، نشرت نتائجه بتاريخ 2021/7/13، رصد أشد الانتقادات الموجهة لـ"إسرائيل"، بما في ذلك أنها ترتكب الإبادة الجماعية والفصل العنصري. ومن خلال الاستطلاع وافق 34٪ على أن "معاملة إسرائيل للفلسطينيين مماثلة للعنصرية في الولايات المتحدة"، واتفق 25٪ مع عبارة "إسرائيل دولة أبرتهايد"، ووافق 22٪ على أن "إسرائيل ترتكب إبادة جماعية ضد الفلسطينيين". ووجد الاستطلاع أن 9٪ من الناخبين يوافقون على عبارة "ليس لإسرائيل الحق في الوجود". ويعرض الاستطلاع تحدياً كبيراً في الوقت الذي تسعى فيه الحكومة الإسرائيلية الجديدة (بينيت – لبيد) لإصلاح العلاقات مع الجالية اليهودية الأميركية التي أصبحت إلى حد ما معزولة عن الكيان الصهيوني.

أما رسمياً، فعلى الرغم من أن أغلبية المشرعين الديمقراطيين في الكونغرس الأمريكي تتمسك بموقفها الداعم للكيان الصهيوني، إلا أن المواقف الانتقادية في الجناح التقدمي من الحزب الديمقراطي بدأت تتغلغل أيضاً إلى المشرعين الذين ينتمون إلى التيار الوسطي. في هذا السياق يؤكد إلداد شافيط الباحث في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي في مجلة "نظرة عليا" الصادرة بتاريخ 2021/5/25، أن انتقادات غير مسبوقة أدلى بها السيناتور الديمقراطي بوب مينينديز، الذي يُعتبر من أبرز مؤيدي الكيان الصهيوني، في أعقاب تدمير مبنى الجلاء في غزة، الذي ضم مكاتب وكالة الأنباء الأميركية الأسوشييتد برس إلى جانب مكاتب أخرى، بما في ذلك وكالة الأنباء الأمريكية "AP"، إذ قال: "أنا قلِق جداً من تقارير عمليات عسكرية إسرائيلية في غزة أدت إلى مقتل مواطنين أبرياء وتدمير مقصود لمكاتب وسائل إعلام دولية".

لقد فشلت الدعاية الإسرائيلية في التغطية على جرائم الجيش الإسرائيلي، ولم تتمكن من فبركة الحجج والذرائع التي تستخدمها لتسويق العدوان، ومهما حاولت

سلطات الاحتلال تبرئة ذاتها من جرائمها العدوانية، فإن معركة سيف القدس لم تترك لها مجالاً للتهرب من المسؤولية أمام شعوب العالم، على العدوان الغاشم ضد القدس المحتلة وقطاع غزة المحاصر.

خاتمة

فرضت معركة سيف القدس معادلة جديدة في الصراع مع الكيان الصهيوني، إذ أثبتت المقاومة الفلسطينية قدرتها على اختراق النظرية الأمنية الإسرائيلية التي تقوم على (الردع والإنذار والحسم)، مؤكدة من جديد فشل هذه النظرية وكما استطاعت المقاومة في المعارك السابقة أن تسقط مفهومي الردع والحسم اللذين أخفق فيهما الجيش الإسرائيلي المعارك السابقة، ولم يمنع المقاومة من النهوض والاستمرار في تهديد الجبهة الداخلية الإسرائيلية بعد كل جولة عدوانية شهدها قطاع غزة، فإنها اليوم أسقطت مفهوم الإنذار الذي يعتبر المرتكز الأساس في النظرية الأمنية، ومنه استمدت العقيدة القتالية في الجيش الإسرائيلي عنصر (المباغتة والتحكم بزمام المبادرة)، حيث إن الجيش كان على الدوام يلجأ إلى ما يعرف بـ"الضربة الاستباقية" لكي يجبي نتائج حاسمة للمعركة مع ضمان حدود آمنة فعلى الرغم من أن الجيش الإسرائيلي يحافظ دائماً على الجهوزية العالية لمواجهة أي تطور ذي طابع أمني سواء داخلي أم خارجي، إلا أنه في معركة سيف القدس أصيب بالارتباك من كثافة الصواريخ التي هطلت على جبهته الداخلية ووصلت إلى القدس وتل أبيب، وعطلت الحياة في أنحاء البلاد، وزعزعت شعور الإسرائيليين بالأمان، وتسببت لهم باضطرابات نفسية واجتماعية، وحالة من عدم الاستقرار. وقد فاجأته المقاومة بأنها نفذت ما وعدت به، إذ لم يكن بحسبانه أن المعركة سوف تنتقل من القدس المحتلة إلى قطاع غزة في هذا التوقيت، وذلك لأن تركيز المؤسسة العسكرية الإسرائيلية انصب في الأشهر الأخيرة على الجبهة الشمالية، بعد أن أصبحت جبهة ساخنة، بسبب التوتر القائم مع حزب الله الذي بات حضوره قوياً على طول هذه الجبهة.

وعلى الرغم من حجم الدمار الذي طال المنازل والمنشآت والمؤسسات الثقافية والإعلامية في قطاع غزة، إلا أن الطائرات الإسرائيلية لم تتمكن من الوصول إلى أهداف حقيقية تتفاخر بها أمام الجمهور الإسرائيلي، ولم تتمكن من إسكات

صواريخ المقاومة التي واصلت إطلاقها حتى اللحظات الأخيرة للمعركة وقد ظهرت في المعركة أيضاً نقاط ضعف الكيان الصهيوني وهشاشة بنيته الداخلية، حيث أكد فلسطينيو الأراضي المحتلة عام 1948 ارتباطهم بالشعب الفلسطيني أينما وجد، كما أكدوا فشل كل محاولات تذويبهم ومحو هويتهم الوطنية والقومية، من خلال فضح عنصرية الكيان الصهيوني الذي باتت صورته المشوهة مكشوفة أمام شعوب العالم التي عبرت عن تضامنها مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، كما عبرت عن رفضها للاستيطان والاعتداءات المستمرة على القدس ومقدساتها، وأدانت العدوان العسكري على قطاع غزة الذي يشكل أحد أهم المعضلات والتحديات الاستراتيجية للكيان الصهيوني.

الفهرس

مقدمة..... ٧

سيف القدس – الحرب الرابعة (المقدمات– الأهداف– ما بعد المعركة)... د. محمد البحيصي ٩

معركة سيف القدس صفعة استراتيجية للكيان الصهيوني..... خالد عبد المجيد ٢١

أبعاد معركة سيف القدس..... يوسف المقدح (أبو نضال الأشقر) ٢٥

معركة السيف الذي زادته القدس بريقاً ولمعاناً وجعلته أكثر مضاء..... عدلي الخطيب(أبو فاخر) ٣١

الصراع العربي الصهيوني ما بين أيار النكبة وأيار الانتصار..... اللواء د. محمد عباس محمد ٣٧

سيف القدس.. السيف القاطع..... د. خلف المفتاح ٥٣

لن يعود سيف القدس إلى غمده..... د. صابر فلحوط ٥٧

عشرة أيام من انتفاضة شعبنا هزّت العالم..... أبو علي حسن ٦١

سيف القدس» أطاح الغطاء عن النظام السياسي الفلسطيني»..... معتصم حمادة ٦٧

الشعب ينتصر (هبة القدس وسيفها .. نتائج وأبعاد).....م. مصطفى الهرش ٧٧

معركة سيف القدس واستراتيجية محور المقاومة..... م. كمال الحصان ٨٣

هل ستكون (سيف القدس) الحرب قبل الأخيرة؟..... د. وليد القططي ٨٩

سيف القدس.... دروس تعلوها العبر..... عبدالله منيني ٩٣

هبة القدس في الموروث الثقافي الفلسطيني..... د. نجلاء الخضراء ١٠١

انتفاضة القدس في مواجهة مشاريع التهويد والاستيطان..... سحر عيسى الوهيبي ١٠٩

سيف القدس" وتداعياتها على القضية الفلسطينية"..... ..... عارف الآغا ١١٧

هبة فلسطينيي 1948 في مسار معركة سيف القدس..... محمد العبد الله ١٢٥

مقدمات العدوان على القطاع وردود الفعل الدولية..... . علي بدوان ١٣٣

معركة سيف القدس تسقط مشاريع التطبيع..... بسّام عليّان ١٤١

تداعيات معركة "سيف القدس" على الكيان الصهيوني..... إبراهيم أبو ليل ١٤٧